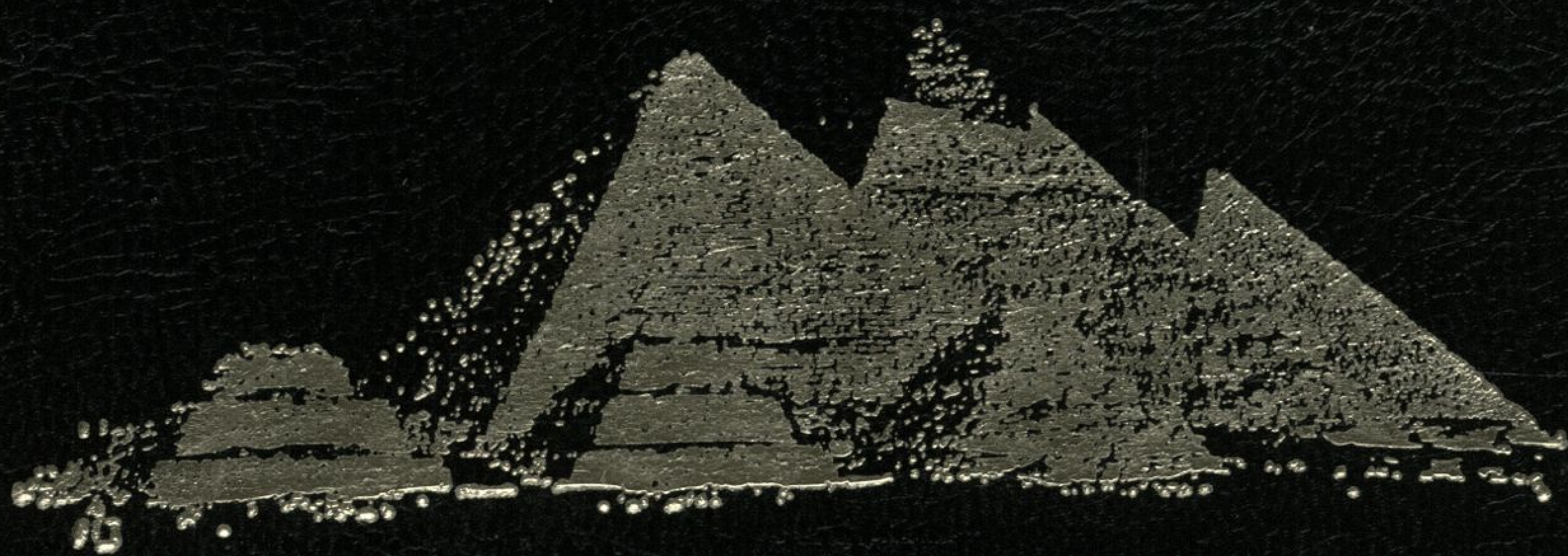
موسوعة
جغرافية مصر وتاريخها





موسوعة

جغرافية مصر وتاريخها

(٢٣)

عبد الرحمان الجبرتي

موسوعة

جغرافية مصر وتاريخها

المجلّد الثالث والعشرون

عجائب الآثار في التراجم والأخبار - ٥ -

الجزء الخامس: محمد علي وتجربة الاستقلال - ٧ -

إعداد وتحقيق
عبد العزيز جمال الدين

دار نوبليس

جميع الحقوق محفوظة للناشر

لا يسمح بنقل أي جزء من هذا الكتاب في أي شكل من الأشكال
من دون الحصول على إذن خطي مسبق من الناشر
نشر هذا الكتاب بعد أخذ حق النشر من مكتبة مدبولي

اسم الموسوعة:	موسوعة جغرافية مصر وتاريخها
اسم الكتـــاب:	عجائب الآثار في التراجم والأخبار - ٥ - الجزء الخامس: محمد علي وتجربة الاستقلال - ٧ -
المؤلـــــف:	عبد الرحمان الجبرتي
إعداد وتحقيق:	عبد العزيز جمال الدين
قياس الكتاب:	١٧ × ٢٤
عدد الصفحات:	٢٤٤
عدد صفحات الموسوعة:	٥٧٨٤
مكـان النشـر:	بيروت
دار النشر والتوزيع:	دار نوبليس
تلفاكس:	٧٥ ٣٤ ٥٨ (١) ٩٦١
هاتـف:	٢١ ١١ ٥٨ (١) ٩٦١ - ٢١ ١١ ٥٨ (٣) ٩٦١
صندوق بريد:	٧٠ ٦٩ ١٦ بيروت لبنان
بريد إلكتروني:	info@nobilis-int.com
الطبعة الأولى:	٢٠١٢

EAN 9786144031353

ISBN 978-614-403-135-3

ملحق رقم (١٢)

الأعياد الدورية العامة فى مصر

عاشوره

تعتبر الأيام العشرة الأوائل من شهر المحرم مباركة للغاية، ويحتفل بها احتفال بهيج، ويقدس اليوم العاشر خاصة. ويسمى العامة تلك الأيام "العَشر"، وسأبين اشتقاق هذا اللفظ فيما بعد.

فى العادات الشائعة أن يتصدق المصريون المسلمون بما فى طاقتهم طول شهر المحرم، وهم يتصدقون خاصة فى الأيام العشرة، وعلى الأخص فى اليوم العاشر (عاشورة). ويدعى كثير منهم أنهم يؤدون الزكاة فى هذا الموسم، وقل من يفعل ذلك حقاً. فهم لا يتقيدون بغير إرادتهم، يعطون من يشاءون ما يشاءون. ويعمد كثير من نساء القاهرة، ومن هن من طبقة متوسطة أيضاً، فى الأيام العشرة، وعلى الأخص فى اليوم العاشر، إلى حمل أطفالهن على الكتف، أو استخدام امرأة أخرى لذلك، والسير فى الشوارع يستجدين من يصادفن من المهندمين. وتسأل الأم أو حاملة الطفل تارة، والطفل نفسه تارة أخرى، بهذا القول: "يا سيدى، زكاة العشر،". ، يعنى لفظ "العَشر" عند العامة "الأيام العشرة". غير أنى أظن أنه يعنى "الليالى العشر" ولو أنى أخبرت أنه تحريف لكلمة "العُشر"، وتستعمل هنا استعمالا غير دقيق للدلالة على "ربع العشر" (واحد على أربعين)، وهذا ما يفرضه الشرع علي المسلم زكاة على أمواله من النقد وبعض المتاع. ويمنح الطفل عادة فى الحالة السابقة قطعة خمس فضة. فيشترى بما يناله حلوى أحياناً، غير أن المعتاد أن تعتبر تلك النقود حرزاً، فتخاط فى طاقية الطفل، ويحملها هكذا إلى المحرم التالى. وتكرر تلك العادة سنوياً حتى يبلغ سناً كبيرة.

يراعى المصريات، وخاصة القاهريات، خرافات غريبة خاصة بالأيام العشرة من المحرم. فيعتقدون أن الجن يزورون بعض الناس ليلا، فيظهرون لهم على هيئة سقاء أحياناً، وعلى شكل بغل أحياناً أخرى. ويطلق عليه فى الحالة الأولى "سقا العشر" وفى الحالة الأخرى "بغلة العشر". وعندما يحضر الجنى فى زى السقاء، يطرق باب غرفة النائم، فيسأل هذا: "من بالباب" فيجيبه

الجنى: "أنا السقا. أين أفرغ القربة؟" وإذا كان السقاء لا يحضر ليلا، فانه يغرف شخص زائره، فيقول: "افرغ فى الجرة" وعندما يخرج بعد ذلك، يجد الجرة ملأى بالذهب. أما الجنى الذى يأتى فى صورة البغل فيوصف بطريقة تستحق الذكر. يحمل على ظهره خرجاً ملآن بالذهب وجمجمة، ويعلق فى عنقه خيطاً به أجراس صغيرة مستديرة يحركها عند باب غرفة الشخص الذى قدم ليغنيه. فيخرج هذا ويأخذ الجمجمة، ويفرغ الخرج، ثم يملأه تبناً أو نخالة أو غير ذلك، ثم يضعها ثانياً على ظهر البغلة، ويقول: "اذهب يا مبارك."– تلك هى الطرق التى يتبعها خيار الجن لدفع الزكاة. وكثيراً ما تسمع النساء الجاهلات يصحن: يارب "ابعث لى سقاء العشر" أو "ابعث لى بغلة العشرة". ويسخر الرجال على العموم من هذه الخرافات.

ويقول بعض القاهريين إن هناك جماعة من الجن يظرون فى هيئة الأنس وبملابسهم، ويقيمون فى منتصف الليل، طول الأيام العشرة، سوقاً فى شارع الصليبة جنوب العاصمة، أمام ناووس (فرعونى) قديم، يسمى "الحوض المرصود". وكان الناووس فى كوة تحت درجات تصعد إلى باب مسجد يجاور القصر القديم المسمي قلعة الكبش. وقد نقله الفرنسيون أثناء احتلالهم مصر، وهو الآن بالمتحف البريطانى. ويقال إن سوق الجن لم يعد يقام منذ أن نقل الناووس. وقيل لى إنه لم يكن يعلم بتلك العادة غير نفر قليل. وكان كل من يصادفه الحظ فيمر بسوق الجن ويشترى شيئاً من الفاكهة أو الكعك أو الخبز الخ، فيرى ما اشتراه قد تحول إلى ذهب فى الحال.

يسمى اليوم العاشر من المحرم "يوم عاشوراء". ويقدس المسلمون هذا اليوم لعدة اعتبارات، منها أنهم يعتقدون أنه اليوم الذى تقابل فيه آدم وحواء لأول مرة بعد طردهما من الجنة، والذى خرج فيه نوح من سفينته، ولأن أحداثاً عظيمة أخرى وقت فى ذلك اليوم حسب قولهم، ولأن عرب الجاهلية كانوا يصومون فيه. غير أن الذى يخلع على يوم عاشوراء قدسيته العظيمة، فى رأى المسلمين المحدثين، والفرس خاصة، هو أنه استشهاد الحسين فى موقعة كربلاء. ويصوم كثير من المسلمين ذلك اليوم، ويصوم البعض اليوم السابق أيضاً.

ولما كنت أكتب اليوم فى يوم عاشوراء، فانى أذكر العادات الخاصة به التى شاهدتها فى

هذه المناسبة.- كان على أن أزود نفسى بقطع من الخمس فضة قبل أن أخرج هذا اليوم لإعطاء صدقة العشر السابق ذكرها. وقد رأيت فى شوارع القاهرة، الأطفال، بين سن الثالثة والسابعة، وأكثرهم فتيات، يسيرون فرادى أو اثنين أو ثلاثة، أو يحملهم نساء، يسألون الناس صدقة العشر-. فى غضون النهار وقف أمام دارى بعض الفقراء الضرار، وحمل أحدهم علماً أحمر، طراز عليه بالأبيض أسماء الحسين وآخرين من أهل الفضل، وأنشدوا دعاء للصدقة فبدأ أحدهم قائلا: "يا صاحب الصدقة تمنحها يوم عاشوراء المبارك" فيتمم الآخرون قائلين معاً: "حبتين قمح! حبتين أرز! يا حسن! يا حسين!" يكررون الكلام نفسه مراراً. وحينما يتناولون قطعة نقدية صغيرة ينصرفون إلى دور أخرى عليها مظاهر الثراء، فينشدون أمامها الدعاء نفسه. ويتجول فرق كثيرة من الفقراء فى أحياء المدينة المختلفة، أثناء هذا اليوم، متسولين بالطريقة نفسها.

كنت فى زيارة صديق لى، قبيل الظهر، فقدم إلى طبقاً يجهز عادة فى يوم عاشوراء، يسمى "حبوباً" ويعد "الحبوب" من القمح الذى ينقع فى الماء يومين أو ثلاثة أيام، ثم يقشر، ويغلى، ويحلى فوق النار بالعسل، وقد يستبدل الأرز بالقمح. ويضاف إليه على العموم الجوز واللوز والزبيب الخ.

وبعد آذان الظهر، ذهبت إلى مسجد الحسين، وهو المدفن المشهور لرأس الحسين، وهو لذلك مسرح لأكثر الاحتفالات اعتبارا التى تميز يوم عاشوراء فى القاهرة. وتغص السبل المودية إلى المسجد بالناس، وبالقرب من بيت القاضى، رأيت جماعات كثيرة من الغوازى، يرقص بعضهن، ويجلس غيرهن حلقة يتناولن الغداء فى الشارع، ويدعون كل وجيه إلى مشاركتهن الطعام، بقولهن: باسم الله. وقد اعترضت إحداهن طريقى لأعطيها منحة. وأولئك يتوخين الإغراء باعداد ملابسهن لتبرز محاسن أجسامهن. وما كان رؤية هؤلاء الفتيات السافرات، وبعضهن جميلات جداً، غير سوء تقدير لتهيئة من يمر بهن من الرجال لمشاهدة الحفلات الدينية. وفى طريقى إلى المسجد، سنحت لى الفرصة لإتخلص من بعض النقود الصغيرة التى حملتها معى لأوزعها على الأطفال. وكانت الفرصة التالية عند وصولى إلى المسجد، فقد أحاط بى جمع من السقائين من تلك الطبقة التى توزع الماء على عابرى السبيل. فأعطيت اثنين منهم عشرين فضة ليوزع كل منهما ما

يحملان من ماء على المارين الفقراء، إكراماً لسيدنا الحسين.

ولما دخلت المسجد دهشت كثيراً للمنظر القائم بالرواق الكبير. فقد كان مزدحماً بالزائرين، وأغلبهن نساء من الطبقتين الوسطى والدنيا، يصحبهن أطفال كثيرون، وكان يسوده لغط يشبه ما نسمع فى المدارس حين يأخذ مئات الأولاد فى اللعب. وكنت ترى، وسط هذا الضجيج، بين صراخ الأطفال وبكائهم، ونداء الرجال والنساء بعضهم بعضاً، النساء وأطفالهن يلحون على الرجال المحترمين سائلين صدقة العشر. وقلما شاهدت منظراً يخالف ما يحدث داخل مسجد على العموم، وقد زادت دهشتى فى ذلك اليوم، إذ أن مسجد الحسين أقدس مساجد القاهرة. وكانت الحصر التى تفرش فوق البلاط عادة مرفوعة، واستبدل بها حصر قديمة لا تغطى الأرضية جميعاً، فعلاها الغبار والوسخ العالق بأقدام كثير من الحفاة. ولما كانت الصلاة يستحيل إقامتها فى هذه المناسبة، فقد كان الناس يدخلون المسجد بلا وضوء، وبدون أن يمروا بالميضأة أولا، مع أن كل من دخل المسجد كان يخلع حذاءه حسب العادة، والكثير منهم كان يتركه عند الحارس. وكان هناك أطفال لا يدركون لصغر سنهم قدسية المكان، فبللت مواضع كثيرة من أرضية المسجد. ومع أنى تحاشيت هذه الأماكن، لم تلبث قدماى أن اسودتا من الوسخ الذى دست عليه ومن أقدام الذين داسوا علىّ، وكان الحر علاوة على ذلك مرهقاً، يزيد على حرارة الحمامات البخارية ثقلا، بالرغم من وجود ملقف كبير فى السقف. وكان المسجد بأرجائه يغص بالنساء، ولست أدرى لذلك سبباً غير أنهن أكثر تمسكاً بالخرافات، وأنهن يحملن احتراماً عظيماً ليوم عاشوراء ورغبة شديدة فى تكريم الحسين بزيارة مقامه فى هذا اليوم.

ويقول أهل القاهرة عادة: إنه ما من رجل يذهب إلى مسجد الحسين يوم عاشوراء إلا لأجل النساء فيُدفع فى حشدهن، وينعم بذلك إلى أقصى رغباته، وقد عرفت ذلك التجربة عندما تقدمت لمشاهدة الحفلات الدينية التى تكون، علاوة على قداسة اليوم، عاملا فى جذب مثل هؤلاء الأسراب من الناس. كان هناك ما يقرب من خمسين درويشاً من فرق مختلفة يجلسون على صفين متقابلين جانب الحائط الخلفى على يمين المنبر، ولم يكن أحد يقوم بالذكر غير درويش مسن يقف بين الصفين. فتقدمت

إلى الأمـام لمشاهدتهم، فـوجـدت نفسى فى موقف يبدو غريباً فى بلد يعتبر لمس الرجل امـرأة غيـر زوجه أو جاريته أو قريبته غير لائق. وكنت مـحـصـوراً بين نساء أربع حتى أننى ظللت بضع دقائق عـاجـزاً عن الحـركة فى أى اتجـاه. وكـان الحشـد يدفـعنى بشـدة نحو امـرأة شابة، فكادت وجناتنا تتماس لولا النقـاب. وكان يبدو من لهثها أن موقفهـا لم يكن سـهـلا، وإن بدت عـيناها النجـلاوان تبتسمان معبرتين عن تسليتها. ولكنها لم تتحمل ذلك طويلا، فما لبث أن صاحت: "يا عـينى! لا تكبس علىّ بشـدة هكذا". بينمـا صـاحت امـرأة أخـرى تقـول لى: "يا آفندى! ورأسك! تقدم إلى الإمام، وافسح لى طريقاً فـأتبـعك". وبعــد لأى توصلت إلى المكان المقصود، غيـر أنى كدت أفقد سيفى وكمىّ سترتى المتدليين، فقد علق مقبض سيفى بملابس البـعض، فشـد النصل من غـمـدة تقريباً قبل أن أستطيع أن أمسك به. وكنت أتصبب عرقاً مثل الجميع من كانوا حولى.

وقد تبين لـى أن الدراويش الموجودين ينتمون إلى بلدان ونحل مـختلفة. كان بعضـهم يلبس العـمـامة والملابس المصرية العادية، ويابس آخـرون القـاووق التـركى، وآخـرون عـمـائم عـالية، أو طراطير على هيئة قـالب السكر.

وكان أحدهم يلبس طرطوراً أبيض، قد طرز عليـه بحـروف سـوداء أدعـيـة للخلفـاء الراشدين، وللحسن والحسين ولغيـرهم من الأولـيـاء المشـهـورين مـؤسـسـى طوائف الدراويش. وكـانت هذه الكلمات: يا ابو بكر، ياعـمـر، يا عـثـمـان، يا على، يا حـسـن، يا حسين، يا سيد أحمد رفاعة، ياسيد عبد القادر الجيلانى، يا سيد أحمد البدوى، يا سـيـد ابراهيم الدسـوقى. وكـان أكـثـر الدراويش مصريين، ولكن كان بينهم كثير من الأتراك والفـرس. ولم ألبث طويلا حـتى بدأوا رياضـتهم. قـام كـثيـر منهم أولا بدفع الجـمـهور المحتشـد إلى الوراء، غيـر أنى لم أتحـرك من مكانى إذ لم يقتـرب منى أحـد وقـبل أن أعلم بما يوشك الدراويش أن يفعلوا، وجدت نفسى وسط حلقة كبيرة من أربعين منهم وشـعـرت لحظة أنى أكـاد أميل إلى البقاء حيث كنت والقيام بالذكر معهم. غير أنى فكرت فيما أعرِّض له إذا اكتشفوا أنى لست منهم، فقررت الخروج من الحلقة. وأخـذ الدراويش فى الذكـر فكانوا يرددون اسم الله على التـواتر، ويحنون فى كل مـرة رءوسـهم وأجـسـامـهم ويخطون خطوة على اليمين فتلف الحلقة كلها بسرعة. وحالما أخــذوا فى الذكــر، بدأ درويش تـركى من طائفـة المولوية يدور حـول نفـسـه وسط



الحلقـــة، وهـو يعـمل برجليـه مـــعـــاً، ويداه ممـــدودتـــان، ويســـــرع فـى حـركتـه حتى تنتشـر ملابسـه مـثل المظلة. وظل يدور هكذا حـوالى عشـر دقـائق، ثم انحنى أمام شيخه الجالس داخل الحلقـة الكبـيـرة، ثم انضم إلى الدراويش، الذين كانوا قد بدأوا يذكرون اسم الله بقوة مـتـزايدة، ويقـفـزون إلـى اليـمين بدلا من الخطو، دون أن يُظهـر أى تعب أو ترنح. بعد ذلك قـام سـتـة دراويش بعـمل حلقـة داخل الحلقـة الكبيـرة، وكل منهم قد وضع ذراعـه على كـتـفى جـاره، ثم أخـذوا فى الذكـر بسـرعة أشد. وقد ظلوا هكذا حوالى عشر دقـائق ثم جلسـوا للـراحة. وبعد ربع سـاعـة نهـضـوا للذكـر مـرة ثانيـة. ولم أر بعـد ذلك شيئاً يستحق الذكـر غيـر فقيرين يرقصـان، ويرددان اسم الله، ويضـرب كل منهمـا طاراً. وقد أخبرنى أحد الواقفين بجانبى أنهما من المجاذيب.

كانت رغبتى أن أزور مشهد الحسين فى هذا اليـــوم، وأن أتبين مـــا يجـــرى هناك من احتفـالات لهذه المناسبـة، فشـقـقت لنفسى طريقاً وسط الحشد إلى باب المقصورة، فما وجدت هناك غير جماعة قليلة نسبياً. وعند دخـولى قـادنى أحـد خدم المسـجـد إلى ركن غيـر مشـغـول من السـتـر البرونزى المحـيط بالمقـام، فـوق المكان الذي يقـال إن رأس الشهيد به، ليمكننى أن أقرأ الفاتحة. وبعد أن انتـهـيت من ذلك لقننى الدعـاء التـالى، وكان يتوقف بعد كل كلمتين أو ثلاث كلمات لأرددها بعـده، وقـد تظاهـرت بعـمـل ذلك، بينمـا كـان جارى إلى اليـسار يقـول عند كل وقـفـة: آمين. وهذا دعـاؤه: ياربا اقـبل زيارتى، وحقق مطلبى، واجعلنى أبلغ مرامى. فـقـد جئت عن رغبـة وقـصـد، وإنى أسـوق إليك السـيـدة زينب والإمـام الشـافـعى والسلطان أبا سعود. وأضاف بعد ذلك كلاماً مماثلا بالتـركيـة، ظناً أننى تركى وأنى قـد أكون جاهلا اللغة العربية. وكثيراً ما لقنت هذا الدعـاء القـصـيـرعند قـبـور الأوليـاء بالقـاهـرة فى أيام الأعـيـاد. وقـبل أن أقـوم بالدوران حـول المقـصـورة المحـيطة بالمقـام أعطيت من لقننى الدعاء قطعة صغيرة من النقد، فأهدى إلى بدوره أربع كرات صغيـرة من الخبز، كل منها فى حجم البندقة تقريباً. وكـان من الخبـز المنذور المجهـز من الدقـيق الناعم عند قـبـر السـيـد أحـمـد البـدوى،

وأحضر إلى هذا المكان، كما يحضر إلى عدة مقامات للأولياء بالقاهرة عند إقامة الأعياد العامة، ليقدم إلى أفاضل الزائرين. ويسمى "عيش السيد البدوى". ويحتفظ كثير من المصريين بكرة من ذلك الخبز فى جيوبهم حرزاً، ويأكله الغير دواء ناجعاً يقى من الأمراض.



الدوسة أو الوطء بحوافر فرس أحد مشايخ الطريقة السعدية على بعض الأتباع، ويتحلمونه راضين تلمساً للبركة.

وكان الأشخاص المتقدمون، وخاصة دراويشه، وعددهم حسب الظاهر يزيد على المائة (وقد وجدت إحصاءهم مستحيلا)، منبطحين فى الشارع، متلاصقين بقدر الإمكان، على الطريقة نفسها فى مولد النبى. ولم ينفك هؤلاءعن ترديد اسم الله. وجرى فوق ظهورهم عدد من الدراويش حفاة، يضرب الكثير من طبولهم الصغيرة، ويحمل بعضهم أعلام طائفة الرفاعية السوداء (وهى الطائفة القريبة للسعدية)، ويحمل اثنان شاليشاً (جاليشا) (وهو عمود طوله عشرون قدماً تقريباً، يشبه سارية العلم الكبيرة، وهو بيرق السعدية الرئيسى، وبقمته حليه مخروطة من النحاس) ثم حضر الشيخ راكباً الجواد الرمادى نفسه الذى ركبه فى مولد النبى. وكان يلبس برنساً فاتح الزرقة، مبطناً بالفرو، ومقلة سوداء أو تميل إلى السواد. وتقدم فوق الساجدين، وهو لا ينقطع عن الهمس. وقاد جواده شخصان يدوسان الساجدين أيضاً، أرجلهم، ورؤوسهم أحياناً. وقمص الجواد مرة (شب)، وكاد يدوس رؤوس الدراويش. وقد مر فوقهم بخطى ثقيلة. ودخل الشيخ منزل الشيخ البكرى الملاصق للمسجد. ولم يبد على أى واحد من المنبطحين أنه جرح، وقام كثير منهم يضحكون، ولكن أحدهم قام "ملبوساً"، كما بدا أنه كان على وشك الإغماء، مع أنه لم يضع يده إلى ظهره، كما لو كانت خطى الجواد قد أصابته. وقد يكون الرجل مع ذلك قد أصابه الحصان فاجتهد أن يخفى ذلك.

ليلة المعراج

ويحتفل فى ليلة السابع والعشرين من رجب "بليلة المعراج"، وهى ليلة صعود الرسول إلى السماء، فى جانب من ضاحية القاهرة الشمالية، خارج باب العدوى. ويضيف

الشيخ البكرى نفراً كثيراً فى منزل له بهذا الحى، حيث يقام الذكر ثلاثة أيام قبل الحفل. ويرى المرء بهذه المناسبة، علاوة على الألعاب المشاهدة عادة فى الشوارع فى الأعياد المماثلة، من الحواة والرواة الخ، "الدوسة" العجيبة، التى وصفتها عند الكلام على مولد النبى. وهى تقام فى شارع قصير واسع من الضاحية المذكورة سابقاً، تجاه مسجد الطشطوشى، فى اليوم السادس والعشرين، آخر أيام العيد وأهمها. وقد كنت أحد المشاهدين. ولما كان اليوم يوم جمعة، فقد كان على شيخ السعدية وهو الوحيد الذى يستطيع القيام بهذه الكرامة المشهورة، كما قيل، أن يقوم بفروض الصلاة والخطبة العادية فى مسجد الحسين ظهراً. ثم يركب من المسجد إلى مكان الدوسة فى موكب يسبقه صف طويل من دراويشه يحملون أعلامهم وطبولهم الصغيرة التى يستعملونها كثيراً. وكنت بهذا المكان بعيد الظهر، وجلست فوق مصطبة تمتد أسفل واجهة مسجد الطشطوشى.

ووصل موكب شيخ السعدية، بعد الظهر بساعة. فى ليلة المعراج، يعود الشيخ البكرى إلى منزله بالأزبكية، بعد الغروب بساعة ونصف تقريباً، فى موكب يتقدمه كثير من حملة المشاعل والدراويش. وفى هذه الليلة تضاء مآذن الجوامع.

مولد الإمام الشافعى

يبدأ الاحتفال بمولد الإمام الشافعى فى الأربعاء الأول أو الثانى من شهر شعبان، وعلى العموم فى الأربعاء الأول، إلا إذا وقع فى اليوم الأول من الشهر أو فى الثانى منه. وينتهى فى لية الخميس من الأسبوع التالى. ويقام الاحتفال بالمقبرة الكبرى المسماة "القرافة"، فى الجانب الصحراوى جنوبى العاصمة، حيث مدفن الإمام، وبالقسم الجنوبى من المدينة. ولما كان الإمام الشافعى هو مؤسس المذهب الذى ينتمى إليه القاهريين، فان مولده يجتذب كثيراً من الزائرين. وتشبه احتفالات هذا المولد تلك التى تقام فى الموالد الكبرى الأخرى. وتقام الدوسة يوم السبت السابق علي اليوم الأخير، أو اليوم الرئيسى. وفى هذا اليوم الأخير، يوم الأربعاء، يكثر عدد الزوار. ويقام الذكر وغيره فى الأيام التالية فى مسجد الإمام. ويعلو قبة المسجد زورق معدنى مثبت فى الرأس (عشارية)، يوضع فيه عادة، بمناسبة المولد، أردب قمح، وحمل جمل من الماء للطيور [كما هى عادة المصريين الفراعنه]. ويقال إن الزورق يدور أحياناً

عندما لا يكون هناك هواء يحركه، وحيثما يتجه يتنبأ بحوادث مختلفة حسنة أو سيئة: كالرخاء والشدة، وموت رجل عظيم الخ.

ليلة النصف من شعبان

يعظم المسلمون ليلة النصف من شهر شعبان باعتبارها وقت تثبيت مصير الإنسان فى العام التالى. ويعتقد أن سدرة الجنة تحمل ورقات بقدر عدد الأحياء من الإنسان فى العالم. وتسمى تلك الشجرة عادة "شجرة المنتهى" لعدة أسباب على الأرجح، وعلى الأخص لأنها، حسب قولهم، فى طرف الجنة، أو فى أعلى مكان منها. ويقال أن الورقات كتب عليها أسماء تلك الكائنات جميعاً فتحمل كل ورقة اسم شخص واحد، واسم أبيه وأمه، وأن الشجرة تهز، فى الليلة السابق ذكرها، بعيد الغروب، فتقع ورقة من قدر له الوفاة فى العام التالى. وإذا كان موته حالا، تذوى ورقته كلها تقريباً، ولا يبقى مخضراً غير جزء صغير جداً. وإذا كان موته يحل متأخراً فى العام التالى يبقى جزء كبير من ورقته مخضراً. ويكون اخضرار جزء الورقة بنسبة الوقت الذى يعيشه. ومن ثم تكون تلك الليلة شاقة على المسلمين الذين يراعونها بالدعاء الشديد والخشوع. وهناك دعاء خاص يقرأ بهذه المناسبة، عقب صلاة المغرب. ويقرأ الدعاء من استطاع فى المسجد أو غيره. ويجتمع الآخرون فى المساجد لهذا الغرض، ويستأجرون فقيهاً ليعاونهم، ولذلك يذهب كثير من الفقهاء إلى المساجد للقيام بهذا العمل. ويعمل كل فقيه لنفر من الناس. فيتلو أولا سورة يس، ثم يقرأ الدعاء رافعاً يديه أمام وجهه، كما فى الأدعيةالعادية، ويفعل غيره من المتعبدين مثله، ويقرأ الفقيه كلمة أو أكثر يرددها الآخرون بعده. والدعاء كما يلى: "اللهم ياذا المن، ولايمن عليه، ياذا الجلال والإكرام، ياذا الطول والإنعام، اللهم إن كنت كتبتنى عندك فى أم الكتاب شقياً، أو محروماً، أو مقتراً على فى الرزق، فامح اللهم بفضلك شقاوتى وحرمانى، واقتار رزقى، وأثبتنى عندك، فى أم الكتاب، سعيداً مرزوقاً، موفقاً للخيرات. فانك قلت (وقولك الحق) فى كتابك المنزل على لسان نبيك المرسل: "يمحو الله ما يشاء ويثبت، وعنده أم الكتاب" إلهى بالتجلى الأعظم ، فى لية النصف من شهر شعبان المكرم، التى يفرق فيها كل أمر حكيم، ويبرم، أن تكشف عنا من البلاء ما نعلم، ومالا نعلم، وما أنت به أعلم، إنك انت الأعز الأكرم. صلى الله على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم". وبعد ترديد ذلك يتلو المتعبدون دعاء خاص.

رؤية هلال رمضان

تسمى الليلة التى يترقب فيها إهلال رمضان "ليلة الرؤية" فيذهب نفر من الناس عصر اليوم السابق أو قبل ذلك، ليقضوا بضع ليال فى الصحراء، حيث يصفو الجو خاصة، لرؤية الهلال الجديد. إذ أن الصيام يبدأ فى اليوم التالى لرؤية الهلال، فاذا تعذرت رؤيته بسبب السحب، بدأ الصوم عندما يتم شعبان ثلاثين يوماً. وتكفى شهادة المسلم الواحد أنه رأى الهلال لإعلان الصيام وفى مساء ذلك اليوم يسير موكب المحتسب، ومشايخ الحرف المتعددة: الطحانين، والخبازين والجزارين، والقصابين، والبدالين، وباعة الفاكهة، ومعهم بعض أعضاء آخرين من هذه الحرف، وفرق من الموسيقيين، وعدد من الفقراء، يتقدمهم، أو يتخللهم، فرق من الجنود، من القلعة إلى مجلس القاضى، وينتظرون هناك عودة أحد المرسلين لروية الهلال أو شهادة أى مسلم آخر على إنه رآه. وتزدحم الشوارع التى يمر منها هذا الموكب بالمشاهدين على الجانبين. ويتكون موكب ليلة الرؤية الآن من مشاة النظام خاصة. ويتقدم حاملو المشاعل كل فرقة من الجنود ويتبعونها، لينيروا لهم الطريق عند العودة، ويتلوهم شيخ حرفة ما وآخرون من أتباعه وعدة فقراء يصيحون طوال الطريق: الصلاة! الصلاة! صلوا على النبى عليه السلام. ويفصل كل فرقتين أو ثلاث فاصل مدته عدة دقائق. ويختم المحتسب وتابعوه الموكب. وعندما يصل خبر رؤية الهلال إلى مجلس القاضى، يقسم الجنود والمجتمعون الآخرون أنفسهم إلى عدة فرق، تعود إحداها إلى القلعة، ويجول الآخرون فى الأحياء المختلفة صائحين: "يا أمة خير الأنام! صيام صيام". وعندما لا يرى القمر هذه الليلة، يخبر الشعب بهذا القول: "غداً من شهر شعبان. فطار! فطار!"- ويقضى الناس على العموم شطراً كبيراً من الليل (عندما يعلن بدء الصيام فى الغد) فى الأكل والشرب والتدخين، ويبتهجون كما يبتهجون عادة عندما يخلصون من شقاء صيام اليوم. ويضاء داخل المساجد هذه الليلة كما تضاء فى الليالى التالية. وتعلق المصابيح عند مداخل المساجد وفوق شرفات المآذن، ويجوب الأطفال الشوارع ممسكين بالفوانيس يهزونها فى أيديهم صائحين: وحوى يا وحوى، إياحا (أو، ايوحا) رحت يا شعبان ، جيت يا رمضان. الخ. ويعترض بعض هؤلاء الأطفال المارة، طمعاً فى نفحة صغيرة، مرددين: حاللو يا حاللو. رمضان كريم يا حاللو. حل الكيس وادينا بقشيش. لنروح ما

نجيش يا حاللو...

لم يعد المرء يشاهد، فى رمضان، المارة يمسكون بشبكهم [انبوب التدخين: الغليون]فى الشوارع، كما كان يشاهد فى أوقات أخرى، فيراهم بدلا من ذلك، إلى ما قبل الغروب، يحملون عصا أو مسبحة، أولا يحملون شيئاً. ولم يعد بعض المسيحين الآن يخشون، كما اعتادوا ذلك، التدخين فى حوانيتهم على مرأى من المسلمين الصائمين. وتبدو الشوارع كئيبة فى الصباح، إذ أن كثيراً من الحوانيت يغلق غير أنها تفتح جميعاً فى العصر وتزدحم كالمعتاد. ويعبس المسلمون فى حديثهم على العموم، أثناء النهار، عندما يصومون. وفى الليل، بعد الإفطار، يبشون ويمرحون بطريقة غير عادية. وعادة كبار الأتراك بالقاهرة وكثيرين غيرهم، أن يقصدوا مسجد الحسين، عصر كل يوم فى رمضان للصلاة والاسترخاء. وفى هذا الوقت يعرض بعض التجار الأتراك الذين يسمون "تحفجية" (بضم التاء وفتح الحاء وتسكين الفاء)، على الناس، فى ساحة الميضأة، مجموعة من البضايع ذات ذوق وترف يلائمان رغبات مواطنيهم. ومن الشائع، فى هذا الشهر أن تشاهد تجاراً فى حوانتيهم يتلون القرآن أو الأدعية، أو يوزعون الخبز على الفقراء. وعند المساء، وبعد الغروب بقليل، يزداد المتسولون مضايقة وإلحاحاً أكثر من المعتاد. وفى هذه الأوقات تزدحم المقاهى بأخلاط الناس، فأكثرهم يفضل الإفطار بتناول القهوة والشبك [الغليون]، وقل من لا يصومون من الفقراء. غير أن كثيراً من الطبقتين العليا والوسطى يفطرون سراً.

وفى رمضان، على العموم، يوضع كرسى صينية الطعام، قبيل المغرب، فى غرفة الاستقبال بمنازل الطبقتين العليا والوسطى. ويوضع فوقه صينية مدهونة باللك، وفيها صحاف عديدة تحوى أصنافاً مختلفة من الفاكهة المجففة (تسمى نقلا) مثل البندق (المقلي على العموم)، والزبيب، والجوز واللوز بقشرهما، والبلح والتين المجففين، والبندق المسكر، الخ، والكعك. ويوضع معها أيضاً عدة "قلل" من الماء المحلى بالسكر ومعها عادة كوبة أو كوبتان زيادة على عدد الزائرين الحاضرين، ليشترك فى الشرب كل من يقدم على غير انتظار. وكثيراً ما تضاف قطعة من الجبن الطازج وبعض الخبز. ويجهز الشبك أيضاً. والعادة أن تزود المنازل التى يكثر زوارها بشبكات من القصب. ويشرب رب الدار ومن يكون معه من أسرته

أو من أصدقائه كوباً من الشراب، بعد أذان المغرب مباشرة، وهو يتلو الغروب بأربع دقائق، ثم يقيمون الصلاة عادة. وبعد ذلك يتناولون بعض النقل، ويدخنون الشبك. وبعد هذا الأكل الخفيف، يجلسون لتناول طعام وافر من اللحم وغيره، ويسمونه "فطوراً". وبعد الفراغ من الطعام وشرب القهوة وتدخين الشبك، يقيمون صلاة العشاء ويؤدون صلاة التراويح. وتتكون صلاة التراويح من عشرين ركعة، وتردد بين صلاة العشاء والوتر. وقل من يقيم هذه الصلاة إلا في المسجد، حيث يوجد إمام يؤم المصلين، فلا يفعلون أكثر من متابعة حركاته. وتقفل المساجد الصغيرة في رمضان بعد صلاة التراويح. وتظل الجوامع الكبيرة مفتوحة إلى السحور، أو إلى الإمساك. ويضاء داخلها ومداخلها مادامت مفتوحة، وتضاء المآذن طوال الليل. ويختلف مدى الوقت الذى يسمح للمسلمين بالإفطار فيه (وهو يبدأ من المغرب، كما سبق ذكره) من ١١ ساعة و٥٥ دقيقة إلى ٧ ساعات و٤٦ دقيقة (عند خط طول القاهرة)، تبعاً لطول الليل أو قصره، إذ أن الإمساك يكون دائماً قبل صلاة الفجر بعشرين دقيقة. ومن ثم يصوم المسلم كل يوم ١٢ ساعة وخمس دقائق إلى ١٦ ساعة و١٤ دقيقة.

ويتناول المسلمون على العموم فطورهم بالمنزل فى شهر رمضان، وبعد ذلك يمضون أحياناً ساعة أو ساعتين فى منزل أحد الأصدقاء. ويقصد الكثير منهم، وخاصة أفراد الطبقة الدنيا المقاهى مساء، إما للاجتماع بالناس، وإما للاستماع إلى أحد القاصين الذين يسلون القوم فى عدة مقاهى كل ليلة من هذا الشهر. ويشاهد فى الشطر الأكبر من الليل كثيراً من المارة فى الشوارع. وتظل دكاكين المشروبات والمأكولات مفتوحة. وهكذا ينقلب الليل نهاراً، وبخاصة عند الأغنياء، الذين ينام أكثرهم معظم النهار. وجرت عادة بعض علماء القاهرة أن يقيموا ذكراً في منازلهم كل ليلة من ليالى رمضان. وقد يدعو بعض الآخرين أيضاً أصدقاءهم، ويسلونهم باقامة ذكر أو خاتمة.

فى كل ليلة من ليالى رمضان يجول "المسحرون" ليقولوا أولا كلمة ثناء أمام كل منزل يستطيع صاحبه أن يكافئهم، وفى ساعة متأخرة يجولون ليعلنوا وقت السحور. ولكل "خط"، أو قسم صغير، فى القاهرة مسحر. ويبدأ المسحر جولاته بعد الغروب بساعتين تقريباً (أى بعيد أداءصلاة العشاء)، ممسكاً بشماله طبلا صغيراً يسمى "بازا" أو "طبلة المسحر"، وبيمينه عصا صغيرة أو

سيراً من الجلد، يضربه به، ويصحبه غلام يحمل قنديلين فى إطار من الجريد ويقفان أمام منزل كل مسلم غير فقير، وفى كل مرة، يضرب المسحر طبله ثلاث مرات:

ثم ينشد قائلا: "عز من يقول، لا إله إلا الله". ثم يضرب بالطريقة نفسها ويضيف قائلا: "محمد الهادى رسول الله". ثم يعود إلي ضرب طبله ويواصل كلامه: "وأسعد لياليك، يا فلان (مسمياً صاحب المنزل)". إذ يستفهم من قبل عن أسماء سكان كل منزل، فيحيى كلا منهم، ما عدا النساء، بالطريقة نفسها، فيسمى أخوة سيد المنزل وأولاده وبناته الأبكار قائلا فى الحالة الأخيرة، "أسعد الليالى إلى ست العرايس فلانه"، ويضرب طبله بعد كل تحية. وبعد أن يحيى الرجل (أو الرجال) يقول: "ليقبل الله منه صلواته وصيامه وطيباته" ويختم بقوله: الله يحفظك، يا كريم، كل عام". وهو ينشد، أمام منازل العظماء (كما فى أحوال أخرى أحياناً)، بعد أن يقول: (عز من يقول: لا إله إلا الله، محمد الهادى رسول الله) أغنية طويلة فى سجع غير موزون، يبدأ فيها باستغفار الله، ويصلى على الرسول، ثم يأخذ فى رواية قصة المعراج وغيرها من قصص المعجزات المماثلة، ضارباً طبله بعد كل قافية. ولا يقف المسحر على منازل الحزانى. ويتناول المسحر على العموم من منزل البعض مبلغاً زهيداً كل ليلة.

قد يتأثر القارىء بما رويت قبلا عن وظيفة المسحر اعتبارها صورة لأخلاق المسلمين، ولكنه سيزيد دهشة مما يلى: كثيراً ما يعمد نساء الطبقة المتوسطة إلي وضع نقد صغير (خمسة فضة، أو من خمسة فضة إلى قرش، أو أكثر) فى ورقة، ويقذفن بها من النافذة إلى المسحر، بعد أن يشعلن الورقة ليرى المسحر مكان سقوطها. فيقرأ الفاتحة بناء على طلبهن أحياناً، أو من تلقاء نفسه، ويروى لهن قصة قصيرة، فى سجع غير موزون، ليسليهن، مثل قصة "الضرتين" - وهي قصة مشاجرة امرأتين متزوجتين رجلا واحداً. وبعض ما يرويه فى هذه المناسبات بذىء. ويستمع إليه مع ذلك النساء الحسنة السمعة. وهو ما يدل على شدة التناقض والتقلب فى الخلق.

ولا يقام فى هذا الشهر أذانا "الأولى" و"الأبد" ويستبدل بهما آخران. ويلقى أولهما، ويسمى "الأبرار"، بين ساعة ونصف ونصف ساعة قبل منتصف الليل، حسب طول الليل أو قصره. ويتكون من الآيات التالية، من سورة الإنسان: "إن الأبرار يشربون من كأس

كان مزاجها كافوراً. عيناً يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيراً. يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيراً. ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيما وأسيراً. إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءاً ولا شكوراً" - ويسمى الأذان الثانى "السلام" وهو مجموعة الصلوات على الرسول تشبه تلك التى تقرأ قبل صلاة الجمعة، ولكنها لا تشبهها دائماً. ويلقى على العموم بعد منتصف الليل بنصف ساعة. ويلقى أذان الصباح أكثر تبكيراً من المعتاد، لتنبيه المسلمين إلى تناول "السحور"، فيؤذن قبل الإمساك بساعتين ونصف تقريباً، فى الليالى الطويلة، وبساعة ونصف تقريباً، فى الليالى القصيرة. وهناك أذان آخر يلقى من "الدكك" في الجوامع قبل الإمساك بعشرين دقيقة، كتنبيه أخير لمن يكون قد أهمل تناول الطعام. ويصيح "الميقاتى" (الذى يعلن أوقات الصلاة الخ.) أو بعض آخر، وقت الإمساك فى هذه الجوامع: "ارفعوا" (طعامكم الخ). ويتجول المسحر، قبل الإمساك بساعة ونصف، ليوقظ من الناس من أمروه بالمناداة عليهم، ليتناولوا الطعام، أو ليذكرهم بذلك، فيقرع الباب، وينادى إلى أن يجاب. ويفعل مثله بواب كل حى عند كل منزل فى الحى. وبعض الناس يتناولون فطوراً خفيفاً، ويجعلون السحور الوجبة الرئيسية. ويفعل آخرون العكس، أو يجعلون الوجبتين مماثلتين. وينام أكثر الناس فى نصف الليل تقريباً.

يمضى بعض أتقياء المسلمين الأيام العشرة الأخيرة من رمضان ولياليها فى مسجد الحسين أو مسجد السيدة زينب. وتسمى إحدى تلك الليالى، والمفروض على العموم أن تكون السابعة والعشرين (أى الليلة السابقة على يوم السابعة والعشرين) "ليلة القدر". ويقال إن القرآن أنزل على محمد فى هذه الليلة، وإنها "خير من ألف شهر". ويعتقد أن الملائكة تنزل فى بدء تلك الليلة إلى الفجر لتحمل النعم إلى المؤمنين، وأن الدعاء يجاب بلا ريب، إذ أن أبواب السماء تفتح حينئذ. ويقال إن الماء المالح ينقلب فجأة عذباً فى هذه الليلة ولذلك يراعى بعض الأتقياء الليالى العشرة الأخيرة من رمضان بخشوع عظيم، لجهلهم أيها ليلة القدر. ويبقون أمامهم وعاء من الماء المالح يتذوقونه أحياناً، ليختبروا حلاوته فيتأكدوا من الليلة. ووجدت، مع ذلك، أن هناك سنة للرسول تحددها فى ليلة مفردة العدد، فى ليلة ٢١،أو ٢٣، أو ٢٥، أو ٢٧، أو٢٩ .

عيد الفطر

يحتفل فى الأيام الثلاثة الأول من شهر شوال بأصغر العيدين (عيد الفطر)، ويسمى عامة "العيد الصُغير"، وعلى الأصح "العيد الصغير". ويبدأ هذا العيد بانتهاء الصيام. وبعيد شروق شمس اليوم الأول، يظهر الناس فى حللهم الجديدة و فى أحسنها، ويجتمع الرجال فى المساجد، ويصلون ركعتين، سنة العيد، ثم يلقى الخطيب الخطبة. ويتعانق الأصدقاء، مهنئين بعضهم بعضاً، حينما يتقابلون فى المسجد، أو فى الشارع،أو فى منازلهم. وهم يتزاورون لهذا الغرض على العموم. ويلبس البعض، حتى من الطبقة الدنيا، ملابس كاملة جديدة، ويكاد الكل يلبسون شيئاً جديداً، ولو حذاء فقط. ويقدم السيد لخادمه قطعة واحدة من الثياب على الأقل، جديدة، ويتناول الخادم بعض قروش من كل من أصدقاء السيد، عند زيارتهم المنزل، أو عندما يذهب إليهم ليهنئهم. وإذا كان الخادم قد خدم سيداً سابقاً، فانه يذهب لزيارته أيضاً، فيكافئه لهذه المشقة. وقد يهدى إليه طبقاً من الكعك، فيتناول مقابل ذلك ضعف قيمته، أو أكثر، نقوداً. ويأكل أهل القاهرة فى هذا العيد "فسيخاً"، "وكعكاً" و"فطيراً" و"شريكا" ويجهز بعض العائلات أيضاً طبقاً يسمى"ممززة" يتكون من اللحم والبصل، والدبس، والخل، والدقيق الخشن. ويحضر رب المنزل لعائلته عادة "نقلا، كالبندق والزبيب الخ. وتقفل أغلب حوانيت العاصمة، ما عدا حوانيت المأكولات والمشروبات، غير أن الشوارع تظهر، الحشد المارة فى ملابس العيد، فى منظر بهيج.

زيارة المقابر فى عيد الفطر

يزور أفراد العائلة، بعضهم أو جميعهم، والنساء خاصة، مقابر أقاربهم، فى يوم من أيام هذا العيد أو أكثر. ويفعلون ذلك أيضاً فى العيد الكبير. ويحمل الزوار، أو خدمهم، السعف والريحان أحياناً، لوضعه فوق القبور التى يزورونها. ويشق السعف إلى عدة قطع يضعونها جميعاً، أو أوراقها فقط، فوق القبر، ويشاهد فى هذا الوقت جماعات عديدة من النساء، يحملن السعف فى طريقهن إلى المقابر بجوار العاصمة. وهن يزودون أيضاً، حسب ظروفهن، بالكعك والشريك والفطير والبلح، أو بعض المأكولات الأخرى، لتوزيعها على الفقراء الذين يقصدون المقابر فى هذه الأيام. وتنصب الخيم أحياناً لهن وتحيط الخيمة بالقبر، موضع الزيارة. ويتلو الزائرون الفاتحة، أو إذا استطاعوا يستخدمون شخصاً لقراءة

سورة يس أولا، أو جزءاً أكبر من القرآن. وقد يستخدم عدة فقهاء لقراءة خاتمة القرآن عند القبر، أو فى المنزل. ويعود الرجال على العموم عقب القيام بهذه الطقوس مباشرة. ويذهب النساء عادة إلى القبر مبكرات فلا يعدن قبل العصر. وبعضهن (أولئك لا يعتبرون على العموم حسنات السيرة) يمضين الليلة فى الخيمة، ويبقين إلى نهاية العيد، أو إلى عصر يوم الجمعة التالى. وكذلك يفعل نساء العائلة التى تملك مدفناً مسوراً خاصاً ومنزلا بداخله، إذ أن هناك عدة مدافن مسورة مثل هذا، يوجد بعدد غير قليل منها منازل لراحة النساء، وسط مقابر القاهرة العامة، ويقال إن المكائد ليست غير شائعة فى النساء اللائى يمضين الليل فى الخيام بين المقابر. وتعرض مقبرة باب النصر الكبيرة، فى القسم الصحراوى القائم شمال العاصمة مباشرة، فى العيدين منظراً يستحق الاعتبار. وتقام فى جانب قريب من باب المدينة الذى تستمد منه المقبرة اسمها، عدة أراجيح، وخيم كبيرة يعمل بها الراقصون، ورواة أبى زيد، وغيرهم من الاعبين، وترى خلال المقابر عدة خيم لاستقبال زوار القبور.

المحمل وكسوته:

عقب العيد السابق ذكره بيومين أو ثلاثة أيام تقريباً تحمل الكسوة المرسلة سنوياً مع قافلة الحجاج الكبرى، فى موكب يسير من القلعة، حيث تصنع على نفقة السلطان، إلى مسجد الحسين، لتخاط أقسامها معاً، وتبطن استعداداً للحج القريب. والكسوة ديباج أسود غليظ، تغطيه نقوش لآيات قرآنية الخ، تنسج بالحرير من اللون نفسه، ويعبر كل جانب شريط عريض، مزين بنقوش مشابهة تشغل بالذهب. وإنى أكتب الآن عن موكب الكسوة، بعد عودتى من مشاهدته، فى السادس من شهر شوال عام ١٢٤٩ (١٥ فبراير ١٨٣٤).

أخذت مجلسى بعد شروق الشمس فى دكان كتبى الباشا فى شارع المدينة الرئيسى مقابل مدخل سوق خان الخليلى تقريبا. وكان هذا الدكان وكل دكاكين الشارع تقريباً مزدحمة بأشخاص جذبتهم الرغبة فى مشاهدة الموكب شيوخاً وشباناً. والمصريون من كل طبقة ومركز وسن يجدون لذة كبيرة فى روية المشاهدات العامة. ولكن الشوارع لم تكن مزدحمة الازدحام العادى فى مناسبات مواكب المحمل. وبعد الشروق بساعتين تقريباً كانت الأقسام الأربعة التى تكون كل منها جانباً من الكسوة قد مرت محمولة

بالمكان الذى اتخذت فيه مركزى؛ فوضع كل قسم من الحبال التى تربط بها على حمار. ولم تكن الحمير مزينة إطلاقاً، ولا مسرجة باتقان، وكان الحمارون فلاحين عاديين، باللباس الأزرق العادى. ثم مضت ثلاثة أرباع الساعة تقريباً، ولم يضهر شىء يخفف من ثقل هذه الوقفة الطويلة غير مرور بغض الدراويش ومهرجين وقفا اتفاقاً أمام دكان شاهدا به أشخاصاً حسنى الملبس وذلك لأجل الحصول على عطية، فاشتبكا فى قتال مصطنع، وشتم كل منهما الآخر بألفاظ غليظة مرتفعة، وصفعه على وجهه بشدة.

بعد هذا قدم حوالى عشرين رجلا فى ثياب رثة يحملون على أكتافهم إطاراً طويلا من الخشب امتد عليه ربع "الحزام" (أى الشريط السابق ذكره) وهو قطع أربع تكون حينما تخاط معاً إلى كسوة شريطاً متصلا يحيط بالكعبة جميعاً إلى ثلثى ارتفاعها تقريباً، وهو من نسج الكسوة نفسها. وتشغل النقوش الذهبية خطوط جميلة متسعة. ويحيط بكل ربع حاشية ذهبية، ويزين كل طرف، حيث تتصل الحواشى العليا والسفلى، بالحرير الأخضر والأحمر، يخاط به ويزركش بالذهب. وكثيراً ما يتقدم أحد حاملى "الحزام" إلى بعض المشاهدين المحترمين ليسألهم عطية. ومضى نحو ربع ساعة بعد أن مر ربع الحزام الأول، ثم مرت الثلاثة أرباع الأخرى متتالية مباشرة بالطريقة نفسها، ثم فاصل آخر مدة نصف ساعة جاءت بعده عدة جمال مرتفعة مخضبة بالحناء الخفيفة، وتعلوها سروج مرتفعة مزينة وكان يركب كل منها ولد واحد أو بنت واحدة أو أكثر، وكان على بعضها قطط. وكان يتبع ذلك جماعة من "البلطجية" (أو فرقة الطليعة)، وهم فرقة موسيقية عسكرية ممتازة (آلاتها مختلفة الأنواع، ولكنها تتكون من الأبواق غالباً، وجميع أفرادها أوربيون) وحرس الباشا، هم فرقة مشاة من الشبان المختارين يلبسون لباساً موحداً من الأسمر الضارب إلى الأزرق القاتم، وأحذية حمراء جديدة، وجوارب.

وكان يحمل بعد ذلك، مثبتاً على ظهر جمل جميل، "البرقع" كثيراً ما يسمى العامة هذا: "برقع ستنا فاطمة". إذ يقال إن فاطمة شجرة الدر زوجة السلطان الصالح كانت أول من أرسل برقعاً من هذا النوع لتغطية باب الكعبة، وهو الستار الذى يعلق أمام الكعبة، ممدوداً على إطار مرتفع من الخشب. وهو من الديباج الأسود، المزركش

على طريقة الحزام، بنقوش من القرآن فى حروف من الذهب، ولكنه أكثر فخامة وزينة، وكان مبطناً بالحرير الأخضر. وكان وجه البرقع ممتداً على يمين الإطار، والحرير الأخضر على اليسار. وكان يتبع ذلك فرق عديدة من الدراويش بأعلامها، وبينها "شواليش" كثيرة، وهى أعلام طوائف الدراويش الرئيسية. وحمل كثير من الدراويش أعلاماً عليها الشهادتين (لا إله إلا الله، محمد رسول الله)، أو آيات من القرآن، وأسماء الله، والرسول، ومؤسسي طوائفهم. وحمل كثير من دراويش القادرية شباكاً، مختلفة الألوان، يمتد كل منهاعلى إطار فوق عمود. هؤلاء الدراويش صيادون. وبعضهم كان يردد أسماء الله وصفاته، كما في الذكر العادى. واشتبك رجلان، مسلحين بالسيف والترس، فى قتال مصطنع. وكان هناك رجل آخر يركب حصاناً، ويلبس لباساً غريباً من جلد الخراف، وقلنسوة جلدية مرتفعة، وذقناً مقلدة مضحكة، تتكون من قطع صغيرة من الفتل الصوفية، حسب الظاهر، وشاربين من ريشتين سمراوين طويلتين. وكان هذا الرجل يتظاهر بكتابة "فتاوى"، فيتناول من المشاهدين ورقاً، ويأخذ قطعة من الخشب ينخس بها جواده، كأنه يضعها فى وعاء الحبر. غير أن أكثر الفرق اعتباراً، فى هذا القسم من الموكب، هم دراويش الرفاعية، ويسمون أولاد علوان، وقد حمل منهم مسمار حديدياً، طوله قدم تقريباً، ويعلو طرفه الغليظ كرة حديدية، يعلق بها عدد من السلاسل القصيرة الدقيقة. ودفع كثير من هؤلاء الدراويش، حسب الظاهر، المسمار فى عيونهم بعنف، وسحبوه دون أدنى مظهر لضرر ما. ويبدو المسمار مغروزاً إلى عمق بوصة تقريباً. وقد أجادوا القيام بهذه الحيلة إجادة طيبة. ويكتفى باعطاء المشعوذ الدينى قطعة نقدية صغيرة، أو حشوة شبك، جزاء على هذا العرض الخارق المزعوم. وبدا المشاهدون بجانبى لا يشكون فى خداع هذا العمل الغريب. وقد لا منى أحدهم، وهو رجل ذو معرفة فائقة، لتعبيرى عن رأيى فى هذا العمل بأنه براعة فى الاحتيال. وكان أغلب دراويش الموكب من الرفاعية، وكان يتبعهم شيوخهم راكبين الجياد.

وجاء بعد ذلك المحمل، وقد أضيف إلى موكب الكسوة لزيادة العرض. أما موكب المحمل العظيم السابق على سفر قافلة الحجاج الكبيرة فيكون بعد ذلك بمدة تتراوح بين أسبوعين وثلاثة أسابيع. وتلا المحمل غطاء أسود آخر، مستطيل الشكل مزركش بالذهب على الطريقة نفسها، وهو يوضع

على مقام إبراهيم، فى مسجد مكة. وركب خلف هذا ضابط تركى يحمل علبة صغيرة من الحرير الأخضر مزركشة بالذهب، بها مفتاح الكعبة، فوق منديل مطرز. وأخيراً، تبع كل ذلك شيخ نصف عارى المذكورون ويصحب القافلة إلى مكة ومنها، راكبا جملا، ولا ينفك عن تدوير رأسه.

يخرج كبار الضباط وحرس قافلة الحجاج الكبيرة فى القسم الآخر من شوال وليس دائماً فى اليوم نفسه من الشهر، ولكن على العموم فى الثالث والعشرين أو ما يقرب منه، مخترقين العاصمة، من القلعة، فى موكب عظيم متقدمين المحمل. ويسمى هذا "موكب المحمل". ويجتمع الأشخاص المختلفون الذين يشتركون فى الموكب. وأغلبهم يسافرون مع القافلة، فى قراميدان والرميلة (وهما ميدانان واسعان) أسفل القلعة، ويأخذون أماكنهم هناك بالنظام الموضوع. ولما كان هذا الموكب يقل فخامة فى كل عام على التوالى تقريباً، فانى أصفه كما شاهدته أول مرة أثناء زيارتى الأولى لمصر. وكانت الشوارع التى يمر بها الموكب مزدحمة الجانبين بالمشاهدين، جلوساً على مصاطب الدكاكين المقفلة، وواقفين أسفلها على الأرض. وحصلت على مكان جيد فى أحد دكاكين الشارع الرئيسى الذى يمر الموكب فيه إلى باب النصر.

بدأ الموكب يتقدمه مدفع ميدان صغير، يستخدم لإطلاق إشارة رحيل القافلة بعد كل محط، وكان قد مضى على شروق الشمس ثلاث ساعات تقريباً. وتبع ذلك فرقتان من الفرسان الأتراك غير النظامين (الدلى والتُفَكجى) تتكونان من خمسمائة رجل، أكثرهم فى ثياب رثة، ويبدون معاً بمظهر قطاع الطرق. بعد ذلك، بنصف ساعة تقريباً، ظهر عدة رجال راكبين الجمال، يضرب كل منهم زوجاً من النقارات مربوطاً بمقدم السرج. وخلفهم جمال أخرى لا يركبها راكب، ذات أسرجة محشوة كبيرة، وكانت تلك الجمال جميعاً مصبوغة باللون البرتقالى المغبر بالحناء. وكان بعضها يحمل سعفاً أخضر مثبتاً عامودياً فوق أسرجتها كريش ضخم، وغيرهم مزينة بأعلام صغيرة، ويحمل الكثير منها جرساً كبيراً معلقاً على كل جانب. وكان بعضها أيضاً تحمل قرباً، وأحدها يحمل "الخزانة"، وهى صندوق مربع، مغطى بالجوخ الأحمر، يحوى المال اللازم للقيام بنفقات الحج التى تقع على عاتق الحكومة. ثم تبعت ذلك أمتعة أمير الحج، والكسوة الجديدة، تحملها

الجمال. وبعد ذلك فاصل آخر.

وجاء بعد هؤلاء عدة دراويش، يحركون رؤوسهم من جانب إلى آخر، ويرددون اسم الله. وكان مع هؤلاء عدة جمالين وسقائين وكناسين وغيرهم، وكان بعضهم يصيح "عرفات! يالله!" و"الله! الله! بالسلامة". ثم جمال أخرى، بعضها محمل السعف، وأخرى بأجراس كبيرة، كما سبق. وبعد ذلك: "تختروان أمير الحج"، مغطى بالجوخ الأحمر ويحمله جملان، وقد زين سرج الجمل المتقدم بعدة أعلام صغيرة. وتبع التختروان بعض العرب و"دليل الحاج". ثم عدة جمال، وفرق من الدراويش وغيرهم. ثم جاء حوالى خمسين رجلا من أتباع الباشا، راكبين فى أحسن ملابس، ثم عدد من الضباط يحملون عصياً فضة الرأس، وبنادق، ثم رئيس فرقة الدلى، وضباطه، ثم فرقة أخرى من الأتباع، راكبين مثل السابقين، ولكنهم أقل درجة: وكان يتبع هؤلاء عدة ضباط آخرين من البلاط، مترجلين، ومتدثرين بقفاطين من القصب. وقدم بعد ذلك مبارزان، عاريين إلى الوسط، ويحمل كل منهما ترساً مستديراً صغيراً. وقد وقفا عدة مرات ليشتبكا فى مبارزة. وقد ناولهما بعض المشاهدين عطايا. وجاءت خلفهم فرقة من الدراويش، وجمالون، وآخرون، يرددون الكلام السابق.

وبعد مدة قصيرة، كانت أصوات الطبول والصفافير تسمع، وتقدمت فرقة عظيمة من النظاميين. وجاء بعد ذلك "الوالى" (رئيس الشرطة) فى نفر كثير من ضباطه. ثم اتباع أمير الحج، ثم أمير الحج نفسه، ثم ثلاثة من الكتبة، ثم فرقة من فرسان المغاربة، ثم ثلاثة من "مبلغى" الجبل، يلبسون العباءة البيضاء المنسوجة بالقصب. ووظيفة "المبلغ" هى ترديد بعض كلمات الخطيب على جبل عرفات. ثم تخلل الموكب مرة أخرى فرق عديدة من الجمالين والكناسين والسقائين وآخرين، ويردد الكثير منهم الكلام السابق. وقد ركب وسط هؤلاء أئمة المذاهب الأربعة. وتبعتهم فرق عديدة من الدراويش المنتمين إلى طوائف مختلفة، بأعلامهم الطويلة وراياتهم. وكان القادرية يحملون علاوة على مدرهم ذات الشباك المختلفة الألوان، جريداً طويلاً كأنها عصى الصيد. وكان على رأس كل من هذه الفرق نقاقير ومزامير، وآلات أخرى، تحدث موسيقى غليظة. وكان يتبعهم أشخاص يمثلون الحرف المختلفة، يرأس كل فئة منهم شيخهم.

جاءت بعد ذلك جمال عديدة ثم المحمل. وتدافع الكثير من الجمهور فى الشوارع نحوه بعنف، ليلمسوه بأيديهم، ثم يقبلونها بعد ذلك. وأدلى كثير من النساء اللائى شاهدن المنظر من نوافذ المشربيات شيلانهن أو براقعهن، ليلمسن بها المحمل المقدس. وكان يسير خلف المحمل مباشرة الشخص نفسه الذى تكلمت عنه عند وصف عودة المحمل إلى القاهرة وموكب الكسوة: وكان الشيخ نصف العارى جالساً على جمل يدور برأسه.

وفى السنوات السابقة، كانت العادة أن يحمل المحمل، بهذه المناسبة، بفخامة فائقة، وخاصة فى أيام المماليك، والذين كان يحضرون الموكب فى أفخم ملابسهم، عارضين أفخر الأسلحة وعدد الحرب. ويتسابقون، كل مع الآخر فى الفخامة. ،كانت العادة على العموم أن يسبق المحمل فرقة من السعدية، يأكلون الثعابين الحية.

ويظل المحمل، ومتاع الأمير، الخ.، على العموم يومين أو ثلاثة أيام أو أكثر فى سهل الحصوة، شمالى العاصمة، ثم يتقدم إلى بركة الحاج، على بعد أحد عشرة ميلا من المدينة، ويبقى هناك يومين. ويعد هذا المنزل الأخيرة ملتقى الحجاج. وترحل القافلة من هناك فى السابع والعشرين من شوال عادة. ويدوم السفر إلى مكة سبعة وثلاثين يوماً. ويمتد الطريق فى صحراء صخرية ورملية، نادرة الخضرة. وللتخفيف من شدة السفر، تسير القافلة ببطء، ليلاً غالباً، وترحل قبل الغروب بساعتين تقريباً، وتستريح فى الصباح التالى بعيد الشروق. ويفضل كثير من الحجاج الأتراك، وكثير غيرهم، الذهاب بطريق القصير أو السويس والبحر الأحمر، ويرحلون من القاهرة على العموم قبل القافلة الكبيرة بشهرين ونصف تقريباً.

العيد الكبير الأضحى

يبدأ العيد الكبير فى العاشر من ذى الحجة. ومدته أربعة أيام، وتراعى فيه العادات نفسها تقريباً. فيلبس الناس أحسن ملابسهم، أو حلة جديدة، ولكن الغالب لبس الملابس الجديدة فى العيد الصغير. وتقام المساجد فى اليوم الأول، بعيد الشروق، مثل العيد الصغير، ويراعى أغلب الناس العادات نفسها الخاصة بالزيارات والتهانى والعطايا. وتنحر الضحية فى اليوم الأول، الذى هو يوم ضحية الحجاج. وهى واجب يراعيه أكثر الذين يستطيعون القيام به. وتقاد إلى القاهرة لعدة أيام سابقة قطعان عديدة من

الغنم، وعدة جواميس لتباع للتضحية. وتراعى كذلك زيارة القبور السابق ذكرها. ويحتفل على العموم بالعيد الصغير ببهجة تفوق بهجة العيد الكبير. ويجهز أغلب الناس فى العيد الكبير طبق "فتة" يتكون من لحم الخروف المسلوق، أو لحم آخر (لحم الضحية) يقطع قطعاً صغيرة، ويوضع على خبز مكسر، ويصب عليه مرق اللحم، وبعض الخل المتبل بقليل من الثوم فى السمن، ثم يرش عليه بعض الفلفل.

وصول قافلة الحج إلى القاهرة:

تصل قافلة الحجاج المصريين القاهرة فى أواخر شهر صفر على العموم. ولذلك يسمى العامة هذا الشهر "نزلة الحجاج". ويصل كثير من الحجاج قبل القافلة عن طريق البحر الأحمر. وتصل قافلة الحجاج التجار بعد كل هؤلاء.

ويصل "جاويش الحج" قبل القافلة بأربعة أيام أو خمسة راكباً هجيناً سريعاً ويصحبه عربيان، وهو يسرع ليعلن نبأ قرب "الحج" واليوم المنتظر لوصولهم العاصمة، وليحمل رسائل الحجاج إلى أصدقائهم. ويصيح الجاويش وزملاه طول الطريق: "الصلاة على النبى!" أو "صل على النبى!" فيرد من يسمعه من المسلمين: "اللهم صل عليه!"، ويتقدمون مباشرة إلى القلعة لحمل الأخبار إلى الباشا أو نائبه. ويقسم الجاويش الرسائل إلى رزم يبيعها إلى نفر يتولون توزيعها، فيتناولون الهدايا من المرسل إليهم، وقد يخسر هؤلاء فى هذه الصفقة. أما الرسائل الموجهة إلى العظماء والأغنياء فيحتفظ الجاويش بتوزيعها لنفسه، فيحصل منهم على منحة نقدية أو شال الخ.

ويخرج بعض الناس إلى مقابلة أصدقائهم العائدين من الحج على مسيرة يومين أو ثلاثة، فيحملون معهم مؤناً طازجة وفاكهة الخ، وملابس الحجاج المتعبين. ويندر أن يذهب الفقراء، إلى أبعد من بركة الحاج (على بعد أحد عشر ميلا تقريباً من العاصمة) حيث تمضى القافلة الليلة السابقة على ليلة دخولها العاصمة. وقد يذهبون إلى آخر محط للقافلة فحسب. ويأخذ هؤلاء للحجاج عادة طعاماً، وملابس نظيفة، إن لم تكن جديدة، ويحضرون لهم الحمير عوضاً عن الجمال المنهكة، ويخرج كثيرون لتكريم أصدقائهم بالموسيقى. ومن المؤثر أن تشاهد، عند اقتراب القافلة، الجماعات العديدة تخرج بالطبول والزمامير للترحيب بأصدقائهم القادمين من الأماكن

المقدسة، لمرافقتهم إلى المدينة. وكم منهم خرج يحدوه الأمل فيعود باكياً وقد زايله البهجة والطرب. فالسفر الشاق خلال الصحراء يهلك كثيراً من الحجاج الذين يعجزون عن وسائل الراحة اللازمة. ويبلغ كثيراً من النساء اللائى يذهبن لاستقبال أزواجهن أو أولادهن أخبار محزنة بهلاكهم جوعاً وإعياء. فيملأن الجو عند أوبتهن بصراخهن النافذ الذى يعلو على صوت الطبول وألحان المزمار الحادة المعبرة عن فرح الآخرين. وكثيراً ما يدنو بعض العابرين من الحجاج عند عودتهم متوسلين الدعاء لهم بالمغفرة، فيدعون لهم. وترجع هذه العادة إلى قول الرسول إن الله يغفر للحاج ولمن يدعو له الحاج بالمغفرة.

وإنى أكتب ما يلى من نزلة بركة الحاج عقب مشاهدته مباشرة فى عام ١٢٥٠هـ (١٨٣٤م)- وصلت القافلة إلى آخر محط لها: الحصوة، وهو موضع من الصحراء كثير الصحو، بالقرب من ضاحية القاهرة الشمالية فى الليلة السابقة، عشية الرابع من ربيع الأول، وغادر بعض الحجاج القافلة إلى العاصمة بعد غروب الشمس. ودخلت القافلة هذا الصباح، الرابع من الشهر. وكنت خارج الأسوار بعيد الشروق وقبل أن تقترب القافلة، غير أنى قابلت نفراً من الحجاج لم يطيقوا الانتظار، وقد ركبوا الحمير يتقدمهم الموسيقيون أو حاملو البيارق، ويتبعهم نساء يغنين. وصادفت أيضاً جماعات عديدة من النساء كن خرجن يستخبرن عن أقاربهن، وكن عائدات بالصراخ والنحيب ويبدو بكاء أولئك أقرب إلى الطبيعة وأعمق شعوراً مما يسمع فى الجنائز. وربما كان النحيب هذا العام أكثر منه فى العادة، إذ أنه علاوة على كثرة الأموات، قد جند للجيش ألف رجل. وبعد الشروق بساعتين ونصف تقريباً، أخذت القافلة تقترب من أبواب العاصمة فى صفوف ثلاثة، واتجه أحدها إلى باب النصر، والثاني إلى باب الفتوح، والثالث إلى باب العدوى. وكانت القافلة هذا العام أكثر عدداً (مع أن كثيراً من الحجاج سافر بطريق البحر)، وكانت تتضمن نسبة غير عادية من النساء، بسبب تجنيد كثير من الرجال. وكانت القافلة بصفوفها الثلاثة تسير قطاراً متصلا من الجمال، متقدمة واحداً واحداً، أحياناً اثنين معاً، وقلما كان يقطع هذا النسق فى بعض مواضع. وكان كثير من الحجاج قد نزلوا عن الجمال، استبدلوا بها الحمير المريحة سائرين إلى جانب حمالهم. وكان الكثيرون من هؤلاء يرافقهم

موسيقيون، ويصحب البعض حاملو البيارق.

يسمى أكثر أنواع الهوادج شيوعاً فى الحج "مسطح" أو "حمل مسطح" وهو يشبه الخيمة المربع الصغيرة، ويتكون على الأخص من صندوقين طويلين، لكل منهما ظهر مرتفع. ويوضع الصندوقان فوق الجمل، واحد فى كل ناحية، ويسند ظهرا الصندوقين، وموضعهما إلى الخارج، مع قضيب صغير مستقر على عدة الجمل، غطاء الهودج. وتتسع هذه الركوبة لشخصين. وتفتح من الأمام على العموم وقد تفتح من الخلف أيضاً. وقد تبدو وسيلة النقل تلك مريحة، غير أن الحركة لا تريح المسافر، خاصة إذا كان الجمل يستخدم عادة لنقل الأحمال الثقيلة، فيترجح فى مشيته غير إنه يختار للهوادج على العموم جمال ذوات خطوات مريحة. وهناك نوع من السرر يسمى "شِبرية" يتكون من سطح مربع صغير وغطاء مقوس. وهو لا يتسع لأكثر من شخص واحد. وهو يضع على ظهر الجمل مستنداً على "سحارتين" (صندوقان مربعان) على جانبى الجمل. وآكثر أواع الهوادج راحة "التختروان" ويحمله عادة جملان، أحدهما فى المقدمة والآخر فى الخلف. وتثنى رأس الأخير بطريقة مؤلمة تحت التختروان. وقد يحمل هذا السرير أربعة بغال، فتكون حركته فى هذه الحالة هينة. ويستطيع شخصان خفيفان السفر فيه. وللتختروان على العموم مشربية بارزة صغيرة من الخشب المشبك فى الصدر والخلف، حيث يوضع قلة ماء أو أكثر.

تقدمت إلى الميدان الذي نزلت يه القافلة الليلة الماضية. وقد مر بى فى الطريق نصف القافلة تقريباً. وقد استغرقت المسافة من الضاحية إلى هذا المكان ما يزيد على نصف ساعة سيراً بطيئاً. وبعد نصف ساعة أخرى كانت القافلة جميعاً تقريباً قد غادرت المعسكر. وقد اهتممت كثيراً بمنظر لقاء الزوجات والإخوة والأخوات والأطفال للحجاج، غير أننى كرهت أحد الحجاج، كان يلبس اسمالا، ويجلس على قطعة سجادة قديمة، حينما قدمت زوجته أو أخته تتصبب عرقاً تحت حمل صرة ملابس كبيرة، وقبلته بحرارة على وجنتيه، فلم ينهض للقائها، وألقى عليها بعض أسئلة جافة فقط.-
وكان أمير الحج وضباطه وجنوده الخ. معسكرين بعيداً عن بقية القافلة. وكان بالقرب من خيمة أمير الحج رمح طويل مغروز فى الأرض، كما كان بجانبها أيضاً "المحمَل" أو "المحمِل" قائماً بسترة السفر

المصنوعة من نسيج القلاع والمدبحة ببعض النقوش.

ويجلب كثير من الحجاج هدايا من "الأرض المقدسة": ماء بئر زمزم المقدس فى قوارير من الصينى أو قنانى من القصدير أو النحاس، وقطعاً من "كسوة" الكعبة التي تجدد فى موسم الحج، وتراباً من قبر الرسول على هيئة كعك جاف، و"لباناً"، و"ليفاً" من النخيل للاستحمام، كما نستعمل نحن الأسفنج وأمشاطاً من عود الند، و"سبحاً" من المادة نفسها أو من غيرها، و"مساويك" غمست فى ماء زمزم لتكون مقبولة، كحلا، وشيلاناً، الخ، من صنع الحجاز وأشياء مختلفة من الهند.

والعادة أن يزين مدخل بيت الحاج قبل قدومه بيوم أو أكثر، فيصبغ الباب وتطلى واجهة البيت بالمغرة والكلس على التعاقب،أو بطريقة مشابهة، بخطوط أفقية عريضة بالأحمر والأبيض، إذا كانت من الآجر. وكثيراً ما يرسم أيضاً أشجار وجمال الخ. بطريقة بدائية، بالأخضر والأسود والأحمر وألوان أخرى. وقد يكتب الحاج موصياً بعمل ذلك. ويولم الحاج لأصدقائه، مساء قدومه "وليمة النزلة". ويحضر كثير من الضيوف للترحيب به، ولسؤاله الدعاء لهم بالغفران. ويمكث الحاج بمنزله أسبوعاً بعد وصوله على العموم. وفى اليوم السابع يولم وليمة أخرى تسمى "وليمة السبوع". ويظل السمر اليوم بأكمله، ويقام فى المساء عادة خاتمة أو حفلة ذكر.

وفى صباح اليوم التالى لدخول القافلة العاصمة، يشاهد المرء منظراً آخر، هو عودة المحمل. فينقل المحمل فى موكب من الحصوة إلى القلعة، مخترقا العاصمة. ولا ينظم هذا الموكب دائماً بالنظام نفسه تماماً. وسأصفه كما شاهدته فى هذا اليوم.

أبدأ بوصف المحمل نفسه. فهو إطار مربع من الخشب، هرمى القمة، له ستر من الديباج الأسود، عليه كتابة وزخارف مطرزة تطريزاً فاخراً بالذهب، على أرضية من الحريرالأخضر أو الأحمر فى بعض الأجزاء، ويحده هدبة حريرية، وشراريب يعلوها كرات فضية. وزخرفة الستر لا تكون دائماً على النموذج نفسه. غير أننى لاحظت أن كل ستر رأيته يحمل فى قسمه الأعلى من الصدر منظراً لمسجد مكة مطرزاً بالذهب، ويعلوه طغراء السلطان. والمحمل لا يحوى شيئاً، غير أن هناك مصحفين صغيرين، أحدهما

قرطاس ملفوف، والآخر كتاب عادى، داخل صندوقين من الفضة المذهبة، يعلقان خارج المحمل فى القمة. وتكون الكرات الخمس وأهلتها، التي تزين المحمل، من الفضة المذهبة. ويحمل المحمل على جمل طويل جميل. وينعم هذا الجمل على العموم باعفائه من العمل بقية حياته.

ويحكى أن السلطان الظاهر بيبرس، ملك مصر، كان أول من أرسل محملا مع قافلة الحجاج إلى مكة عام ٦٧٠هـ (١٢٧٢م) أو ٦٧٥، غير أن هذه العادة، كما يقال على العموم، ترجع إلى بعض سنوات قبل اعتلائه العرش. فقد أدت "شجرة الدر" الحج فى هودج فاخر يحمله جمل. وظل هودجها يرسل خالياً مع القافلة عدة سنوات متوالية للأبهة فحسب. وكانت "شجرة الدر" جارية تركية حسناء، فأصبحت الزوجة المحظية للسلطان الصالح نجم الدين، وجعلت نفسها عند وفاة ولده، آخر سلالة الأيوبين، معترفاً بها ملكة على مصر. ومن ذلك الحين أرسل ملوك مصر على التعاقب مع قافلة الحجاج سنوياً هودجاً يسمى "محملاً" رمزاً للملكية. ونهج نهجهم غيرهم من الملوك. وحرم الوهابيون المحمل لاعتبارهم إياه أبهة كاذبة، وقد سوغ لهم ذلك حجز القافلة.

وقد دخل موكب عودة المحمل المدينة من باب النصر بعد شروق الشمس بساعة. وكان يتقدم المحمل فرقة كبيرة من المشاة النظاميين. ويتبعه حسب العادة رجل غريب، مرسل الشعر، قوى العضل، أسمر اللون، يسمى "شيخ الجمل" ويكاد يكون عارياً تماماً، لا يستره غير سروال رث، وكان يركب جملا، ولا ينفك عن تدوير رأسه وقد تبع هذا الشيخ المحمل، وصحب القافلة فى رحلتها إلى مكة ومنها، عدة سنوات متوالية. ويزعم الناس أنه لا ينقطع تدوير رأسه مدة السفر كلها. وتقدم له الحكومة جملين ومؤن السفر. وكان هناك منذ سنوات قليلة عجوز تعودت أيضاً اقتفاء المحمل، سافرة، لا يسترها غير قميص. وكانت تسمى "أم القطط"، إذ كانت تصحب دائماً خمسة قطط أو ستة بجانبها على الجمل.- وكان يتبع ذلك نفر من الفرسان الترك، ثم عشرون جملا تقريباً، عليها أسرجة محشوة ومزخرفة وغطاة بالجوخ الأحمر والأخضر غالباً. وكان السرج مزيناً بأعلام صغيرة تنحرف من المقدمة إلى الأمام، وبريشة نعام صغيرة مثبتة بعصا قائمة على الجزء المتقدم. وتجهز بعض الأسرجة بجرسين كبيرين معلقان على الناحيتين. وكان الغطاء مزخرفاً بالصدف الصغير على الأخص.

وقد لاحظت على ما أظن أن تلك الجمال كانت مخضبة بالحناء تخضيباً حقيقاً، كما تخضب فى مناسبات مشابهة أخرى. وكان يتبع الجمال جماعة من الفرسان البدو. وبهم ختم الموكب.

ولما كنت قد أخبرت خطأ بموعد دخول المحمل، فقد وجدت نفسى، عند وصولى إلى طريق المدينة الرئيسى، وسط الموكب وقد فاتنى المحمل. فاكتريت حماراً، واجتهدت فى اللحاق بالمحمل، غير أنه صعب على أن أتقدم. فأسرعت بالانتفاع بسلوك بعض الأزقة إلى طريق الموكب ثانياً. فتبين لى أننى لم أتقدم كثيراً، فترجلت. وقد لمحته أخيراً بعد أن سرت تارة وجريت تارة أخرى، منسلا بين خيول البدو حوالى نصف ساعة. وسرعان ما لحقت به، بعد لأى، وسط زحم كثير، قبل أن يدخل ميدان الرميلة الواسع، أمام القلعة، بربع ساعة تقريباً. وبعد أن لمسته ثلاثاً، وقبلت يدى، أمسكت بالهدبة، وسرت بجانبه. ورآنى حارس المحمل المقدس، الذى كان يسير خلفه، فحملنى على النطق بدعاء صالح، لعله كان المانع من تنحيتى عنه، ويحتمل أن يكون قد تأثر بمظهرى، إذ أنه كان يسمح للآخرين بالاقتراب من المحمل ولمسه واحداً واحداً، ثم يدفعهم إلى الخلف. وظللت سائراً بجانب المحمل ممسكاً بستره إلى ما يقرب من مدخل الرميلة. وقد أخبرت أحد أصدقائى المسلمين بما فعلت، فدهش دهشة كبيرة، وقال إنه لم يسمع بأحد قام بذلك من قبل، وإن الرسول لا شك قد حبانى بحبه، وإلا لم قدر لى ذلك. وأضاف إلى قوله أننى قد حصلت على بركة لا تقدر، وأن من الحكمة ألا أخبر أحداً من أصدقائى المسلمين الآخرين بهذا الحادث لئلا أثير حسدهم وسخطهم. ولا أستطيع أن أعلل تقديس المحمل إلى هذا الحد. ويبدى كثيرون شوقاً شديداً إلى لمسه. وكانت الشوارع التى يمر بها المحمل مزدحمة ازدحاماً كثيفاً وكانت الحوانيت مقفلة، والمصاطب مشغولة بالنظار. ووصل المحمل إلى الرملية بعد ساعة ونصف تقريباً من دخوله العاصمة. وقد عبر هذا الميدان الفسيح إلى أول الفضاء المسمى "قراميدان"، ثم أخذ يدخل بينما كانت مدافع القلعة تحييه بنيرانها. ثم عاد إلى الرميلة، واجتازها إلى باب القلعة الشمالى المسمى باب الوزير.

ويمارس المصريون المسلمون والمسيحيون عادات احتفالية مرتبطة بتقويمهم القبطى ويحسبون تواريخ التغييرات الجوية طبقاً

للنظام نفسه. فيحسبون زمن الخماسين، الذى تكثر فيه الرياح الجنوبية الحارة، أنه يبدأ فى اليوم التالى مباشرة لعيد الفصح القبطى، وينتهى فى يوم العنصرة (أو سبت النقطة)، فتكون مدته ٤٩ يوماً.

ويسمى يوم الأربعاء السابق على هذه الفترة مباشرة "أربعاء أيوب" فيستحم كثيرون فى هذا اليوم بالماء البارد، ويدلكون أنفسهم بالنبات المسمى "رعرع أيوب" تبعاً لأسطورة تقول إن أيوب فعل هكذا ليسترد صحته ويقول أحمد أمين (ص ٢٠)"...وقد اعتادوا أن يبيعوا نبتاً يقال له البرنوف يدعون أنه إذا نقع فى الماء واغتسل به يوم الأربعاء شفى من الضر وأنه هو النبات الذى شفى به أيوب. وفى ذلك اليوم ينادى على نبت آخر ذى رائحة طيبة بقولهم يا رعرع أيوب". ويظن أن اللفظ من القبطية.

وغيرها من العادات التى سأذكرها حالا خاصة بالأقباط، وغير أن الكثير من المسلمين فى المدن وأكثر الريفيين يراعونها الآن. أما العادات الأخرى فهى أكل البيض المصبوغ بالأحمر أو الأصفر أو الأزرق، أو بلون آخر، فى اليوم التالى (الخميس)، وأكل خلطة الكشك" والفول النابت والعدس والأرز والبصل الخ، فى يوم (الجمعة الطيبة) وجرت العادة آن يتكحل الرجال والنساء يوم السبت، المسمى "سبت النور".

يحتفل بـ"شم النسيم" فى اليوم الأول من الخماسين. فيقوم المصريون، وخاصة النساء، مبكرين فى هذا اليوم، فيكسرون بصلة ويشمونها. ويبكرون بالذهاب إلى الريف المجاور، راكبين أو راجلين، أو يتنزهون فى النيل. ويتجهون إلى الشمال على العموم ليتنسموا النسيم أو كما يقولون، ليشموا النسيم. وهم يعتقدون أن النسيم، فى ذلك اليوم، ذو تأثير مفيد عجيب. ويتناول أكثرهم الغذاء فى الريف أو فى النيل. وكان شم النسيم هذا العام (١٨٣٤) عاصف الجو حاراً مغبراً فلم يكن هناك نسيم، ومع ذلك خرج كثير من الناس "ليشموه". وللعلماء "شم النسيم" فى زمن محدد من السنة الشمسية: الأيام الثلاثة الأول من فصل الصيف.



الدوسة ▲

الرفاعية ▼



دراويش المولوية ▲



١٢٣٢هـ.
١٥٣٣ق.
١٨١٦م

□ ١يناير سنة ١٨١٧= ٤٢ كيهك ١٥٣٣= الأربع ١٢ صفر ١٢٣٢.

□ فيها عملوا تسعيرة اللحم فجعلوا ثمن الرطل الذى يبيعه القصاب تسعة انصاف فضة وثمنه عليه من المذبح ثمانية انصاف. وكان يباع قبل هذه التسعيرة بالزياة الفاحشة.

□ وفيها شحت الغلال من الرقع والسواحل فبلغ الأردب ١٢٥٠نصفا فضه. وقل وجود الخبز فى الأسواق.

□ ١توت ١٥٣٤=١٠ سبتمبر ١٨١٧= الأربع ٢٨ شوال ١٢٣٢.

□ فى ٢١ الحجة ٢ نوفمبر ١٨١٧م أرسل محمد على باشا رسالة علمية ثانية لكشف معدن الزمرد فى الصحراء الشرقية.



ودخلت سنه اثنتين وتلاتين ومايتين وألف [١٨١٦م]

استهل المحرم بيوم الخميس وحاكم مصر والمتولى عليها وعلى ضواحيها وثغورها من حد رشيد ودمياط إلى أسوان وأقصى الصعيد واسكله [ميناء] القصير والسويس وساحل القلزم وجده ومكه والمدينه والأقطار الحجازيه بأسرها محمد على باشا القوللى[نسبه إلى مدينه قوله] . ووزيره وكتخداه محمد أغالاظ.

والدفتردار محمد بك صهر الباشا وزوج ابنته.

وأغات الباب إبراهيم أغا.

ومدبر أمور البلاد والأطيان والرزق والمساحات وقبض الأموال الميريه وحساباتها ومصارفها محمود بك الخازندار، والسلحدار سليمان أغا.

وحاكم الوجه القبلي محمد بك الدفتردار صهر الباشا عوض إبراهيم باشا ولد الباشا لانفصاله عن إماره الوجه القبلي وسفره إلى الحجاز آنفا لمحاربه الوهابيين.

وباقي أمرا الدوله مثل عابدين بك وإسماعيل باشا ابن الباشا وخليل باشا وهو الذي كان حاكم اسكندريه سابقا، وشريف أغا وحسين بك دالي باشا، وحسين بك الشماشرجي، وحسن بك الشماشرجي، الذي كان حاكما بالفيوم وغير هولا.

وحسن أغا أغات الينكجريه، وأحمد أغا أغات التبديل وعلى أغا الوالي، وكاتب الروزنامه مصطفى أفندي، وحسن باشا بالديار الحجازيه.

وشاه بندر التجار السيد محمد المحروقي، وهو المتعين لمهمات الأسفار وقوافل العربان ومخاطباتهم وملاقاه الأخبار الواصله من الديار الحجازيه والمتوجه إليها، وأجر المحمول وشحنه السفن ولوازم الصادرين

والواردين والمنتجعين والمقيمين والراحلين، والمتعهد بجميع فرق القبايل والعشير وغوايلهم ومحاكماتهم وإرغابهم وإرهابهم وسياستهم على اختلاف أخلاقهم وطباعهم، وهو المتعين أيضا لفصل قضايا التجار والباعه وأرباب الحرف البلديه وفصل خصوماتهم ومشاجراتهم وتأديب المنحرفين منهم والنصابين، وبعوثات الباشا ومراسلاته ومكاتباته وتجاراته وشركاته وابتداعاته واجتهاده في تحصيل الأموال من كل وجه وأى طريق، ومتابعه توجيه السرايا والعساكر والذخاير إلى نواحي الحجاز للإغاره على بلاد الوهابيه.

وأخذ الدرعيه مستمر لاينقطع والعرضي منصوب خارج باب النصر وباب الفتوح، وإذا ارتحلت طايفه خرجت أخرى مكانها.

وفيه سومحت أرباب الحرف والباعه والزياتين والجزارين والخضريه والخبازين ونحوهم من المسانهات* والمشاهرات واليوميات الموظفه عليهم للمحتسب، ونودى برفعها أمام المحتسب في الأسواق، وعوّض المحتسب عنها خمسه أكياس في كل شهر يستوفيها من الخزينه العامره.

*سانه الرجل عامله بالسنة والمقصود هنا العوائد التى كانت تفرض على ارباب الحرف والباعة لصالح المحتسب.

وعملوا تسعير بتراخيص أسعار المبيعات بدلا عما كانوا يغرمونه للمحتسب، ولكن من غير مراعاه النسبه والمعادله في غالب الأصناف، فإن العاده عند إقبال وجود الفاكهه أو الخضروات تباع بأغلى ثمن

لعزتها وقلتها حينئذ، وشهوه الطباع واشتياق النفوس لجديد الأشيا وزهدها فى القديم الذى تكرر استعماله وتعاطيه، كما يقال لكل جديد لذه، فلم يراعوا ذلك، ولم ينظروا فى أصول الأشيا أيضا، فإن غالب الأصناف داخل فى المحتكرات وزياده المكوس الحادثه فى هذه السنين وما يضاف إلى ذلك من طمع الباعه والسوقه وغشهم وقبحهم وعدم ديانتهم وخبث طباعهم.

فلما نودى بذلك وسمع الناس رخص المبيعات ظنوا بغفلتهم حصول الرخا ونزلوا على المبيعات مثل الكلاب السعرانه وخطفوا ما كان بالأسواق بموجب التسعيره من اللحم وأنواع الخضروات والفاكهه والأدهان، فلما أصبح اليوم التانى لم يوجد بالأسواق شى من ذلك وأغلقت الفكهانيه حوانتيهم وأخفوا ما عندهم، وطفقوا يبيعونه خفيه فى الليل بالثمن الذى يرتضونه.

والمحتسب يكثر الطواف بالأسواق، ويتجسس عليهم ويقبض على من أغلق حانوته أو وجدها خاليه، أو عثر عليه أنه باع بالزياده، وينكل بهم ويسحبهم مكشوفين الروس مشنوقين وموثقين بالحبال، ويضربهم ضربا مولما ويصلبهم بمفارق الطرق مخزومين الأنوف ومعلق فيها النوع المزاد فى ثمنه، فلم يرتجعوا عن عادتهم.

ثم إن هذه المناداه والتسعيره ظاهرها الرفق بالرعيه ورخص الأسعار وباطنها المكر والتحيل *والتوصل لما

* الهدف السيء من التسعيرة الجبرية.

الجبرتى/ سنة ١٢٣٢

سيظهر بعد عن قريب، وذلك أن ولى الأمر لم يكن له من الشغل إلا صرف همته وعقله وفكرته فى تحصيل المال والمكاسب، وقطع أرزاق المسترزقين والحجر والاحتكار لجميع الأسباب، ولايتقرب إليه من يريد قربه إلا بمساعدته على مراداته ومقاصده، ومن كان بخلاف ذلك فلاحظ له معه مطلقاً، ومن تجاسر عليه من الوجها ينصح أو فعل مناسب، ولو على سبيل التشفع حقد عليه، وربما أقصاه وأبعده وعاداه معاداة من لايصفو أبدا.

وعرفت طباعه وأخلاقه فى دائرته وبطانته فلم يمكنهم إلا الموافقه والمساعده فى مشروعاته، إما رهبه أو خوفا على سيادتهم ورياستهم ومناصبهم، وإما رغبه وطمعاً وتوصلا للرياسه والسياده، وهم الأكثر وخصوصا أعدا الله من نصارى الأرمن *وأمثالهم الذين هم الآن أخصا لحضرته ومجالسته، وهم شركاه فى أنواع المتاجر، وهم أصحاب الرأى والمشوره، وليس لهم شغل ودرس إلا فيما يزيد حظوتهم ووجاهتهم عند مخدومهم وموافقه أغراضه وتحسين مخترعاته، وربما ذكروه ونبهوه على أشيا تركها أو غفل عنها من المبتدعات وما يتحصل منها من المال والمكاسب التى يسترزقها أرباب تلك الحرفه لمعاشهم ومصاريف عيالهم .ثم يقع الفحص على أصل الشى وما يتفرع منه ومايئول إذا أحكم أمره وانتظم ترتيبه، وما يتحصل منه بعد التسعير الذى يجعلونه مصاريف الكتبه والمباشرين أبرزت مباديه فى قالب العدل والرفق بالرعيه.

* عودة الجبرتى للهجوم على الارمن.

ولما وقع الالتفات إلى أمر المذابح والسلخانه وما يتحصل منها، وما يكتسبه الموظفون فيها فأول ما بدوا به إبطال جميع المذابح التى بجهات مصر والقاهره وبولاق خلاف السلخانه السلطانيه التى خارج الحسينيه، وتولى رياستها شخص من الأتراك، ثم سعرت هذه التسعيره فجعل الرطل الذى يبيعه القصاب بسبعه أنصاف فضه وثمنه على القصاب من المذبح ثمانيه أنصاف ونصف، وكان يباع قبل هذه التسعيره بالزياده الفاحشه فشح وجود اللحم وأغلقت حوانيت الجزارين، وخسروا فى شرا الأغنام وذبحها وبيعها بهذا السعر.

* أزمة اللحوم.

وأنهى أمر شحه اللحم إلى ولى الأمر وأن ذلك من قله المواشى وغلو أثمان مشترواتها على الجزارين وكثره رواتب الدوله والعساكر، وأشيع أنه أمر بمراسيم إلى كشاف الأقاليم قبلى وبحرى لشرا الأغنام من الأرياف لخصوص رواتبه ورواتب العسكر والخاصه وأهل الدوله، ويترك ما يذبحه جزارين المذبح لأهل البلده وعند ذلك ترخص الأسعار، ثم تبين خلاف ذلك وأن هذه الإشاعه توطئه وتقدمه لما سيتلى عن قريب.

وفى منتصفه وصلت أغنام وعجول وجواميس من الأرياف هزيله وازدادت بإقامتها هزالا من الجوع، وعدم مراعاتها، فذبحوا منها بالمذابح أقل من المعتاد، ووزعت على الجزارين فيخص الشخص منهم الاثنان أو الثلاته، فعندما يصل إلى حانوته وهو مثل الحرامى

فيتخاطفها العساكر التى بتلك الخطه، وتزدحم الناس فلا ينوبهم شى، وتذهب فى لمح البصر ثم امتنع وجودها واستمر الحال، والناس لايجدون ما يطبخونه ليعالهم.

وكذلك امتنع وجود الخضروات فكان الناس لايحصلون القوت إلا بغاية المشقه، واقتاتوا بالفول المصلوق [الفول النابت] والعدس والبيصار ونحو ذلك.

وانعدم وجود السمن والزيت والشيرج وزيت البذر [بذر القطن] وزيت القرطم لاحتكارها لجهه الميرى، وأغلقت المعاصر والسيارج.

وامتنع وجود الشمع العسل والشمع المصنوع من الشحم لاحتكارها الشحم والحجز على عمال الشمع، فلا يصنعه الشماعون ولاغيرهم، ونودى على بيع الموجود منه بأربعه وعشرين نصفا .وكان يباع بثلاثين وأربعين فأخفوه وطفقوا يبيعونه خفيه بما أحبوا.

وانعدم وجود بيض الدجاج لجعلهم العشره منه بأربعة أنصاف وكان قبل المناداه اثنين بنصف، وكل ذلك والمحتسب يطوف بالأسواق والشوارع ويشدد على الباعه ويؤلمهم بالضرب والتجريس، وفقد وجود الدجاج فلا يكاد يوجد بالأسواق دجاجه لأنه نودى على الدجاجه باثنى عشر نصفاً وكان الثمن عنها قبل ذلك خمسه وعشرين فأكثر.

واستهل شهر صفر الخير [سنه ١٢٣٢]

فيه حضر المعلم غالى من الجهه القبليه ومعه مكاتبات من محمد بك الدفتردار الذى تولى إمارة الصعيد عوضا عن إبراهيم باشا ابن الباشا الذى توجه إلى البلاد الحجازيه لمحاربه الوهابيه، يذكر فيها نصح المعلم غالى وسعيه فى فتح أبواب تحصيل الأموال للخزينه وأنه ابتكر أشيا وحسابات يتحصل منها مقادير كثيره من المال فقوبل بالرضا والإكرام، واخلع عليه الباشا واختص به وجعله كاتب سره ولازم خدمته، وأخذ فيما ندب إليه وحضر لأجله التى منها حسابات جميع الدفاتر وأقلام المبتدعات ومباشريها وحكام الأقاليم.

* استمرار محاربة الوهابية بسبب نقضهم لعهدهم.

وفيه تجردت عده عساكر أتراك ومغاربه إلى الحجاز وصحبتهم أرباب صنايع وحرف.

وفيه أرسل الباشا إلى بندر السويس أخشابا وأدوات عماره وبلاط كذان [قيشانى] وحديداً وصناعا بقصد عمارة قصر لخصوصه إذا نزل هناك.

واستهل شهر ربيع الأول [سنه ١٢٣٢]

فيه شحت المبيعات والغلال والأدهان وغلا سعر الحبوب وقل وجودها فى الرقع والسواحل، فكان الناس لايحصلون شيا منها إلا بغاية المشقه.

وفيه عزل الباشا حكام الأقاليم والكشاف ونوابهم وطلبهم للحضور وأمر بحسابهم وما أخذوه من الفلاحين زياده على مافرضه لهم وأرسل من قبله أشخاصا مفتشين للفحص والتجسس على ما عسى يكون أخذوه منهم من غير ثمن، فأخذوا يقررون المشايخ والفلاحين ويحررون أثمان مفرق الأشيا من غنم أو دجاج أو تبن أو عليق أو بيض أو غير ذلك فى المده التى أقامها أحدهم بالناحيه، فحصل للكثير من قايم مقاماتهم الضرر وكذلك من انتمى إليهم، فمنهم من اضطر وباع فرسه واستدان.

وفيه حضر على كاشف من شرقية بلبيس معزولا عن كشوفيتها وقلدها خلافه، وكان كاشفاً بالإقليم عده سنوات، وكذلك جرى لكاشف المنوفيه والغربيه، وحضر أيضاً حسن بك الشماشرجى من الفيوم معزولا ووجهه الباشا إلى ناحية درنه لمحاربه أولاد على.

* محاربة اولاد على فى درنه ببرقه.

واستهل شهر ربيع التانى [سنه ١٢٣٢]

فيه حصل الحجز والمنع على من يذبح شياً من المواشى فى داره أو غيرها، ولا يأخذ الناس لحوم أطعمتهم إلا من المذبح، وأوقفت عساكر بالطرق رصداً لمن يدخل بشى من الأغنام، وذلك أنه لما نزلت المراسيم إلى الكشاف بمشترى المواشى من الفلاحين وإرسالها إلى المكان الذى أعده الباشا لذلك.

* منع الذبايح خارج المذبح.

ويؤخذ منها مقدار ما يذبح بالسلخانه فى كل يوم لرواتب الدوله والبيع، وطلب كشاف النواحى شرا الأغنام والعجول والجواميس بالثمن القليل من أربابها، فهرب الكثير من الفلاحين بأغنامهم، فيخرجون من القريه ليلا ويدخلون المدينه ويمرون بها فى الأسواق ويبيعونها بما أحبوا من الثمن على الناس، فانكب الناس على شراها منهم لجودتها ويشترك الجماعه فى الشاه فيذبحونها ويقسمونها بينهم، وذلك لقلة وجدان اللحم كما سبقت الإشارة إليه، وإن تيسر وجوده فيكون هزيلاً ردياً، فإن فى كل يوم ترد الجمله الكثيره من بحرى وقبلى إلى المكان المعد لها، ولم يكن ثم من يراعيها بالعلف والسقى، فتهزل وتضعف.

فلما كثر ورود الفلاحين بالأغنام وشرا الناس لها، ووصل خبر ذلك إلى الباشا فأمر بوقوف عساكر على مفارق الطرق خارج المدينه من كل ناحيه فيأخذون الشاه من الفلاحين إما بالثمن أو يذهب صاحبها معهم إلى المذبح فتذبح فى يومها أو من الغد ويوزن اللحم خالصا ويعطى لصاحبها ثمنه عن كل رطل ثمانيه فضه ونصف، ويوزن على الجزارين بذلك الثمن بما فيه من القلب والكبد والمنحر والمذاكير، والمخرج بما فيه من الزبل أيضا، والجزارين يبيعونها على من يشترى لشدة الطلب بزيادة النصف والنصفين بل والثلاثه والأربعه إن كان به نوعُ جوده، وأما الأسقاط من الروس والجلود والكروش فهو للميرى، وكذلك يفعل فيما يرد لخاصة الناس من الأغنام يفعل بها

كذلك ولا ياخذ إلا قدر راتبه فى كل يوم من المذابح.

وفيه شح وجود فى الرقع والسواحل حتى امتنع وجود الخبز فى الأسواق، فأخرج الباشا جانب غله ففرقت على الرُّقع وبيعت على الناس، وهى ألف أردب انقضت فى يومين، ولايبيعون أزيد من كيله أو كيلتين وبيع الأردب بألف ومايتين وخمسين نصفاً، وفيه أفرد محل لعمل الشمع *الذى يعمل من الشحوم بعطفة ابن عبد الله بك جهة السروجيه، واحتكروا لأجل عمله جميع الشحوم التى من المذبح وغيره، وامتنع وجود الشحم من حوانيت الدهانين، ومنعوا من يعمل شيا من الشمع فى داره أو فى القوالب الزجاج، وتتبعوا من يكون عند شى منها فأخذوها منه وحذروا من عمله خارج المعمل كل التحذير، وسعَّروا رطله بأربعه وعشرين نصفاً.

* تاسس مصنع للشمع من شحوم المذبح التى احتكرها الباشا.

واستهل شهر جمادى الأول [سنه ١٢٣٢]

فيه حُوِّل معمل الشمع إلى جهة الحسينيه عند الدرب الذى يعرف بالسبع والضبع.

وفيه ارتحلت عساكر مجرده إلى الحجاز.

وفيه برزت أوامرُ إلى كشاف النواحى بإحصا عدد أغنام البلاد والقرى ويفرض على كل عشرة شياه واحده أعظمها إما كبش أو نعجه بأولادها، يجمعون

ذلك ويرسلون به إلى مجمع أغنام الباشا.

وفرض أيضاً على كل فدان رطلا من السمن يجمعها مشايخُ البلاد من الفلاحين عند كشاف النواحى ويرسلونها إلى مصر.

وسبب هذه المحدثه أنه لما عملت التسعيره وتسعر رطل السمن بسته وعشرين نصفا ويبيعه السمان والزيات بزياده نصفين امتنع وجودُه وظهوره فيأتى به الفلاح ليلا فى الخفيه ويبيعه للزبون أو للمتسبب بما أحب،ويبيعه المتسبب أيضاً بالزياده لمن يريده سراً، فيبيعون الرطل بأربعين وخمسين، ويزيد على ذلك غش المتسبب وخلطه بالدقيق والقرع والشحم وعكر اللبن، فيصفو على النصف، ولايقدر مشتريه على رد غشه للبايع لأنه ما حصّله إلا بغاية المشقه والعزه والإنكار والمنع، وإن فعل لايجد من يعطيه ثانيا.

وتقف الطايفه من العسكر بالطرق ليلا، وفى وقت الغفلات يرصدون الواردين من الفلاحين ويأخذنه منهم بالقهر ويعطونهم ثمنه بالسعر المرسوم، ويحتكرونه هم أيضا ويبيعونه لمن يشتريه منهم بالزياده الفاحشه، فامتنع وروده إلى فى النادر خفيه مع الغرر أو الخفاره والتحامى فى بعض العساكر من أمثالهم، واشتد الحال فى انعدام السمن حتى على أكابر الدوله.

فعند ذلك ابتدع الباشا هذه البدعه وفرض على كل

فدان من طين الزراعات رطلا من السمن، ويعطى فى ثمن الرطل عشرين نصفا، اشتغلوا بتحصيل مادَهَمهم من هذه النازله، وطولب المزارع بمقدار ما يزرعه من الأفدنه أرطالا من السمن، ومن لم يكن متأخراً عنده شى من سمن بهيمته أو لم يكن له بهيمه أو احتاج إلى تكمله موجوده عنده فيشتريه ممن يوجد عنده بأغلى ثمن ليسد ما عليه إضطراراً جزاءً وفاقاً.

وفيه حصل الإذن بدخول ما دون العشره من الأغنام إلى المدينه، وكذلك الإذن لمن يشترى شيا منها من الأسواق، وسبب إطلاق الإذن بذلك مجى بعض أغنام إلى أكابر الدوله، ولاغنى عن ذلك لأدنى منهم أيضاً، وحجزوا عن وصولها إلى دورهم، فشكوا إلى الباشا فأطلق الإذن فيما دون العشره.

وفيه أيضا امتنع وجود الغلال بالعرصات والسواحل بسبب احتكارها واستمرار انجرارها ونقلها فى المراكب قبلى وبحرى إلى جهة اسكندريه للبيع على الإفرنج بالثمن الكثير، كما تقدم، ووجهت المراسيم إلى كشاف النواحى بمنع بيع الفلاحين غلالهم لمن يشترى منهم من المتسببين والتراسين وغيرهم، وبأن كل ما احتاجو لبيعه مما خرج لهم من زراعتهم يؤخذ لطرف الميرى بالثمن المفروض بالكيل الوافى.

واشتد الحال فى هذا الشهر وما قبله حتى قَلَّ وجودُ الخبز من الأسواق، بل امتنع وجوده فى بعض الأيام،

وأقبلت الفقرا نساورجالا إلى الرقع بمقاطفهم ورجعوا بها فوارغ من غير شى، وزاد الهول والتشكى وبلغ الخبر الباشا فأطلق أيضا ألف أردب توزع على الرقع ويباع على الناس إما ربع واحد أو كيله فقط، وكل ربع ثمنه قرش فيكون الأدرب بأربعه وعشرين قرشا.

وفيه حضر حسن بك الشماشرجى من ناحيه درنه وبلد أخرى يقال لها سبوه وصحبته فرقه من أولاد على، وذلك أن أولاد على افترقوا فرقتين أحدهما طايعه والأخرى عاصيه عن الطاعه ومنحازون إلى هذه الناحيه، فجرد الباشا عليهم حسن بك المذكور فحاربهم فهزمهم وهزموه ثانيا، فرجع إلى مصر فضم إليه الباشا جمله من العساكر، وأصحب معه الفرقه الأخرى الطايعه فسار الجمع ودهموهم على حين غفله، وتقدم لحربهم إخوانهم الطايعه وقتلوا منهم وأغاروا على مواشيهم وأباعرهم وأغنامهم، فأرسلوا المنهوبات إلى جهة الفيوم، وفى ظن العرب الفوز بالغنيمه وأن الباشا لايطمع فيها لكون النصره كانت بأيديهم وأنه يشكر لهم ويزيدهم إنعاماً.

وكانوا نزلوا ببر الجيزه، وحضر حسن بك إلى الباشا فطلب كبار العرب ليخلع عليهم ويكسوهم فلما حضروا إليه أمر بحبسهم وإحضار الغنيمه من ناحية الفيوم بتمامها فأحضروها بعد أيام وأطلقهم، فيقال إن الأغنام سته عشر ألف راس أو أكثر، ومن الجمال ثمانيه آلاف جمل وناقه وقيل أكثر من ذلك.

وفيه نجزت عماره السواقي التى أنشأها الباشا بالأرض المعروفه براس الوادى بناحيه شرقيه بلبيس، قيل إنها تزيد على ألف ساقيه، وهى سواقى دواليب خشب تعمل فى الأرض التى يكون منبع الماء فيها قريبا، واستمر الصناع مده مستطيله فى عمل آلاتها عند بيت الجبجى، وهو بيت الرزاز الذى جهة التبانه بقرب المحجر، وتُحْمل على الجمال إلى الوادى، وهناك المباشرون للعمل المقيدون بذلك، وغرسوا بها أشجار التوت الكثيره لتربيه دود القز، واستخراج الحرير، كما يكون بنواحي الشام وجبل الدروز، ثم برزت الأوامر إلى جميع بلاد الشرقيه بإشخاص أنفار من الفلاحين البطالين الذين لم يكن لهم أطيان فلاحه يستوطنون بالوادى المذكور، وتُبنى لهم كفور يسكنون فيها ويتعاطون خدمه السواقى والمزارع، ويتعلمون صناعة تربية القز والحرير، واستجلب أناسا من نواحى الشام والجبل من أصحاب المعرفه بذلك، ويرتب للجميع نفقات إلى حين ظهور النتيجه ثم يكونون شركا فى ربع المتحصل.

* استصلاح اراضى الشرقية بوادى الطميلات وعمل مزارع التوت لدود القز وتعميرها بالفلاحين البطالين عن العمل ومن المعروف أن هذا المشروع قد فشل بالرغم مما صرف عليه من اموال باهظة.

ولما برزت المراسيم بطلب الأشخاص من بلاد الشرق أشيع فى جميع قرى الأقاليم المصريه إشاعات وتقولوا أقاويل منها أن الباشا يطلب من كل بلده عشره من الصبيان البالغين وعشره من البنات يزوجهم بهن ويمهرهن من ماله ويرتب لهم نفقات إلى بدو صلاح المزارع، ثم أشاعوا الطلب للصبيان الغير مختونين ليرسلهم إلى بلاد الإفرنج ليتعلموا الصنايع التى لم

تكن بأرض مصر، وشاع ذلك فى أهل القرى وثبت ذلك عندهم فختن الجميع صبيانهم، ومنهم من أرسل ابنه أو بنته وغيَّبها عند معارفه بالمدينه إلى غير ذلك من الأقاويل التى لم يثبت منها إلا ما ذكر أولاً من أن المطلوب جلب الفلاحين البطالين من بلد الشرقيه لاغير، وقد تعمر هذا الوادى بالسواقى والأشجار والسكان من جميع الأجناس، وانتشا واديا جديده متسعه لم يكن لها وجود قبل ذلك بل كانت بريّه خرابا وفضا واسعا.

وفيه سافر جمله من عساكر الأتراك والمغاربه وكبيرهم إبراهيم أغا الذى كان كتخدا إبراهيم باشا ثم تولى كشوفية المنوفيه وصحبته خزينه وجبخانه ومطلوبات لمخدومه .

واستهل شهر جمادى التانى بيوم التلات [سنه ١٢٣٢]

* لجوء حاكم طرابلس إلى مصر.

فى أوله حضر إلى مصر ابن يوسف باشا حاكم طرابلس ومعه أخوه أصغر منه يستأذنان الباشا فى حضور والدهما إلى مصر فارا من والده، وكان ولاّه على ناحيه درنْه وبنى غازى، فحصل منه ما غير خاطر والده عليه، وعزم على أن يجرِّد عليه فأرسل أولاده إلى صاحب مصر بهديه ويستأذن فى الحضور إلى مصر والالتجاء إليه فأذن له فى الحضور وهو ابن أخى الذى بمصر أولا وسافر مع الباشا إلى الحجاز، ورجع

إلى مصر واستمر ساكنا بالسبع قاعات.

وفيه وصل الخبر بأن إبراهيم أغا الذى سافر مع الجرده لما وصل إلى العقبه أمر من بصحبته من المغاربه والعسكر بالرحيل، فلما ارتحلوا ركب هو فى خاصته وذهب على طريق الشام.

* هجوم الجراد.

وفى ليلة الأربع سادس عشره وصل جراد كثير ليلاً ونزل ببستان الباشا بشبرا وتعلق بالأشجار والزهور وصاحت الخَولَه والبستانجيه، وأرسل الباشا إلى الحسينيه وغيرها فجمعوا مشاعل كثيره وأوقدوها وضربوا بالطبول والصنوج النحاس لطرده، وأمر الباشا لكل من جمع منه رطلا فله قرشان فجمع الصبيان والفلاحون منه كثيرا.



لجوء حاكم طرابلس إلى مصر

ثم فى ليلة السبت تاسع عشره قبل الغروب وصل جراد كثير من ناحيه المشرق ماراً بين السما والأرض مثل السحاب، وكان الريح ساكنا فسقط منه الكثير على الجناين والمزارع والمقاثى، فلما كان فى نصف الليل هبت رياح جنوبيه واستمرت واشتد هبوبها عند انتصاف النهار وأثارت غبارا أصفر وعبوقا بالجو، ودامت إلى بعد العصر يوم السبت فطردت ذلك الجراد وأذهبته، فسبحان الحكيم المدبر اللطيف.

* عيادة طبية إفرنجية بخان فى الموسكى.

وفى يوم الأحد طاف مناد أعمى يقوده آخر بالأسواق ويقول فى نداه مَنْ كان مريضا أو به رمد أو جراحه أو

أدْره *فليذهب إلى خان بالموسكى به أربعه من حكما الإفرنج أطبا يداوونه من غير مقابله شى، فتعجب الناس من هذا وتحاكوه، وسعوا إلى جهتهم لطلب التداوى.

* الأدْرة بالضم، من اصابه فتق فى إحدى خُصْيَيْهِ.

وفيه حضر ابن باشت طرابلس، ودخل إلى المدينه وصحبته نحو المايتى نفر من أتباعه فأنزله الباشا فى منزل أم مرزوق بك بحارة عابدين، وأجرى عليه النفقات والرواتب له ولأتباعه.

وفى يوم الخميس حادى عشرينه وصل خبر الأطبا ومناداتهم إلى كتخدا بك فأحضر حكيم باشا، وسأله فأنكر معرفتهم وأنه لاعلم عنده بذلك فأمر بإحضارهم وسألهم فخلطوا فى الكلام فأمر باخراجهم من البلده، ونفوهم *فى الحال وذهبوا إلى حيث شاء الله، ولو فعل مثل هذه الفعله بعض المسلمين لجوزى بالقتل أو الخازوق.

* نفى الحكما الافرنج من مصر.

وكان صورة جلوسهم أن يجلس أحدهم خارج المكان والآخر من داخل وبينهما ترجمان، ويأتى مريد العلاج *إلى الأول، وهو كأنه الريس، فيجس نبضه أو بيضه، وكأنه عرف علته، ويكتب له ورقه فيدخل مع الترجمان بها لآخر بداخل المكان، فيعطيه شيا من الدهن أو السفوف أو الحب المركب، ويطلب منه إما قرشا أو قرشين أو خمسه بحسب الحال، وذلك ثمن الدوا لاغير، وشاع ذلك وتسامع الناس وأكثرهم

* طريقة الكشف على المرضى فى العيادة.

معلول، ومن طبيعتهم التقليد والرغبه فى الوارد الغريب، فتكاثروا وتزاحموا عليهم فجمعوا فى الأيام القليله جمله من الدراهم، واستلطف الناس طريقتهم هذه بخلاف ما يفعله الذين يدعون التطبيب *من الإفرنج.

* طريقة الكشف على المرضى فى منازلهم.

واصطلاحهم إذا دُعى الواحد منهم لمعالجه المريض فأول ما يبدأ به نقل قدمه بدراهم يأخذها إما ريال فرانسه أو أكثر بحسب الحال والمقام، ثم يذهب إلى المريض فيجسه ويزعم أنه عرف علته ومرضه وربما هوَّل على المريض داءه وعلاجه، ثم يقاول على سعيه فى معالجته بمقدار من الفرانسه إما خمسين أو مايه أو أكثر بحسب مقام العليل، ويطلب نصف الجعاله ابتدا، ويجعل على كل مره من الترددات عليه جعاله أيضا، ثم يزاوله بالعلاجات التى تجددت عندهم، وهى مياه مستقطره من الأعشاب أو أدهان كذلك، يأتون بها للمرضى فى قوارير الزجاج اللطيفه فى المنظر يسمونها بأسما بلغاتهم ويعربونها بدهن البادزهر وأكسير الخاصه ونحو ذلك، فإن شفى الله العليل أخذ منه بقيه ما قاوله عليه أو أماته طالب الورثه بباقى الجعاله وثمن الأدويه طبق ما يدعيه، وإذا قيل له إنه قد مات قال فى جوابه إنى لم أضمن أجله، وليس على الطبيب منع الموت ولاتطويل العمرُ وفيهم من جعل له فى كل يوم عشره من الفرانسه.

وفيه رأى رأيه حضرة الباشا حفر بحر عميق بحرى إلى

* التفكير فى حفر ترعة الاشرفية المحمودية.

بركه عميقه تحفر أيضا باسكندريه تسير فيها السفن بالغلال وغيرها، ومبدها من مبدا خليج الأشرفيه عند الرحمانيه، فطلب لذلك خمسين ألف فاس ومسحه يصنعها صناع الحديد وأمر بجمع الرجال من القرى، وهم مايه ألف فلاح توزع على القرى والبلدان للعمل والحفر بالأجره، وبرزت الأوامر بذلك فارتبك أمر الفلاحين ومشايخ البلاد لأن الأمر برز بحضور المشايخ وفلاحيهم، فشرغوا فى التشهيل وما يتزودون به فى البريه ولايدرون مدة الإقامه من يقدرها بالسنه ومنهم بأقل أو أكثر.

واستهل شهر رجب بيوم الأحد [سنه ١٢٣٢]

* رعد ومطر فى غير اوانهما.

* من فوائد الظواهر الغير عادية تأريخ العوام بها.

فى تانيه يوم الاتنين الموافق لتانى عشر بشنس القبطى وسابع آيار الرومى قبل الغروب بنحو ساعه تغير الجو بسحاب وقتام، وحصل رعد متتابع وأعقبه مطر بعد الغروب، ثم انجلى ذلك، والسبب فى ذكر مثل هذه الجزئيه شيان الأول وقوعها فى غير زمانها لما فيه من الاعتبار بخرق العوايد، التانى الاحتياج إليها فى بعض الأحيان فى العلامات السماويه وبالأكثر فى الوقايع العاميه، فإن العامه لايؤرخون غالبا بالأعوام والشهور بل بحادثه أرضيه أو سماويه خصوصا إذا حصلت فى غير وقتها، أو ملحمه أو معركه أو فصل أو مرض عام أو موت كبير أو أمير، فإذا سيل شخص عن وقت مولده أو مولد ابنه أو ابنته أو موت أبيه أو

سنه بلوغه سن الرشد يقول كان بعد الحادثه الفلانيه بكذا من الأيام ثم لايدرى فى أى شهر أو عام، وخصوصا إذا طال الزمان بعده.

وقد تكرر الاحتياج إلى تحرر الوقت فى مسايل شرعيه فى مجلس الشرع فى مثل الحضانه والعده والنفقه وسن اليأس ومدة غيبة المفقود بأن يتفق قولهم على أن الصبى ولد يوم السيل الذى هدم القبور، أو يوم موت الأمير فلان، أو الواقعه الفلانيه، ويختلفون فى تحقيق وقتها، وعند ذلك يحتاجون إلى السؤال ممن عساه يكون أرّخ وقتها، وفى غير وقت الاحتياج يسخرون بمن يشغل بعض أوقاته بشى من ذلك لاعتيادهم إهمال العلوم التى كان يعتنى بتدوينها الأوايل إلا بقدر إقامه الناموس، الذى يحصلون به الدنيا.

ولولا تدوين العلوم وخصوصا علم الأخبار ما وصل إلينا شى منها، ولا الشرايع الواجبه، ولايشك شاك فى فوايد التدوين وخصايصه بنص التنزيل، قال تعالى" :وكلاً نُقصُّ عليك من أنباء الرسل ما نثبِّت به فؤادك وجاءك فى هذه الحقُّ وموعظه وذكرى للمؤمنين."

* وصول إبراهيم باشا فى حروبه مع الوهابية إلى أرض الموتان.

وفى عاشره وصلت هجانه وأخبار عن إبراهيم باشا من الحجاز بأنه وصل إلى محل يسمى الموتان فوقع بينه وبين الوهابيه، وقتل منهم مقتله عظيمه، وأخذ منهم

أسرى وخياما ومدفعين، فضربوا لتلك الأخبار مدافع سرورا بذلك الخبر.

* وصول تجارة محمد على من الهند وذهابه لاستلامها مع المحروقى.

وفى يوم الأربع تامن عشره سافر الباشا إلى أسكله السويس وصحبته السيد محمد المحروقى ليتلقى سفاينه الواصله بالبضايع الهنديه.

واستهل شهر شعبان بيوم الاتنين سنه ١٢٣٢

فيه رجع الباشا من السويس وأخلوا للبضايع الواصله تلات خانات توضع فى حواصلها ثم توزع على الباعه بالثمن الذى يفرضه.

وفيه وصل الخبر أيضا بوصول سفاين إلى بندر جده وفيها تلاته من الفيله.

* البدء فى شق ترعة المحمودية الاشرفية (المحمودية).

وفيه قوى أهتمام الباشا لحفر الترعه الموصله إلى اسكندريه كما تقدم وأن يكون عرضها عشرة أقصاب والعمق أربعة أقصاب بحسب علو الأراضى وانخفاضها، وتعينت كشاف الأقاليم لجمع الرجال، وفرضوا أعدادهم بحسب كثرة أهل القريه وقلتها، وعلى كل عشره أشخاص شخص كبير.

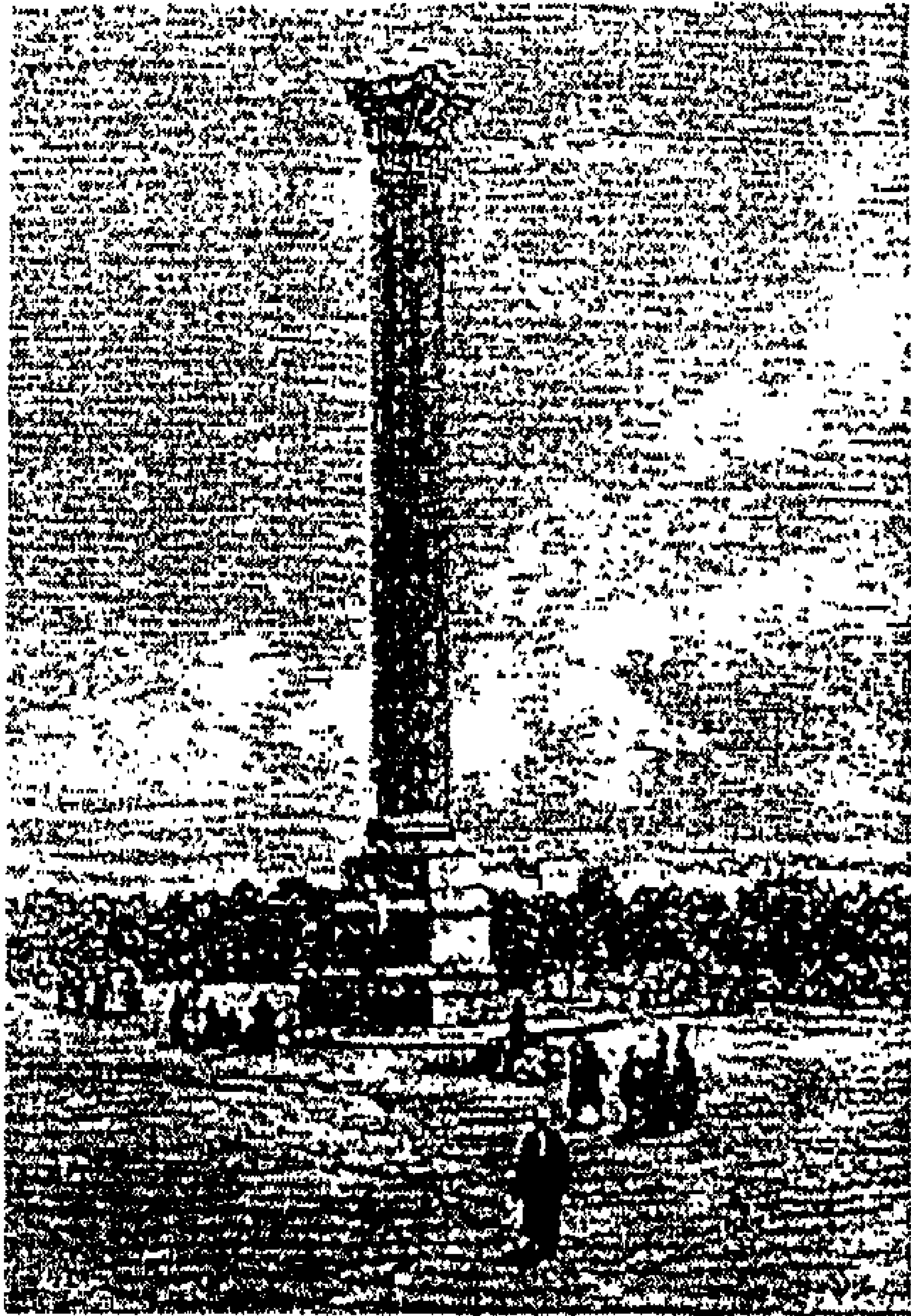
وجمعت الغُلقان، ولكل غلق فاس وتلاته رجال لخدمته، وأعطوا كل شخص خمسه عشر قرشا ترحيله،

ولكل شخص تلاتون نصفا فى أجرته كل يوم وقت العمل.

وحصل الاهتمام لذلك فى وقت اشتغال الفلاحين بالحصيده [الحصاد] والدراس وزراعة الذره التى هى معظم قوتهم، وشرعوا فى تشهيل احتياجاتهم وشرا القرب للماء، فإن بتلك البريه لايوجد الماء إلا ببعض الحفاير التى يحفرها طالب الماء، وقد تخرج مالحه لأنها أراض مسبخه.

وتعين جماعه من مهند سخانه ونزلوا مع كبيرهم لمساحتها وقياسها فقاسوا من فم ترعه الأشرفيه حيث الرحمانيه إلى حد الحفر المراد بقرب عمود السوارى *الذى باسكندريه، فبلغ ذلك سته وعشرين ألف قصبه، ثم قاسوا من أول الترعه القديمه المعروقه بالناصريه وابتداها من المكان المعروق بالعطف عند مدينه فنوه فكان أقل من ذلك ينقص عنه خمسه آلاف قصبه وكسر، فوقع الاختيار على أن يكون ابتداها هناك.

* عمود السوارى.



وفى أثناء ذلك زاد النيل قبل المناداه عليه بالزياده، وذلك فى منتصف بؤنه القبطى وغرّق المقاثى من البطيخ والخيار والعبد لاوى، وأهمل أمر الحفر فى الترعه المذكوره إلى ما بعد النيل واستردت الدراهم التى أعطيت للفلاحين لأجل الترحيله، وفرحوا بذلك الإهمال، وقد كان أطلق الباشا لمصارفها أربعه آلاف

كيس من تحت الحساب، ورجع المهندسون إلى مصر، وقد صوروا، صورتها فى كواغد *[اوراق] ليطلع عليها الباشا عيانا وكان رجوعهم فى تامن عشر شعبان.

* الخرائط الهندسية لترعة المحمودية على الاوراق.

وفيه تقلد إبراهيم أغا المعروف بأغات الباب أمر تنظيم الأصناف والمحدثات، وعمل معدلاتها لبيان سرقات ومخفيات المتقلدين آخر كل صنف من الأصناف بعد البحث والتفتيش والتفحص على دقايق الأشيا.

وفيه وصل نحو المايتى شخص من بلاد الروم أرباب صنايع معمرين ونجارين وحدادين وبناين وهم مابين أرمنى ونجريجى [يونانى] ونحو ذلك.

وفيه أيضا اهتم الباشا ببنا حايطين بحرى رشيد عند الطينه على يمين البغاز وشماله لينحصر فيما بينما الماء ولاتطمى الرمال وقت ضعف النيل، ويقع بسبب ذلك العطب للمراكب وتلف أموال المسافرين، وقد كمل ذلك فى هذا الشهر وهذه الفعله من أعظم الهمم الملوكيه التى لم يسبق بمثلها.

* انشاء حاجز للأمواج عند رشيد.

وفى عشرينه شنق شخص بباب زويله بسبب الزياده فى المعامله وعلقوا بأنفه ريال فرانسه، مع أن الزياده ساريه فى المبيعات والمشتروات من غير إنكار.

* عقوبات التلاعب بأسعار العملة واللحوم.

وفيه أيضاً خزم المحتسب آناف أشخاص من الجزارين في نواحى وجهات متفرقه وعلّق فى آنافهم قطعاً من اللحم، وذلك بسبب الزياده فى ثمن اللحم وبيعهم له بما أحبوه من الثمن فى بعض الأماكن خفيه، لأن الجزارين إذا نزلوا باللحم من المذبح وأكثره هزيل ونعاج ومعز والقليل من المناسب الجيد، فيعلقون الردى بالحوانيت ويبيعونه جهاراً بالثمن المسعر ويخفون الجيد ويبيعونه فى بعض الأماكن بما يحبون.

* وصول أفيال هندية ثلاثة إلى السويس.

وفى يوم الخميس عشرينه وصلت الأفيال التلاته من السويس أحدها كبير عن الاثنين، ولكن متوسط فى الكبر فعبروا بهم من باب النصر وشقوا من وسط المدينه، وخرجوا بهم من باب زويله على الدرب الأحمر، وذهبوا بهم إلى قراميدان، وهرولت الناس والصبيان للفرجه عليها وذهبوا خلفها وازدحموا فى الأسواق لرؤيتها، وكذلك العسكر والدلاه ركبانا ومشاه وعلى ظهر الفيل الكبير مقعد من خشب.

واستهل شهر رمضان بيوم التلات [سنه ١٢٣٢]

* رؤية هلال رمضان.

وعملت الرؤيه تلك الليله وركب المحتسب وكذا مشايخ الحرف كعادتهم، وأثبتو رؤيه الهلال تلك الليله، وكان عسر الرؤيه جداً.

وفى صبح ذلك اليوم عزل عثمان أغا الوردانى من

الحسبه *وتقلدها مصطفى كاشف كرد ، وذلك لما تكرر على سمع الباشا أفعاله السوقه وانحرافهم وقله طاعتهم وعدم مبالاتهم بالضرب والإيذا وخزم الأنوف والتجريس، قال فى مجلس خاصته لقد سرى حكمى فى الأقاليم البعيده فضلا عن القريبه وخافنى العربان وقطاع الطريق وغيرهم خلاف سوقه مصر .فإنهم لايرتدعون بما يفعله فيهم ولاة الحسبه من الإهانه والإيذا، فلابد لهم من شخص يقرهم ولايرحمهم ولا يهملهم فوقع اختياره على مصطفى كاشف كرد هذا، فقلده ذلك وأطلق له الإذن، فعند ذلك ركب فى كبكبه وخلفه عده من الخياله، وترك شعار المنصب من المقدمين والخدم الذين يتقدمونه، وكذلك الذى أمامه بالميزان ومن بأيديهم الكرابيج لضرب المستحق والمنقص فى الوزن.

* حدود نظام الحسبة هو متابعة الموازيين والمكاييل معاقبة المخالفين، ولكنه عندما تعدى ذلك إلى الزام غير المسلمين بزى خاص عرزله الباشا، خاصة وانه ظهر استغلاله تفوذ الكسب الخاص.

وبات يطوف على الباعه ويضرب بالدبوس هشما بأدنى سبب، ويعاقب بقطع شحمه الأذن فأغلقوا الحوانيت *ومنعوا وجود الأشيا حتى ماجرت به العاده فى رمضان من عمل الكعك والرقاق المعروق بالسحير وغيره، فلم يلتفت لامتناعهم وغلقهم الحوانيت وزاد فى العسف، ولم يرجع عن سعيه واجتهاده، ولازم على السعى والطواف ليلا ونهاراً لاينام الليل بل ينام لحظه وقت ما يدركه النوم فى أى مكان ولو على مصطبه حانوت، وأخذ يتفحص على السمن والجبن ونحوه المخزون فى الحواصل ويخرجه، ويدفع ثمنه لأربابه بالسعر المفروض، ويوزعه لأرباب الحوانيت ليبيعوه

* الباعة يغلقون المحال اعتراضاً على ولى الحسبة الجديد.

على الناس بزياده نصف أو نصفين فى كل رطل.

وذهب إلى بولاق ومصر القديمه فاستخرج منهما سمنا كثيرا، ومعظم ذلك فى مخازن للعسكر*، فإن العسكر كانوا يرصدون الفلاحين وغيرهم فيأخذونه منهم بالسعر المفروض وهو مايتان وأربعون فى العشره منه ثم يبيعونه على المحتاجين إليه بما أحبوا من الزياده الفاحشه فلم يراع جانبهم، واستخرج مخبآتهم قهراً عنهم، ومن خالف عليه منهم ضربه وأخذ سلاحه ونكل به.

* كان العسكر العثمانى يحجب السلع لرفع أسعارها وهذا هو السبب فى ندرتها بالاسواق.

وذهب فى بعض الأوقات إلى بولاق فأخرج من حاصل ببعض الوكايل تلتمايه وخمسين ماعونا لكبير من العسكر، فحضر إليه بطايفته فلم يلتفت إليه ووبخه وقال أنتم عساكر لكم الرواتب والعلايف واللحوم والأسمان وخلافها، ثم تحتكرون أيضاً أقوات الناس وتبيعونها عليهم بالثمن الزايد،وأعطاه الثمن المفروض، وحمل المواعين على الجمال إلى الأمكنه التى أعدها لها عند باب الفتوح.

* الكشف عن العسكر العثمانى الذى يخبىء السلع لبيعها بأسعار عالية.

وعندما رأى أرباب الحوانيت الجد وعدم الإهمال والتشديد عليهم فتح المغلق منهم حانوته، وأظهروا مخبآتهم أمامهم وملوا السدريات والطسوت من السمن وأنواع الجبن خوفاً من بطش المحتسب، وعدم رحمته بهم، ويقف بنفسه على باعه البطيخ والقاوون.

* وصول جثة إبراهيم بك الكبير من دنقلة بالسودان لدفنها بمصر.

وفى منتصف شهر رمضان وصلوا برمه إبراهيم بك الكبير من دنقله، وذلك أنه لما وصل خبر موته استأذنت زوجته أم ولده الباشا فى إرسالها امرأه تدعى نفيسه لإحضار رمته، فأذن بذلك، وأعطى المتسفره فيما بلغنا عشره أكياس وكتب لها مكاتبات لكشاف الوجه القبلى بالمساعده، وسافرت وحضرت به فى تابوت، وقد جف جلده على عظمه لنحافته، وذلك بعد موته بنحو سته شهور، وعملوا له مشهداً وأمامه كفاره*، ودفنوه بالقرافه الصغرى، عند ابنه مرزوق بك.

* كفارة الموتى هو الزرع وخاصة النخل.

* محمد على يشنق حجاج الخضرى أحد زعماء المقاومة المصرية ضد الفرنساوية والذى ساعد محمد على فى الوصول إلى الحكم.

وفى ليلة الخميس سابع عشره طلب المحتسب حجاج الخضرى الشهير بنواحى الرمليه فأخذه إلى الجماليه وشنقه على السبيل المجاور لحاره المبيضه، وذلك فى سادس ساعه من الليل وقت السحور، وتركوه معلقا لمثلها من الليله القابله، ثم أذن برفعه فأخذه أهله ودفنه، وحجاج هو الذى تقدم ذكره غير مره فى واقعه خورشيد باشا وغيرها.

وكان مشهورا بالإقدام والشجاعه طويل القامه عظيم الهمه، وكان شيخا على طوايف الخضريه، صاحب صَوْلة وكلمه بتلك النواحى ومكارم أخلاق، وهو الذى بنى البوابه بآخر الرمليه عند عرصة الغله أيام الفتنه.

واختفى مرارا بعد تلك الحوادث، وانضم إلى الألفى ثم حضر إلى مصر بأمان، ولم يزل على حالته فى هدو

وسكون، ولم يؤخذ على هذه بجرم فعَله يوجب شنقه، بل قتل مظلوما لحقد سابق وزجراً لغيره.

* وفاء النيل ٦ مسرى.

وفى يوم الاتنين تامن عشرين شهر رمضان الموافق لسادس مسرى القبطى أوفى النيل أذرعه بالوفا، وكسر السد صبح يوم التلات بحضره كتخدا بك والقاضى وغيره، وجرى الماء فى الخليج، ولم يقع فيه مهرجان مثل العاده، وهذا والمحتسب مواظب على السروح ليلا ونهارا ويعاقب بجرح الآذان والضرب بالدبوس، وأقعد بعض صناع الكنافه على صوانيهم التى على النار، وأمر بكنس الأسواق ومواظبة رشها بالماء ووقود القناديل على أبواب الدور، وعلى كل تلاته من الحوانيت قنديل.

* المحتسب يواظب على متابعة الاسعار ونظافة الاسواق.

ويركب آخر الليل. ثم يذهب إلى بولاق ليتلقى الواردين بالبطيخ الأخضر والأصفر، ويعرف عدة الشروات ويأمرهم بدفع مكوسها المفروض، ثم يأمرهم بالذهاب إلى مراكز بيعهم ولايبيعون شيا حتى يأتيهم بنفسه أو بحضرة من يرسله من طرفه، ثم يعود طايفا عليهم فيحصى ما فى فرش أحدهم عددا ويميز الكبير بثمن والصغير بثمن، ويترك عند البايع من يباشره، أو يقف هو بنفسه ويبيع على الناس بما فرضه ويعطى لصاحبه الثمن والربح، فيراه قد ربح العشره قروش وأكثر بعد مكسه ومصارفه فيقول له أما يكفى مثلك ربح هذا القدر حتى تطمع أيضا فى الزياده عليه.

وهو مع ذلك يكر ويطوف على غيرهم ويحلق على مايرد من السمن الوارد والذى تقرر على المزارعين، فيزنه منهم بالسعر المفروض وهو أربعه وعشرون نصفا الرطل، ويرد عليهم الفوارغ ويعطيه للبايع بالثمن المقرر، وهو سته وعشرون، وهم يبيعونه بزياده نصفين فى كل رطل وهو ثمانيه وعشرون، ويناله الناس بأسهل وجدان سالما من الخلط والغش، ويأمرهم بإعادة ما عسى يوجد فيه من المرُتْه والعكار إلى مواعينه ليوزن مع فوارغه.

ورصد أيضا ما يرد للناس ولو لأكابر الدوله من السمن، فيطلق البعض ويأخذ الباقى بالثمن، وكذلك ما يأتيهم من البطيخ والدجاج، ولو كان لصاحب الدوله، حسب إذنه له بذلك، كل ذلك للحرص على كثره وجدان الأشيا، وتعدت أحكامه إلى بضايع التجار والأقمشه الهنديه وأهل مرجوش والمحلاويه وخلافهم، وطلب قوايم مشترواتهم والنظر فى مكايلهم فضاق خناق أكثر الناس من ذلك لكونهم لم يعتادوه من محتسب قبله.

وكأنه وصله خبر ولاة الحسبه وأحكامهم فى الدول المصريه القديمه، فإن وظيفه أمين الاحتساب وظيفه قضاء، وله التحكم والعداله والتكلم على جميع الأشيا، وكان لايتولاها إلا المتضلع من جميع المعارف والعلوم والقوانين ونظام العداله، حتى على من يتصدر لتقرير العلوم فيحضر مجلسه ويباحثه فإن وجد فيه

أهليه للالقا أذن له بالتصدر أو منعه حتى يستكمل، وكذلك الأطباء والجراحيه حتى البيطاريه والبزدريه ومعلمو الاطفال فى المكاتب ومعلمو السباحه فى الماء، والنظر فى وسق المراكب فى الأسفار وأحمال الدواب فى نقل الأشيا ومقادير روايا الماء مما يطول شرحه، وفى ذلك مؤلّف للشيخ ابن الرفعه *وقد سهل بعض ذلك مع العداله وعدم الاحتكار وطمع المتولى وتطلعه لما فى أيدى الناس وأرزاقهم.

*ابن الرفعة: هو أحمد بن على الانصارى. فقيه شافعى توفى سنة ٧١٠هـ =١٣١٠م. من كتبه "بذل النصائح الشرعية فى ما على السلطان وولاة الأمور وسائر الرعية "كان محتسباً للقاهرة.

ومما يحكى أن الرشيد سأل الليث بن سعد فقال له يا أبا الحارث ما صلاح بلدكم)يعنى مصر(، فقال له أما صلاح أمرها ومزارعها فبالنيل، وأما أحكامها فمن رأس العين يأتى الكدر.

وفى أواخر رمضان زاد المحتسب فى نغمات الطنبور وهو أنه أرسل مناديه فى مصر القديمه ينادى على نصارى الأرمن والأروام والشوام بإخلا البيوت التى عمروها وزخروفها وسكنوا بها بالإنشا والملك والمؤجراه المطله على النيل وأن يعودوا إلى زيهم الأول من لبس العمايم الزرق وعدم ركوبهم الخيول والبغال والرهوناب الفارهه واستخدامهم المسلمين ، فتقدم أعاظمهم إلى الباشا بالشكوى وهو يراعى جانبهم لأنهم صاروا أخصا الدوله وجلسا الحضره وندما الصحبه.

*الأمر لنصارى الارمن والاروام والشوام بإخلاء مساكنهم التى على النيل.

وأيضا نادى مناديه على المردان ومحلقى اللحى بأنهم يتركونها ولايحلفونها وجميع العسكر، وغالب الأتراك

*الأمر بارخاء اللحى.

سنتهم حلق اللحى، ولو طعن فى السن، فأشيع فيهم أن يأمرهم بترك لحاهم، وذلك خرم لقواعدهم بل يرونه من الكباير، وكذلك السيد محمد المحروقى بسبب تعرضه إلى بضايع التجار من أهل الغوريه فإن ذلك منوط به.

وفى أثناء ذلك ورد إلى عابدين بك مواعين سمن فأرسل الجمال إلى حملها من ساحل بولاق فبلغ خبرها المحتسب فأخذها وأدخلها مخزنه، وعادت الجمال فارغه وأخبروا مخدومهم المحتسب لها، فأرسل عده من العسكر فأخرجوها من المخزن وأخذوها، ولم يكن المحتسب حاضرا واتفق أنه ضرب شخصا من عسكر المذكور أرنؤدى بالدبوس حتى كاد يموت فاشتد بعابدين بك الحنق، وركب إلى كتخدا بك وشنع على المحتسب.

وتعدت الشكاوى وصادفت فى زمن واحد فأنهى الأمر إلى الباشا فتقدم إليه بكف المحتسب عن هذه الأفعال فأحضره الكتخدا وزجره وأمره أن لايتعدى حكمة الباعه ومن كان يسرى عليهم أحكام من كان فى منصبه قبله، وأن يكون أمامه الميزان ويؤدب المستحق بالكرابيج دون الدبوس.

واستهل شهر شوال بيوم الخميس [سنه ١٢٣٢]

فترك المحتسب السروح فى أيام العيد وأشيع بين السوقه عزله، فأظهروا الفرح ورفعوا ما كان ظاهر

بين أيديهم من أيديهم من السمن والجبن وأخفوه عن الأعين ورجعوا إلى حالتهم الأولى فى الغش والخيانه وغلا السعر، وأغلق بعضهم الحانوت وخرجوا إلى المنتزهات وعملوا ولايم.

وفى رابعه شنقوا عدة أشخاص فى أماكن متفرقه قيل إنهم سُرّاق وزغليه [مزيفوا النقود] وكانوا مسجونين فى أيام رمضان، ولم يركب المحتسب حسب الأمر بل أركب خازنداره، وشق بالميزان عوضاً عنه ثم ركب هو أيضاً وبيده الدبوس لكن دون الحاله الأولى فى الجبروت، ولم يَسْرِ حكمُه على النصارى فضلا عن غيرهم.

*النزول بكسوة الكعبة من القلعة.

وفى عاشره يوم السبت نزلوا بكسوة الكعبه من القلعه وشقوا بها من وسط الشارع إلى المشهد الحسينى.

*وصول الحجاج المغاربة إلى مصر فى طريقهم إلى الحجاز.

وفى يوم السبت سابع عشره أداروا المحمل وخرج أميرُ الركب إلى خارج باب النصر ووصلت حجاجٌ كثيره من ناحيه المغرب إلى بر إنبابه وبولاق، وطفقوا يشترون الأغنام من الفلاحين ويذبحونها ويبيعونها ببولاق وطرقها على الناس جزافا من غير وزن، ويذهب الكثير من الناس إلى الشرا منهم فيقعون فى الغبن الفاحش والزياده على السعر بالضعف وأكثر، وضرورتهم فى الشرا منهم رداءه ما يحمله القصابون من المذبح من أغنام الباشا المحضره من البلاد والقرى، وقد هزلت من السفر والإقامه بالجوع والعطش، ويموت

الكثير منها فيسلمونه ويزنونه على الجزارين بالبيع للناس، وفيه المتغير الريحه وما تعافه النفوس، فبسبب ذلك اضطر الناس إلى الشرا من هولا الأجناس بالغبن وتحمل سو أخلاقهم.

وحصل بينهم وبين بعض العسكر شرور وقتل بينهم قتلى ومجاريح، والباشا وحكام الوقت يتغافلون عنهم خوفاً من وقوع الفتن، ثم ارتحلوا لأنهم كثروا وملوا الأزقه والنواحى.

وحضر أيضاً الركب الفاسى وفيه ولدا السلطان سليمان ومن يصحبهما فأحسن الباشا نزلهم، وتقيد السيد محمد المحروقى بملاقاتهم ولوازمهم، وأنزلوهم فى منزل بجوار المشهد الحسينى، وأجريت عليهم نفقات تليق بهم وأهديا للباشا هديه، وفيها عده بغال وبرانس حرير وغير ذلك.

وفى تامن عشرينه ارتحل الحج المصرى من البركه، وكانت الحجوج فى هذه السنه كثيره من ساير الأجناس أتراك وططر وبشناق وجركس وفلاحين ومن ساير الأجناس، ورجع الكثير من المسافرين على بحر القلزم إلى الحجاز من السويس لقله المراكب التى تحملهم وغصت المدينه من كثرة الزحام زياده على مابها من ازدحام العساكر وأخلاط العالم من فلاحى القرى المشيعين والمسافرين، ومن يرد من الآفاق والبلاد الشاميه ونصارى الروم والأرمن والدلاه والواردين،

والذين استدعاهم الباشا من الدروز والمتاوله والنصيريه وغيرهم لعمل الصنايع والمزارع وشغل الحرير، وما استجده بوادي الشرقية حتى إن الإنسان يقاسى الشده والهول إذا مر بالشارع من كثرة الازدحام ومرور الخياله وحمير الأوسيه والجمال التى تحمل الأتربه والأنقاض والأحجار لعماير الدوله، سوى من عداها من حمول الأحطاب والبضايع والتراسين، حتى الزحمه فى داخل العطف الضيقه، وزياده على ذلك كثرة الكلاب بحيث يكون فى القطعه من الطريق نحو الخمسين، ثم صياحها ونباحها المستمر، وخصوصاً فى الليل على المارين وتشاجرها مع بعضها مما يزعج النفوس ويمنع الهجوع.

*كثرة الكلاب وازعاجها للناس.

وقد أحسن الفرنساويه بقتلهم الكلاب، فإنهم لما استقروا وتكرر مرورهم ونظروا إلى كثرة الكلاب من غير حاجه ولامنفعه سوى الهبهبه والعوا وخصوصاً عليهم لغربة أشكالهم، فطاف عليها طايفٌ منهم باللحم المسموم، فما أصبح النهار إلا وجميعها موتى مطروحه بجميع الشوارع فكان الناس والصغار يسحبونها كذا بالحبال إلى الخلا، واستراحت الأرض ومن فيها فالله يكشف عنا مطلق الكرب فى الدنيا والآخره بمنهٍ وكرمه.

واستهل شهر ذى القعده [سنه ١٢٣٢].

فى خامسه يوم الأربع وليلة الخميس ارتحل ركب

الحجاج المغاربه من الحصود.

*قرآة البخارى طلباً لنصرة إبراهيم باشا على الوهابية.

وفى أواخره حصل الأمر للفقها بالأزهر بقرايه صحيح البخارى فاجتمع الكثير من الفقها والمجاورين وفرقوا بينهم أجزا وكراريس من البخارى يقرون فيها فى مقدار ساعتين من النهار بعد الشروق، فاستمروا على ذلك خمسة أيام، وذلك بقصد حصول النصر لإبراهيم باشا على الوهابيه، وقد طالت مدة انقطاع الأخبار عنه، وحصل لأبيه قلقّ زايد، ولما انقضت أيام قرايه البخارى نزّل للفقها عشرين كيساً فرقت عليهم، وكذلك على أطفال المكاتب.

واستهل شهر ذى الحجه بيوم الأحد [سنه ١٢٣٢]

فى رابعه شنقوا أشخاصاً قيل إنهم خمسه، ويقال إنهم حراميه.

*إرسال الأفيال الثلاثة إلى دار السلطنة.

وفيه أرسلت الأفيال التلاته إلى دار السلطنه وصحبة الهدايا المرسله تلاته سروج ذهب وفيها سرج مجوهر، وخيول كبوش [بغال] ونقود وأقمشه هنديه وسكاكر وأرز.

وفيه وصل [فيل] آخر كبير مرُّوا به من وسط المدينه وذهبوا به إلى رحبه بيت السيد محمد المحروقى وقفوا به فى أواخر النهار والناس تجتمع للفرجه عليه إلى

أواخر النهار، ثم طلعوا به إلى القلعه وأوقفوه بالطبخانه، وهى محل عمل المدافع، وحضر بصحبته شخص يدعى العلم والمعرفه بالطب والحكمه، ومعه مجلد كبير فى حجم الوساده يحتوى على الكتب السته الحديثيه *وخطه دقيق، قال إنه نسخه بيده، ونزل ببيت السيد محمد المحروقى وركب له معجون الجواهر أنفق فيه جمله من المال وكحلا، وركب أيضاً تراكيب لغيره، وشرط عليهم فى الاستعمال بعد مضى سته أشهر وشى منها بعد شهرين وتلاته، وأقام أياماً ثم سافر راجعاً إلى صنعا.

*اى التى جمع فيها الاحاديث النبوية.

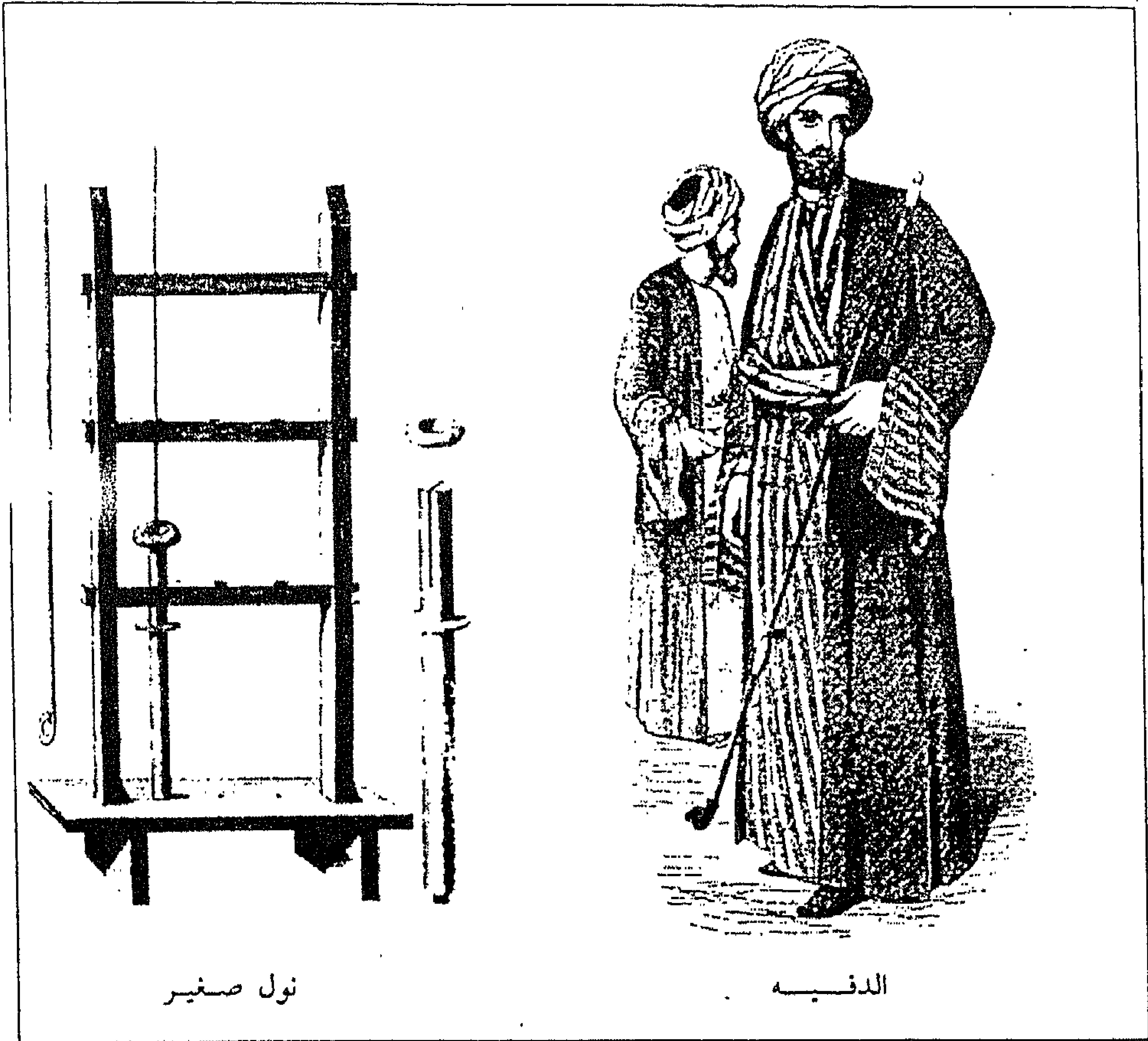
وفى التلات عاشره كان عيد النحر، ولم يرد فيه مواشى كثيره كالأعياد السابقه من الأغنام والجواميس التى تأتى من الأرياف، فكانت تزدحم منها الأسواق لكثرتها والوكايل والرميله، فلم يرد إلا النذر القليل قبل النحر بيومين، ويباع بالثمن الغالى، ولم يذبح الجزارين فى أيام النحر للبيع كعادتهم إلا القليل منهم مع التحجير على الجلود وعلى من يشتريها، وتباع لطرف الدوله بالثمن الرخيص جداً.

*عيد الضحية.

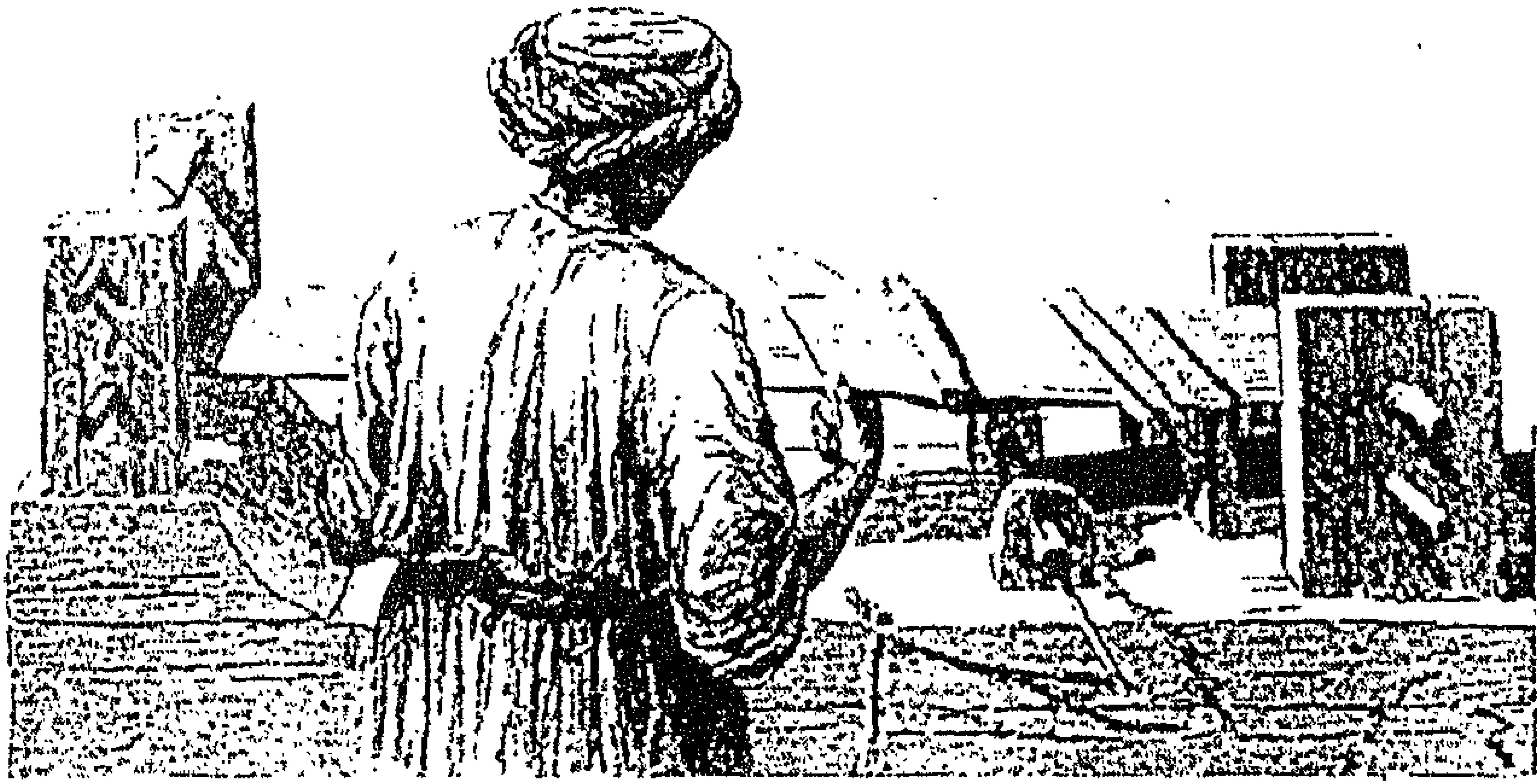
[موجز لأحداث العام الماضى]

وانقضت السنه مع استمرار ما تجدد بها من الحوادث التى منها ما حدث فى آخر السنه من الحجر وضبط أنواع الحياكه وكل ما يصنع بالمكوك، وما ينسج

*ظهور نظام السوق المركزى الذى تباع فيه السلع المجموعة من المنازل والارياف حتى يمكن تحديد الاسعار وبالتالى بيع السلع ورقابتها.



على نول أو نحوه من جميع الأصناف من ابريسم أو حرير أو كتان إلى الخيش والفلّ والحصير فى ساير الإقليم المصرى طولا وعرضا قبلى وبحرى من اسكندريه ودمياط إلى أقصى بلاد الصعيد والفيوم، وكل ناحيه تحت حكم هذا المتولى، وانتظمت لهذا الباب دواوين ببيت محمود بك الخازندار، وأياما ببيت السيد محمد المحروقى ويحضره من ذكر والمعلم غالى، ومتولى كبر ذلك والمفتتح لأبوابه المعلم يوسف كنعان الشامى، والمعلم منصور أبو سريمون القبطى.



صانع أحزمة الوسط (المنطقة) على نوله

ورتبوا لضبط ذلك كتابا ومباشرين يتقررون بالنواحى والبلدان والقرى وما يلزم لهم من المصاريف والمعاليم والمشاهرات ما يكفيهم فى نظير تقيدهم وخدمتهم، فيمضى المتعينون لذلك فيحصون ما يكون موجوداً على الأنوال بالناحيه من القماش والبز والأكسيه الصوف المعروفه بالزعابيط والدفافى*، ويكتبون عدده على ذمه الصانع، ويكون ملزوما به حتى إذا تم نسجه دفعوا ثمنه بالفرض الذى يفرضونه، وإن أرادها صاحبها أخذها من الموكلين

* الدفيه: عباءة خارجية تصنع غالباً من الصوف.

بالثمن الذى يقدرونه بعد الختم عليها من طرفيها بعلامة الميرى، فإن ظهر عند شخص شى من غير علامة الميرى أخذت منه بل وعوقب وغرم تأديبا على اختلاسه وتحذيراً لغيره.

هذا شأن الموجود الحاصل عند النساجين واستئناف العمل المجدد فإن الموكل بالناحيه ومباشريها يستدعون من كل قريه شخصا معروفا من مشايخها فيقيمونه وكيلا ويعطونه مبلغا من الدراهم ويأمرونه بإحصا الأنوال والشغالين والبطالين منهم فى دفتر، فيأمرون البطالين بالنسج على الأنوال التى ليس لها صناع بأجرتهم كغيرهم على طرف الميرى، ويدفع المتوكل لشخصين أو تلاته دراهم يطوفون بها على النسا اللاتى يغزلن الكتان بالنواحى ويجعلنه أذرعا، فيشترون ذلك منهن بالثمن المفروض، ويأتون به إلى النساجين، ثم تجمع أصناف الأقمشه فى أماكن للبيع بالثمن الزايد، وجعلوا لمبيعها أمكنه مثل خان أبو طقيه وخان الجلاد ويه يجلس المعلم كنعان ومن معه وغير ذلك، وبلغ ثمن الثوب القطن الذى يقال له البطانه إلى تلتمايه نصف فضه بعدما كان يشترى بماية نصف وأقل وأكثر بحسب الرداءه والجوده، وأدركناه يباع فى الزمن السابق بعشرين نصفا، وبلغ تمن المقطع القماش الغليظ إلى ستمايه نصف فضه، وكان يباع بأقل من تلت ذلك وقس على ذلك باقى الأصناف، وهذه البدعه المحدثه، فإن ضررها عم الغنى والفقير والجليل

والحقير والحكم لله العلى الكبير.

ومنهـا أن المشـار إليـه *هدم القـصـر الذى بـالآثار وأنشـأه على الهـيئـه الروميـه التى ابتـدعـوها فى عمـايرهم بمصر، وهدموه وعمـروه وبيضوه فى أيام قليله، وذلك أنه بات هناك ليلتين فـأعـجبـه هواه فاختـار بناه على هواه، وعند تمامه وتنظيمه بالفرش والزخارف جعل يتردد إلى المبيت به بعض الأحيان مع السرارى والغلمان، كما يَتَنَقَّل من قصر الجيزه وشبرا والأزبكيـه والقلعـه وغيـرها من سـرايات أولاده وأصهاره والملك لله الواحد القهار.

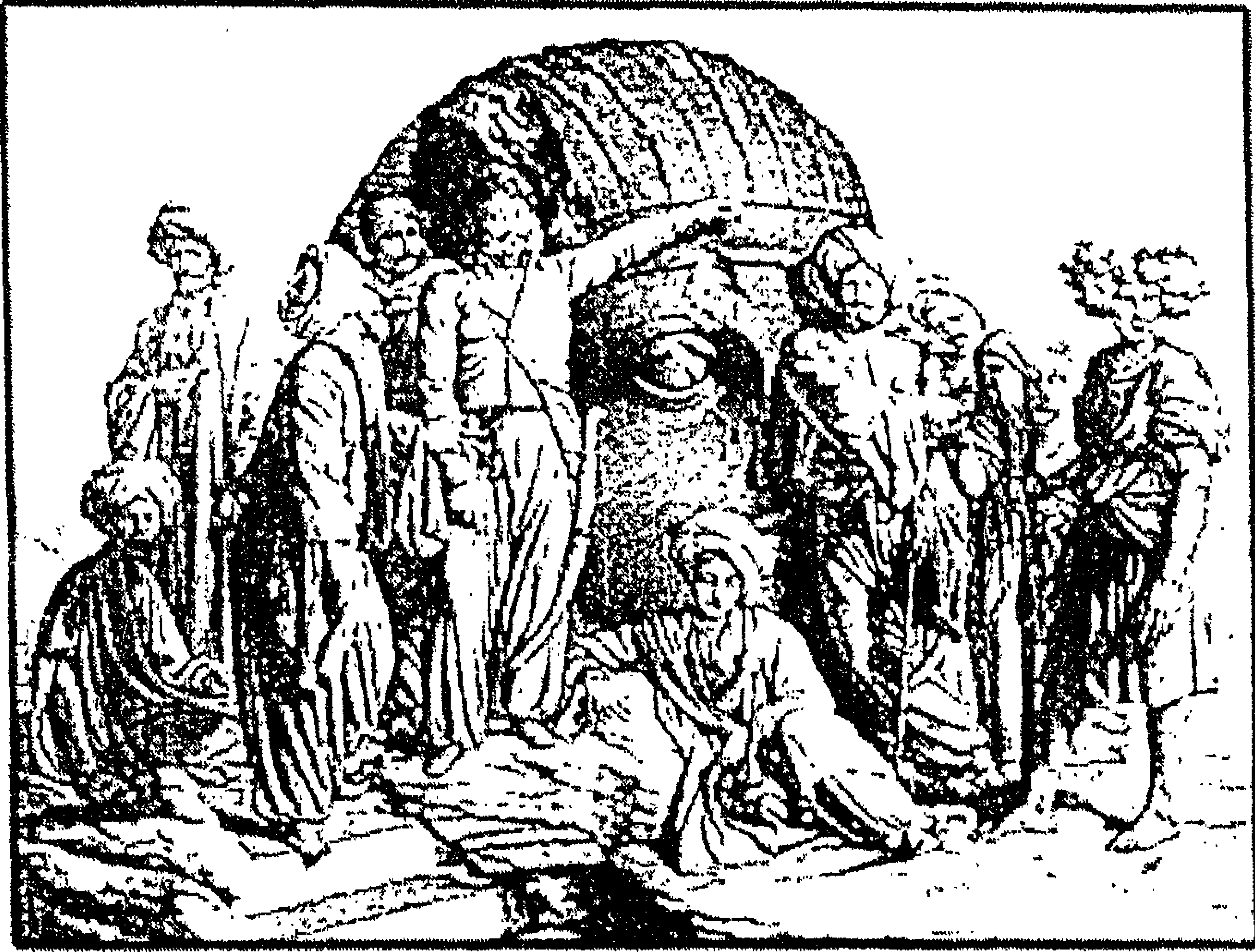
* محمد على باشا.

ومنهـا أن طايفه من لإفـرنج الإنكليز قـصدوا الاطلاع على الأهرام المشـهـوره الكاينه ببـر الجـيـزه غـربى الفسطاط، لأن طبيعتهم ورغبتهم الاطلاع على الأشيا المستغربات والفحص عن الجزئيات وخصوصا الآثار القديمه وعجايب البلدان والتصاوير والتماثيل التى فى المغارات والبرابى بالناحيه القبليه *وغيرها، ويطوف منهم أشخاص فى مطلق الأقاليم بقصد هذا الغرض، ويصرفون لذلك جملا من المال فى نفقاتهم ولوازمهم ومواجريهم.

*زيارات الإنجليز للأهرام وقيام بعضهم بجلب الآثار ليبيعها فى بلادهم.

*فى هذه الفـتـرة كـشف "جيوفانى بابتستا "عـن معبدى ابو سمبل.

حتى إنهم ذهبوا إلى أقصى الصعيد وأحضروا قطع أحـجار عليـهـا نقوش وأقـلام وتصـاوير ونواويس [تـوابيـت] من رخـام أبيض كـان بداخلهـا مـوتى بأكفانها، وأجسامها باقيه بسبب الأطليه والأدهان



رأس تمثال رمسيس الثانى التى نقلت إلى المتحف البريطانى



السياح يصعدون حجارة الأهرام

الحافظه لها من البلا، ووجه المقبور مصور على تمثال صورته التى كان عليها حال حياته، وتماثيل آدميه من الحجر السماقى الأسود المنقط الذى لايعمل فيه الحديد، جالسين على كراسى واضعين أيديهم على الركب، وبيد كل واحد شبه مفتاح بين أصابعه اليسرى، والشخص مع كرسيه قطعه واحده مفرغ معه أطول من قامه الرجل الطويل، وعلو رأسه نصف دايره منه فى علو الشبر، وهم شبه العبيد المشوهين الصوره، وهم سته على مثال واحد كأنما أفرغوا فى قالب واحد يحمل الواحد منهم الجمله من العتالين، وفيهم السابع من رخام أبيض جميل الصوره.

وأحضروا أيضا رأس صنم كبير *دفعوا فى أجرة السفينه التى أحضروه فيها سته عشر كيسا عنها تلتمايه وعشرون ألف نصف فضه، وأرسلوها إلى بلادهم لتباع هناك بأضعاف ماصرفوه عليها، وذلك عندهم من جمله المتاجر فى الأشيا الغريبه.

ولما سمعت بالصور المذكوره فذهبت بصحبه ولدنا الشيخ مصطفى باكير المعروف بالساعاتى، وسيدى إبراهيم المهدى الإنكليزى*، إلى بيت قنصل بدرب البرابره بالقرب من كوم الشيخ سلامه جهة الأزبكيه وشاهدت ذلك كما ذكرته وتعجبنا من صناعتهم وتشابهم وصقاله أبدانهم الباقيه على مر السنين والقرون التى لا يعلم قدرها إلا علام الغيوب، وأرادوا الاطلاع على أمر الأهرام وأذن لهم صاحب



أبو الهول

*هى تمثال رأس تمثال رمسيس الثانى التى نقلها جيوفانى بلزونى بابتستا إلى المتحف البريطانى بلندن من معبد الرمسيوم. وكانت هذه الرأس قطعة واحدة من الجرانيت الوردى زنتها ثمانية أطنان.

*إبراهيم المهدى الإنجليزى: هو الرحالة الشهير "جون لويس بوركهات" الذى عاش بالقاهرة فترة طويلة من ١٨١٢ حتى عام ١٨١٧ على أمل القيام برحلة إلى وسط إفريقيا.
انظر: رحلات بوركهارت فى بلاد النوبة والسودان، ترجمة. فؤاد اندراوس نشرته الجمعية المصرية للدراسات التاريخية.(د.ت)

*دخول الهرم الأكبر ونزح

الأتربة من داخله على يد جيوفانى بلزونى.

الملكه، فذهبوا إليها ونصبوا خيمه وأحضروا الفعله والمساحى والغلقان وعبروا إلى داخلها وأخرجوا منها أتربه كثيره من زبل الوطواط وغيره، ونزلوا إلى الزلاقه ونقلوا منها ترابا كثيرا وزبلا فانتهوا إلى بيت مربع من الحجر المنحوت غير مسلوك، هذا ما بلغنا عنهم.

*نزح الأتربة من حول رأس أبو الهول.

وحفروا حوالى الرأس العظيمه التى بالقرب من الأهرام التى تسميها الناس رأس أبى الهول، فظهر أنه جسم كامل عظيم من حجر واحد ممتد كأنه راقد على بطنه رافع رأسه، وهى التى يراها الناس وباقى جسمه مغيب بما انهال عليه من الرمال، وساعداه من مرفقيه ممتدان أمامه، وبينهما شبه صندوق مربع إلى استطاله من سماق أحمر عليه نقوش شبه قلم الطير*، فى داخله صوره سبع مجسم من حجر مدهون بدهان أحمر رابض باسط ذراعيه فى مقدار الكلب، رفعوه أيضا إلى بيت القنصل، ورأيته يوم ذاك، وقيس المرتفع من جسم أبى الهول من عند صدره إلى أعلى رأسه فكان اتنين وتلاتين ذراعا، وهى نحو الربع من باقى جسمه، وأقاموا فى هذا العمل نحوا من أربعه أشهر.

*نقوش قلم الطير (الهيروغليفية) *ويكتب بريس دافين عن آثار الأقصر فى ذلك الحين فيقول:

بعد أن ألقيت نظرة سريعة على أهم معالم مصر العليا والنوبة السفلى رجعت إلى "طيبة" حيث كنت أريد أن أستقر لكى أدرس الآثار وأقوم على مهل لرحلات مختلفة فى وادى النيل وفى الصحراوين اللتين تمنطقانه بحزام من الرمل والجبال الماحلة وبدا لى المقام فى الأقصر أفضل منه فى أية قرية أخرى من القرى الرابضة بين أطلال العاصمة الفرعونية. وقررت أن أنزل فى المسكن الذى



أبو الهول

شيده البحارة الفرنسيون الذين كلفوا بأن ينقلوا إلى باريس المسلة التى تحلى اليوم ميدان "الكونكورد".

وكان ذلك المنزل المتواضع المبنى باللبن فوق طنف قصر "أمونوبوليس "أشمل المنازل راحة. فقد كان المرء يشرف منه على منظر رائع، ويحظى فيه بنسمات النهر البليلة. وينتقل منه وإليه بمواصلات ناجزة ميسرة. ويجد بعد هذا كله فى القرية ما يكفل حاجات الحياة اللازمة.

وسرعان ماتم استقرارى بفضل قلة الأثاث الذى يتطلبه بيت عربى، فببعض البسط والنمارق والحصر كان لى أفخر ديوان هناك. وكان أثاث غرفتى يتألف من مائدة وكرسيين أخذتهما من قاربى، وبعض الكتب صففتها على ألواح من خشب الجميز منزوعة من تابوت مومياء. وخريطة معلقة على الحائط بين أسلحتى التى اصطحبها فى رحلاتى وأدوات الصيد، وسرير من الجريد تعلوه كله. وهكذا كان لى فى غرفتين مايفى بمقتضيات الحياة العامة ولوازم الدرس والحياة الخاصة.

وكنت قد استقررت باسمى العربى الذى أطلق على عندما دخلت فى خدمة محمد على والذى احتفظت به أثناء الرحلة كما احتفظت بزى "النظام "لما كانا ييسران لى من وسائل الحياة دون سبة بين المسلمين الذين كانوا يحيطوننى والذين كنت أعرف من لغتهم وأخلاقهم ما يلافى ان أجرح شعورهم ومعتقداتهم.

وكان مجتمعى المعتاد يتألف من ناظر قسم الأقصر ومن قاضى القرية وكنت اتحدث معهما فى كل شىء وأستقى منهما تاريخ الاقليم ونظام إدارته فى عهد ما عاصراه من الحكومات التى اختلفت عليه وكان مجتمعى الأوربى مركزا فى شخص يونانى يقيم على الضفة الأخرى بين المقابر المصرية، حيث كان يعيش من تجارة الآثار ومن غلة بعض الأراضى التى كان يستخدم فى زراعتها عددا من الفلاحين أسعدهم أن ينجو تحت حمايته من اتاوات الشيوخ. وكان هذا الرجل الطيب واسمه"ترایاندافیلو"، قد ضحى بكل شىء فى سبيل استقلال بلاده وبعد أن فنى ماله فى سبيل ذلك الكفاح، حضر إلى مصر تحت ضغط الأحداث واضطر إلى البقاء بها، ويتحدث دائما عن رغبته فى العودة إلى وطنه ولكنه يجد الاطمئنان فى خلوته الهادئة فلا يغادرها حتى يموت.

وكان قد حط فى "طيبة" لإدارة حفائر مستر "مولت "ثم واصل التنقيب لحسابه الخاص اذ توفى القنصل الانجليزى واكتسب هو من طول الخبرة معرفة بالأرض تؤهله أن يحدد لك مكان جميع آثار طيبة التى بيعت فى أوربا منذ أربعين سنة. وكان بفضل مقامه الطويل وتجاربه وما أتيح له أن يؤدى من خدمات للرحالة، على صلة بجميع من اشتهروا فى العلم، فكان حديثه ينبىء دائما بتفاصيل مفيدة. ومقابل المعلومات الخاصة بالآثار أو النوادر التى كان يرويها لى. كنت أمده بأخبار أوربا وأحدثه عن عجائب حضارتها. وكثيرا ما كان يأتى لزيارتى حين كانت دراساتى تجذبنى إلى الضفة الأخرى بين المقابر الفرعونية. وكان يسرنى أن أتقبل بدورى كرم ضيافته.

ولما كانت الحاجة قد اضطرته إلى التقتير فقد كان يعيش وحيدا كالراهب، يحوك ثيابه بنفسه، ويعد طعامه بنفسه، ويصوم كل صوم فى المذهب اليونانى ويقرأ كتابه المقدس

بانتظام، غير متخذ بعد ذلك من تسلية إلا قراءة "هوميـر" او"هيرودوت "وبعض الصحف التى كان يرسلها إليه مراسله. لقد صالحنى هذا الرجل الطيب القلب، الخدوم البصير بالأمور والناصح فى حكمه، صالحنى مع أبناء جنسه الذين يتعلم المرء بلا انقطاع أن يحتقرهم أينما رحل فى حوض البحر المتوسط.

وإلى جانب هذه العشرة الثابتة، كان يقبل من وقت إلى آخر الرحالة الذين كان يجذبهم إلى هذا الربع من مصر العليا حبهم للاستطلاع أو الدرس أو علاج ما أصابهم من داء أو الاشتغال بالتجارة، والذين كانوا كالطيرة العابرة لايخلفون إلا اسمهم وبعض أنباء البلاد التى أقبلوا منها ولكن بعضهم كان يقيم أمدا يقصر أو يطول بين هذه الآثار، يحفزهم من الدوافع ما استبقانى هناك. من هؤلاء الرواد من مات قبل أن يستطيع إدراج اسمه فى سجلات العلم ومنهم من عجز أن يطلع على العالم بثمرة لعلمه، فهو ميت رغم حياته ميتة ليست أقل إثارة للأسف.

وكان مجتمعى الشرقى، باستثناء بعض الأشخاص، متنوعا كمجتمعى الأوربى. فقد كان كبار الموظفين الذين يجيئون للتفتيش على الاقليم يلتمسون فى أكثر الأحيان فى المنزل الفرنسى مسكنا أرق هواء وأضمن للراحة من المقام فى مركب على النيل أو تحت خيمة.

بين هؤلاء الضيوف العابرين كان "خليل افندى "حاكم المديرية، وقد اتصلت به اتصالا وثيقا، وعادت على صداقته بتقدير سكان المنطقة واعتبارهم. وكثيرا ما كنت ادافع عن قضاياهم أمام محكمته. وكان خليل افندى قويم النفس عادلا، متدينا دون تعصب ولياً نزيها، يتحلى بصفات عالية لم يكن أحد يفطن إليها فى المنصب المتواضع الذى كان يشغله.

وفى تلك الفترة أقبل "ماهوبك "أحد أصدقاء الباشا، أحد الذين زاملوه فى حمل السلاح منذ الحملة الفرنسية، فأنفق فى الأقصر ثلاثة أشهر لتنشيط إرسال محصول القمح إلى بلاد العرب. وأراد أن ينزل فى البيت الفرنسى. ولكنه إذ علم اننى أحتل أجمل غرفتين فيه واننى غير مستعد للنزول عنهما لأى شخص كان. أرسل فرجانى أن أذهب لأقابله دعوة يوجهها لك "ماهوبك "كان معناها أمر صدر لك وعليك أن تصدع به. لذلك لم يستطيع المملوك الذى جاء يرجونى بأسم سيده أن أمضى لزيارته تصديق ما رأى من رفضى. لقد أجبته بوضوح أن "البك "إذا كان يريد لقائى فهو يستطيع أن يتجشم عناء المجيء عندى. وتكررت الدعوة، وتكرر الرفض.

وحمل إلى الدعوة فى اليوم التالى "الأب ترياندا فيلو" الذى حدثنى عن صديق محمد على فى عبارات شديدة الإطراء. ولما علمت أن "البك" كان مريضا وأعرج يتعبه صعود درجات سلمى الشاقة، قبلت دعوته منبئا إياه بالأسباب التى حدتنى إلى اتخاذ قرارى الجديد. واستقبلنى "ماهوبك "بحفاوة شرقية واستبقانى للعشاء وأطال السهرة للتحدث فى التاريخ والسياسة.

وفى اليوم التالى، بعد راحة القيلولة، وريثما كان الخدم ينصبون خيمته. رد "البك" الزيارة، مريدا أن يرى الأعمال التى تستبقينى هكذا وسط الفلاحين والأحجار، محروما من كل وسائل الراحة التى توفرها الحياة الأوروبية. وباستعراض رسومى، فهم كيف يمكن إعطاء فكرة واضحة

صحيحة عن أهل وأشياء بلد من البلاد إلى أولئك الذين لم تنح لهم سبل الرحلة. ثم حط الحوار- كما حط فى الأمس- على حديث فرنسا وانجلترا وروسيا الذى كان شغل الأتراك الشاغل إذ ذاك كما هو اليوم. وبعد سفره علمت أن خازنداره قد منح خدمى كيسا (١٢٥ فرنكا). وكان "ماهوبك" لايزال يتبع التقاليد الشرقية العتيقة، فتعلل بأننى ضيف محمد على وبالتالى ضيفه هو وأرسل لى صندوقين من أجود أنبذة فرنسا وآخر من المربى والحلوى التركية.

وأثناء مقامه أفضى النظر فى رسومى وفى أبحاثى مرارا بالحديث إلى ذكر أبهة المصريين القدماء وقوتهم، فرغب فى معرفتهم، وراق لهذا الرجل الذى طالما مر أمام آثار الوثنيين مبتسما فى إشفاق واحتقار أن يتأملها بانتباه. كوفئت سخرتى فى مرافقته مرافقة الدليل، فقد عادت على العالم بحفظ مدخل هيكل الكرنك الذى أمر الباشا باستغلاله فى تشييد معامل البارود بالمنطقة. وإجابة لرجائى أمر "ماهوبك" بالبحث عن مواد البناء فى غير ذلك المكان وأنقذ الكرنك من تحطيم وشيك.

وكنت أنفق جميع سهراتى تقريبا فى صحبة هذا الرجل الطيب طيلة مقامه بالأقصر. وكان فى النهار بعد تصريف الشئون يسأل قارئا أن يقرأ له "سيرة نابليون وحملاته" وهو كتاب قد ترجم أخيرا إلى اللغة التركية بأمر الباشا وكذلك كتاب الأمير "لمكيافيلى". فإذا حان المساء وجبت مناقشة ما جاء بهذين الكتابين، فمن تتبع مسير الامبراطور على الأطلس إلى الإجابة عن أسئلة طويلة، مع عدم التردد فى أى جواب لكى لاتفقد فى نظر أمثاله قدر ما أوتيت من علم على قلته. وكان ينبغى أن تستطيع فى الحال ذكر عدد سكان الإمبراطورية الروسية بكل دقة وعدد رجال جيشها ومبلغ دخلها وحدود أرضها. وكان ينبغى أن تقول- دون أن يبدو عليك الاضطراب- كم تبعد الشمس عن الأرض، وما سرعة الصاعقة أو سرعة قذيفة المدفع، وكيف كان زى جنود الإسكندر، ولماذا لم يستخدموا البخار بدل البارود؟ أو لماذا لاتتصل الحركة اتصالا دائما، وما السر فى عدم وجود حجر الفلاسفة. موجز القول أنه لم يكن لك بد من أن تملك معرفة موسوعية حتى ترضى جميع الأسئلة التى تثور أثناء الحديث.

وفضلا عن رغبته فى التثقيف كان "البك "سديد الرأى كبير الحيدة والتسامح، ذا نظرات شخصية فى الأمور تخلع عليها مظهرا جديدا ومما كان يعوض جليسه بعض الشىء عن ملل تلك السهرات الجارية على وتيرة واحدة والتى كثيرا ما كان يختتمها بسؤالى عما إذا كان الله قد وضع حدودا لذكاء الإنسان.

وأما فى أسلوب الحكم والإدارة فقد كان "ماهوبك "يتبع أخطاء مولاه الذى كان معجبا به إعجابا حقيقيا. لقد أطلق فى المهمة التى جاء ليقوم بها فى الصعيد كل الشدة التى يفرط فى استخدامها عمال الباشا. وقلما كان يلجأ إلى العقاب بالضرب، ولكن الناس كانت تعلم أنه يعاقب بالقتل دون مراجعة فكان الجميع يرتعدون أمامه.

ولقد أعطتنى علاقاتى تلك بماهوبك وكذلك علاقاتى بخليل أفندى حاكم الاقليم منزله عندهما كنت أستخدمها فى سعة إذا استدعى الأمر أن يحترم العادون حقوقنا.

ذكر من مات فى هذه السنه

وأما من مات فى هذه السنه من المشاهير.

*٦٩٩ /محمد بن محمد السنباوى الأمير (محمد الأمير) مالكى.

فمات العالم العلامه الفاضل الفهامه صاحب التحقيقات الرايقه والتأليفات الفايقه شيخ شيوخ أهل العلم وصدر صدور أهل الفهم، المتفنن فى العلوم كلها نقليها وعقليها وأدبيها، إليه انتهت الرياسه فى العلوم بالديار المصريه وباهت مصر ماسواها بتحقيقاته البهيه، استنبط الفروع من الأصول، واستخرج نفايس الدرر من بحور المعقول والمنقول، وأودع الطروس فوايد وقلدها عوايد فرايد، الأستاذ الشيخ محمد بن محمد بن أحمد بن عبد القادر بن عبد العزيز بن محمد السنباوى المالكى الأزهرى الشهير بالأمير، وهو لقب جده الأدنى أحمد، وسببه أن أحمد وأباه عبد القادر كان لهما إمرة بالصعيد، وأخبرنى المترجم من لفظه أن أصلهم من المغرب نزلوا بمصر عند سيدى عبد الوهاب أبى التخصيص كما أخبر عن ذلك وثايق لهم، ثم التزموا بحصه بناحيه سنبو، وارتحلوا إليها وقطنوا بها، وبها ولد المترجم.

وكان مولده فى شهر ذى الحجه سنه أربع وخمسين ومايه وألف بإخبار والديه، وارتحل معهما إلى مصر وهو ابن تسع سنين، وكان قد ختم القرآن فجوده على الشيخ المنير على طريقة الشاطبيه والدره، وحبب إليه طلب العلم فأول ما حفظ متن الآجروميه، وسمع ساير

الصحيح والشفا على سيدى على بن العربى السقاط، وحضر دروس أعيان عصره، واجتهد فى التحصيل، ولازم دروس الشيخ الصعيدى فى الفقه وغيره من كتب المعقول، وحضر على السيد البليدى شرح السعد على عقايد النسفى، والأربعين النوويه، وسمع الموطأ على هلال المغربى وعالمه الشيخ محمد التاودى ابن سوده بالجامع الأزهر سنة وروده بقصد الحج.

ولازم المرحوم الوالد حسن الجبرتى سنين، وتلقى عنه الفقه الحنفى وغير ذلك من الفنون كالهيئه والهندسه والفلكيات والأوفاق والحكمه عنه وبواسطة تلميذه الشيخ محمد ابن اسماعيل النفراوى المالكى، وكتب له إجازه مثبته فى برنامج شيوخه.

وحضر الشيخ يوسف الحنفى فى آداب البحث وبانت سعاد، وعلى الشيخ محمد الحنفى أخيه مجالس من الجامع الصغير والشمايل والنجم الغيطى فى المولد، وعلى الشيخ أحمد الجوهرى فى شرح الجوهره للشيخ عبد السلام، وسمع منه المسلسل بالأوليه وتلقى عنه طريق الشاذليه من سلسة مولاى عبد الله الشريف، وشملته إجازة الشيخ الملوى، وتلقى عنه مسايل فى أواخر أيام انقطاعه بالمنزل.

ومهر وأنجب وتصدر لإلقا الدروس فى حياة شيوخه، ونما أمره واشتهر فضله خصوصا بعد موت أشياخه، وشاع ذكره فى الآفاق وخصوصا بلاد المغرب وتأتيه

الصلات من سلطان المغرب، وتلك النواحى فى كل عام ووفد عليه الطالبون للأخذ عنه والتلقى منه، وتوجه فى بعض المقتضيات إلى دار السلطنه، وألقى هناك دروسا حضره فيها علماهم وشهدوا بفضله واستجازوه وأجازهم بما هو مجاز به من أشياخه.

وصنف عدة مولفات اشتهرت بأيدى الطلبه، وهى فى غايه التحرير منها مصنف فى فقه مذهبه سماه المجموع، حاذى به مختصر خليل، جمع فيه الراجح فى المذهب وشرحه شرحا نفيسا، وقد صار كل منهما مقبولا فى أيام شيخه العدوى، حتى كان إذا توقف شيخه فى موضع يقول هاتوا مختصر الأمير، وهى منقبه شريفه، وشرح مختصر خليل، وحاشيه على المغنى لابن هشام، وحاشيه على الشيخ عبد الباقى على المختصر، وحاشيه على الشيخ عبد السلام على الجوهره، وحاشيه على شرح الشذور لابن هشام، وحاشيه على الأزهريه، وحاشيه على الشنشورى على الرحبيه فى الفرايض، وحواشى على المعراج، وحاشيه على شرح الملوى على السمرقنديه، ومولف سماه مطلع النيرين فيما يتعلق بالقدرتين، وإتحاف الأنس فى الفرق بين اسم الجنس وعلم الجنس، ورفع التلبيس عما يسئل عنه ابن خميس، وثمر النمام فى شرح آداب الفهم والإفهام، وحاشيه على المجموع، وتفسير سورة القدر، ومن نظمه قوله متغزلا:

أيها السيد المدلل ضاعت فى الهوى ضيعتى وأنسيت نسكى
يالك الله لاتمل لسوابى وتحكم ولو بما فيه فتكى

وانظر الحق فى علو غنـــاه   كل شىء يمحوه غير الشـــــرك

وله فى التشبيه:

ياحسن لون الشمس عند غروبها   فى روض أنس نزهه للأنفـس
فكأنه وكانه فى ناظـــــرى   ذهب يجول على بساط سندس

وله أيضا:

تخيلت أن الشمس والبحر تحتها   وقد بسطت منها عليه بـــوارق
مليح أتى المرآه ينظر وجهـــه   ففى وجهها من وجهه الضوء دافق

وله أيضا:

يامالك القلب من بين السلاح وإن   توهم الغيـر أن القلب مشـترك
إنى أغار على حظـى لديك فغـر   أيضا على قلب صب فيك مرتبك
وقل لهم ينتهـوا عـمـا تسـوله   نفوس سومهم طرق الردى سلكوا
توهمـوا أنهم حلـوا وقـد ملكـوا   ويعلـم الله مـاحلوا ومـا مـلكوا
ياسيد الكل يـاقطب الجمال ومن   فى دولة الحسن يروى أنه الملك
ما كان قلبى يهـوى الغير يا أملى   فابعث رميمى إذ أهل الهوى ملكوا
وأسقط البين وارفع حجب شانك لى   ليشتفى خـاطر بالفكر يـعترك
بلطف ذاتك لاتقطع رجاء فـتى   على عـيـوب له بالعـهد يمتسك

وله أيضا:

دع الدنيا فليس بها سـرور   يتم ولامن الأحـزان تسلم
ونفرض أنه قد تم فرضـاً   فغم زواله أمـــــر محتم
فكن غريبــــا ثم عبى   إلى دار البقا ما فيه تغنـم
وإن لابد من لهو فلهـــو   بشىء نافع والله أعـــلم

وله غير ذلك من النظم المليح والذوق الصحيح واللسان الفصيح.

وكان رحمه الله رقيق القلب لطيف المزاج ينزعج طبعه من غير انزعاج، يكاد الوهم يوله، وسماع المنافر يوهنه ويسقمه، وبآخره ضعفت قواه وتراخت أعضاه وزاد شكواه، ولم يزل يتعلل ويزداد أنينه ويتململ، والأمراض به تتسلسل وداعى المنون عنه لايتحول إلى أن توفى يوم الاتنين عاشر ذى القعده الحرام، وكان له مشهد حافل جدا، ودفن بالصحرا بجوار مدفن الشيخ عبد الوهاب العفيفى بالقرب من عمارة السلطان قايتباى، وكثر عليه الأسف والحزن، وخلف ولده العلامه النحرير الشيخ محمد الأمير وهو الآن أحد الصدور كوالده يقرا الدروس ويفيد الطلبه، ويحضر الدواوين والمجالس العاليه بارك الله فيه.

*٧٠٠ /خليل المدابغى.

ومات الشيخ الفقيه العلامه الشيخ خليل المدابغى لكونه يسكن بحاره المدابغ، حضر دروس الأشياخ من الطبقه الأولى، وحصل الفقه والمعقول، واشتهر فضله مع فقره وانجماعه عن الناس متقشفاً متواضعاً، ويكتسب من الكتابه بالأجره، ولم يتجمل بالملابس ولابزى الفقها، يظن الجاهل به أنه من جملة العوام، توفى يوم الاتنين تامن عشر ذى القعده من السنه.

*٧٠١ /على ابو ذكرى.

*ومات الشيخ الفقيه الورع الشيخ على المعروف بأبى زكرى البولاقى لسكنه ببولاق وكان ملازماً لإقرا

الدروس ببولاق، ويأتى إلى الجامع الأزهر فى كل يوم يقـرا الدروس ويفـيـد الطلبـه ويرجع إلى بولاق بعـد الظهر، ومات حماره الذى كان يأتى عليه إلى الجامع الأزهر، فلم يتخلف عن عادته ويأتى ماشيا ثم يعود مده حتى أشفق عليه بعض المشفقين من أهالى بولاق واشتروا له حمارا، ولم يزل على حالته وانكساره حتى توفى يوم الخميس تامن شهر ذى القعده من السنه، رحمه الله وإيانا وجمعنا فى مستقر رحمته آمين.

*٧٠٢ /ولى افندى خوجا.

*ومات من أكابر الدوله المسمى ولى أفندى ويقال له ولى خوجا، وهو كاتب خزينة الباشا، وأنشأ الدار العظيمه التى بناحية باب اللوق، وأدخل فيها عدة بيوت ودورا جليله تجاهها وملاصقة لها من الجهتين، وبعضها مطل على البركه المعروفه ببركه أبى الشوارب، وتقدم من أخبار العام الماضى أن الباشا صاهره وزوج ابنته لبعض أقارب الباشا الخصيصين به مثل الذى يقال له شريف أغا وآخر، وعمل له مهما عظيما احتفل فيه إلى الغايه وزفه وشنكا، كل ذلك وهو متمرض إلى أن مات فى تانى عشرين ربيع التانى، وضبطت تركته فوجد له كثير من النقود والجواهر والأمتعه وغير ذلك، فسبحان الحى الذى لايموت.







محمد على يعنّف الوهابيين

واستهلت سنه تلاته وتلاتين ومايتين وألف [١٨١٧م]

واستهل المحرم بيوم الاتنين ووالى مصر وحاكمها الوزير محمد على باشا، وهو المتصرف فيها قبليها وبحريها بل والأقطار الحجازيه وضواحيها، وبيده أزمه الثغور الإسلاميه.

ووزيره محمد بك لاظ المعروف بكتخدا بك، وهو قايم مقامه فى حال غيابه وحضوره، والمتصدر فى ديوان

١٢٣٣هـ.
١٥٣٤ق.
١٨١٧م.

□ ١ ينـاير سنـة ١٨١٨ =٢٤ كيهك ١٥٣٤ =الخميس ٢٢ صفر ١٢٣٣.

□ فى ٥ ربيع أول ١٤ يناير ١٨١٨م حاصر إبراهيم باشا بلدة الشقراء، وفى ١٤ منه استولى عليها.

□ فيها وصل الريال الفرنسا إلى ٤٠٠ نصف فضة، والمحبوب كذلك، والبندقى ٩٠٠، والمجر ٨٠٠.

□ فى ٢٩ جماد أول ١٧ ابريل ١٨١٨م وصلت عساكر إبراهيم باشا أمام الدرعية، وابتدات فى محاصرتها.

□ وفى ٢ [جماد أول] صدر أول قانون يختص بالقرعة فى فرانسا.

□ فى هذه السنة صار تصليح جسر الفرعونية وجسر القشيشة فى الوجه البحرى.

□ فى ٧ القعدة ٩ سبتمبر طلب عبد الله بن سعود المهادنه بعد حصار استمر نحو السبعة شهور، ثم سلم المدينة على شروط منها رد الكوكب الدرى إلى محله، وعدا ذلك لم يضمن إبراهيم باشا لعبد الله بن سعود حياته فان أمره بيد مولانا السلطان.

الأحكام الكليه والجزئيه وفصل الخصومات ومباشره الأحوال، نافذ الكلمه وافر الحرمه.

وأغات الباب إبراهيم أغا ومتولى أيضاً أمر تعديل الأصناف ليوفر على الخزينه ما يأكله المتولى على كل صنف ويخفى أمره، فيشدد الفحص فى المكيل والموزون والمزروع، حتى يستخرج المخبأ ولو قليلا، فيجتمع من القليل الكثير من الأموال فيحاسب المتولى مدة ولايته، فيجتمع له مالاقدره له على وفا بعضه لأن ذلك شى قد استهلك فى عدة أيدى أشخاص وأتباع، ويلزم الكبير بأداه ويقاسى ما يقاسيه من الحبس والضرب وسلب النعمه ومكابده الأهوال، وسلحدار الباشا سليمان أغا عوضا عن صالح بك السلحدار لاستعفاه عنها فى العام السابق، وهو المسلط على أخذ الأماكن وهدمها وبناها خانات ورباعا وحوانيت، فيأتى إلى الجهه التى يختار البنا فيها ويشرع فى هدمها، ويأتيه أربابها فيعطيهم أثمانها كما هى فى حججهم القديمه، وهو شى نادر بالنسبه لغلو أثمان العقارات فى هذا الوقت لعموم التخريب، وكثرة العالم، وغلا المون وضيق المساكن بأهلها، حتى إن المكان الذى كان يوجر بالقليل صار يوجر بعشرة أمثال الأجره القديمه ونحو ذلك.ومحمود بك الخازندار وخدمته قبض أموال البلاد والأطيان والرزق وما يتعلق بذلك من الدواعى والشكاوى، وديوانه بخط سويقه اللالا.

والمعلم غالى كاتب سر الباشا وريس الأقباط، وكذلك الدفتردار محمد بك صهر الباشا وحاكم الجهه القبليه.

والروزنامجي مصطفى أفندى، وأغا مستحفظان حسن أغا البهلوان، والزعيم على أغا الشعراوى، ومصطفى أغا كرد المحتسب، وقد بردت همته عما كان عليه، ورجع الحال فى قلة الأدهان كالأول، وازدحم الناس على معمل الشمع فلا يحصل الطالب منه شيا إلا بشق الأنفس، وكذلك انعدم وجود بيض الدجاج لعدم المجلوب، ووقوف العسكر ورصدهم من يكون معه شى منه من الفلاحين الداخلين إلى المدينه من القرى، فيأخذونه منهم بدون القيمه، حتى بيعت البيضه الواحده بنصفين.

وأما المعامله فلم يزل أمرها فى اضطراب بالزياده والنقص وتكرار المناداه كل قليل، وصرف الريال الفرانسه إلى أربعماية نصف فضه والمحبوب إلى أربعمايه وثمانين، والبندقى إلى تسعمايه نصف، والمجر إلى ثمانمايه نصف، وأما هذه الأصناف العدديه التى تذكر فهى أسما لاوجود لمسمياتها فى الأيدى.

وفى تانى عشره سافر الباشا إلى جهة اسكندريه لمحاسبة الشركا والنظر فى بيع الغلال والمتاجر والمراسلات.

وفى تاسع عشره ارتحلت عساكر أتراك ومغاربه مجرده إلى الحجاز.



واستهل شهر صفر بيوم الأربع [سنه ١٢٣٣]

فى ثالث عشره وصل الكثير من حجاج المغاربه.

*اخبار بانتصار إبراهيم باشا.

وفى يوم الجمعه سابع عشره وصل جاويش الحاج، وفى ذلك اليوم وقت العصر ضربوا عدة مدافع من القلعه لبشارة وصلت من إبراهيم باشا بأنه حصلت له نصره وملك بلده من بلاد الوهابيه وقبض على أميرها ويسمى عتيبه وهو طاعن فى السن.

*وصول ركب الحاج.

وفى يوم التلات حادى عشرينه وصل ركب الحاج المصرى والمحمل وأمير الحاج من الدلاه.

واستهل شهر ربيع الأول بيوم الجمعه [سنه ١٢٣٣]

وصل قابجى من دار السلطنه فعملوا له موكباً وطلع إلى القلعه وضربوا له شنكا سبعة أيام، وهى مدافع تضرب فى كل وقت من الأوقات الخمسه.

وفى هذا الشهر انعدم وجود القناديل الزجاج وبيع القنديل الواحد الذى كان ثمنه خمسة أنصاف

بستين نصفاً إذا وجد.

واستهل شهر ربيع التانى بيوم السبت [سنه ١٢٣٣]

ووافقه أيضاً أول أمشير القبطى.

وفى منتصفه سافر أولاد سلطان المغرب والكثير من حجاج المغاربه، وكانوا فى غاية الكثره بحيث ازدحمت منهم أسواق المدينه وبولاق وما بينهما من جميع الطرق، فكانوا يشترون الأغنام من الفلاحين ويذبحونها ويبيعونها على الناس جزافا من غير وزن بعد أن يتركوا لأنفسهم مقدار حاجتهم، فذهب الكثير للشرا منهم بسبب رداءه اللحم الموجود بحوانيت الجزارين، ولو وقف عليهم بالثمن الزايد.

*استيلاء إبراهيم باشا على بلدة الشقرا.

وفى أواخره حضر مبشر من ناحية الديار الحجازيه يخبر بنصره حصلت لإبراهيم باشا و أنه استولى على بلده تسمى الشقرا وأن عبد الله بن مسعود كان بها، فخرج منها هاربا إلى الدرعيه ليلا، وأن بين عسكر الأتراك والدرعية مسافه يومين، فلما وصل هذا المبشر ضربوا لقدومه مدافع من أبراج القلعه، وذلك وقت الغروب من يوم الأربع سادس عشرينه.

واستهل شهر جمادى الأولى بيوم الأحد [سنه ١٢٣٣]

فيه نودى على طايفة المخالفين للمله من الأقباط والأروام بأن يلزموا زيهم من الأزرق والأسود، ولايلبنسون العمايم البيض لأنهم خرجوا عن الحد فى كل شى، ويتعممون بالشيلان الكشميرى الملونه والغاليه فى الثمن، ويركبون الرهوانات والبغال والخيول وأمامهم وخلفهم الخدم بأيديهم العصى يطردون الناس عن طريقهم، ولايظن الرائى لهم إلا أنهم من أعيان الدوله، ويلبسون الأسلحه وتخرج الطايفه منهم إلى الخلا ويعملون لهم نشانا يضربون عليه بالبنادق الرصاص وغير ذلك، فما أحسن هذا النَّهْى لودام.

وفى يوم السبت حادى عشرينه حضر الباشا من غيبته باسكندريه أواخر النهار فضربوا لقدومه مدافع فبات بقصر شبرا، وطلع فى صبحها إلى القلعه، فضربوا بها مدافع أيضاً فكان مده غيبته باسكندريه أربعه أشهر وتسعه أيام.

وفى أواخره وصل هجان من شرق الحجاز ببشاره بأن إبراهيم باشا استولى على بلد كبير من بلاد الوهابيه، ولم يبق بينه وبين الدرعيه إلا ثمان عشره ساعه، فضربوا شنكا ومدافع .

وفيه وصل هجان من حسن باشا الذى بجده بمراسله يخبر فيها بعصيان الشريف حمود بناحية يمن الحجاز، وأنه حاصر من بتلك النواحى من العساكر وقتلهم، ولم ينج منهم إلا القليل وهو من فر على جرايد الخيل.

*تمرد الشريف حمود على عسكر محمد على.

ووقع فيه أيضاً الاهتمام فى تجريد عساكر للسفر، وأرسل الباشا بطلب خليل باشا للحضور من ناحية بحرى هو وخلافه، وحصل الأمر بقراءة صحيح البخارى بالأزهر فقرى يومين وفرق على مجاورى الأزهر عشرة أكياس، وكذلك فرقت دراهم على أولاد المكاتب.

واستهل شهر جمادى الثانيه [سنه ١٢٣٣]

فى منتصفه ليلة التلات حصل خسوف للقمر فى سادس ساعه من الليل وكان المنخسف منه مقدار النصف، وحصل الأمر أيضا بقراءة صحيح البخارى بالأزهر.

وفيه ورد الخبر بموت الشريف حمود وأنه أصيب بجراحه ومات بها.

*موت الشريف حمود متاثراً بجراحه.

وفى يوم التلات تاسع عشرينه حصل كسوف للشمس فى تالت ساعه من النهار وكان المنكسف منها مقدار التلت.وفى ذلك اليوم ضربت مدافع لوصول بشاره من

إبراهيم باشا بأنه ملك جانبا من الدرعيه وأن الوهابيه محصورون، ومن معه من العربان محيطون بهم.

واستهل شهر شعبان [سنه ١٢٣٣]

فيه حضر خليل باشا وحسين بك دالى باشا من الجهه البحريه ونزلوا بدورهم.

واستهل شهر رمضان بيوم الأحد [سنه ١٢٣٣]

*حدوث كسره لعسكر الباشا بسبب كبسه من الوهابية.

فى منتصفه وصل نجاب وأخبر بأن إبراهيم باشا ركب إلى جهه من نواحى الدرعيه لأمر يبتغيه وترك عرضيه، فاغتنم الوهابيه غيابه وكبسوا على العرضى على حين غفله وقتلوا من العساكر عده وافره، وأحرقوا الجبخانه، فعند ذلك قوى الاهتمام وارتحل جمله من العساكر فى دفعات تلات برا وبحرا يتلو بعضهم بعضا فى شعبان ورمضان.

وبرز عرضى خليل باشا إلى خارج باب النصر، وترددوا فى الخروج والدخول.

واستباحوا الفطر فى رمضان بحجه السفر، فيجلس الكثير منهم بالأسواق يأكلون ويشربون ويمرون بالشوارع وبأيديهم أقصاب للدخان والتتن من غير

احتشام ولااحترام لشهر الصوم، وفى اعتقادهم الخروج بقصد الجهاد وغزو الكفار المخالفين لدين الإسلام، وانقضى شهر الصوم والباشا متكدر الخاطر ومتقلق ومنتظر ورود خبر ينسر بسماعه.

واستهل شهر شوال بيوم الاثنين [سنه ١٢٣٣]

*رؤية هلال شوال.

وكان هلاله عسر الرؤيه جدا، فحضر جماعه من الأتراك إلى المحكمه وشهدوا برؤيته.

*وفاء النيل ١٨ ابيب.

وفى ذلك اليوم الموافق لثامن عشرى شهر أبيب القبطى أوفى النيل أذرعه، فأخروا فتح سد الخليج ثلاثه أيام العيد ونودى بالوفا يوم الأربع، وحصل الجمع يوم الخميس رابعه، وحضر فتح الخليج كتخدا بك والقاضى ومن له عاده بالحضور، فكان جمعا وازدحاما عظيما من أخلاط العالم فى جهة السد والروضه تلك الليله، واشتعلت النار فى الحديقه واحترق فيها أشخاص ومات بعضهم.

وفى سادسه يوم السبت خرج خليل باشا المعين إلى السفر فى موكب، وشق من وسط المدينه، وخرج من باب النصر وعطف على باب الفتوح، ورجع إلى داره فى قله من أتباعه فى طريقه التى خرج منها.

وفيه انتدب مصطفى أغا المحتسب ونادى فى المدينه

ويأمـر الناس بقطع أراضى الطرقـات والأزقـه حـتى العطف والحارات الغير النافذه، فأخذ أرباب الحوانيت والبيوت يعملون بأنفسهم فى قطع الأرض والحفر ونقل الأتربه وحملها من خوفهم من أذيته، ولعدم الفعله والأجرا، واشتغال حمير الترابين باستعمالهم فى عماير أهل الدوله، فلو كـان هذا الاهتـمـام فى قطع أرض الخليج الذى يجرى به الماء فإنه لم تقطع أرضه وينقطع جـريانه فى أيام قليله لعلو أرضـه من الطمى، ولما يتهدم عليه من الدور القديمه، وما يلقيه السكان فيه من الأتربه، وزاد على ذلك بهـذه الفـعله إلقـا مـا يحفرونه وينقلونه من أتربه الأزقه والبيوت القديمه القريبه منه فيه ليلا ونهارا.

وفى تامنه ارتحل خليل باشا مسافرا إلى الحجاز من القلزم وعساكره الخياله على طريق البر.

*النزول بكسوة الكعبة.

وفى يوم السبت تالت عشره نزلوا بكسوة الكعبه إلى المشهد الحسينى على العاده.

*خروج المحمل.

وفى يوم الاتنين تانى عشرينه عمل الموكب لأمير الحج وهو حسين بك دالى باشا وخرج بالمحمل خارج باب النصر تجاه الهمـايل، ثم انتـقل فى يوم الأربع إلى البركه، وارتحل منها يوم الاتنين تاسع عشرينه، وسافر الكثير من الحجاج وأكثر فلاحى القرى والصعايده ومن باقى الأجناس مثل المغاربه والقرمان والأتراك أنفار قليله.

*تقرير محمد على مدة جديدة على مصر.

وفى ذلك اليوم وصل قابجى وعلى يده تقرير لحضرة الباشا على السنه الجديده، وطلع إلى القلعه فى موكل، وقرى التقرير بحضره الجمع وضربت مدافع كثيره، وكذلك وصل قبله قابجى صحبته فرمان بشاره بمولود ولد لحضرة السلطان فعمل له شنك ومدافع تلاته أيام فى الأوقات الخمسه وذلك فى منتصفه.

واستهل شهر ذى القعده بيوم الأربع [سنه ١٢٣٣]

وانقضى والباشا منفعل الخاطر لتأخر الأخبار وطول الانتظار، وكل قليل يأمر بقراءه صحيح البخارى بالأزهر، ويفرق على صغار المكاتب والفقرا دراهم، ولضيق صدره واشتغال فكره لايستقر بمكان فيقيم بالقلعه قليلا ثم ينتقل إلى قصر شبرا ثم إلى قصر الآثار ثم الأزبكيه ثم الجيزه وهكذا.

واستهل شهر ذى الحجه الحرام بيوم الجمعه [سنه ١٢٣٣]

*استيلاء إبراهيم باشا على الدرعية.

فى سابعه وردت بشاير من شرق الحجاز بمراسله من عثمان أغا الوردانى أمير الينبع بأن ابراهيم باشا استولى على الدرعيه والوهابيه فانسر الباشا لهذا الخبر سرورا عظيما، وانجله عنه الضجر والقلق وأنعم على المبشر، وعندذلك ضربوا مدافع كثيره من القلعه

والجيزه وبولاق والأزبكيه وانتشر المبشرون على بيوت الأعيان لأخذ البقاشيش.

وفي تاني عشره وصل المرسوم بمكاتبات من السويس والينبع، وذلك قبيل العصر فأكثروا من ضرب المدافع من كل جهه واستمر الضرب من العصر إلى المغرب بحيث ضرب بالقلعه خاصه ألف مدفع.

وصادف ذلك شنك أيام العيد، وعند ذلك أمر بعمل مهرجان وزينه داخل المدينه وخارجها وبولاق ومصر القديمه والجيزه، وشنك على بحر النيل تجاه الترسخانه ببولاق من النجارين والخراطين والحدادين، وتقيد لذلك أمين أفندى، المعمار وشرعوا فى العمل، وحضر كشاف النواحى والأقاليم بعساكرهم وأخرجوا الخيام والصواوين والوطاقات خارج باب النصر وباب الفتوح، وذلك يوم التلات سادس عشرينه، ونودى بالزينه وأولها الأربع فشرع الناس فى زينة الحوانيت والخانات وأبواب الدور ووقود القناديل والسهر.

وأظهروا الفرح والملاعيب كل ذلك مع ما الناس فيه من ضيق الحال والكد فى تحصيل أسباب المعاش وعدم ما يسرجون به من الزيت والشيرج والزيت الحار، وكذا السمن فإنه شح وجوده ولايوجد منه إلا القليل عند بعض الزياتين، ولايبيع الزيات زياده عن الأوقيه، وكذلك اللحم لايوجد منه إلا ما كان فى غايه الرداءه من لحم النعاج الهزيل، وامتنع أيضاً وجود القمح

بالساحل وعرصات الغله، حتى الخبز امتنع وجوده بالأسواق، ولما أنهى الأمر إلى من لهم ولايه الأمر فأخرجوا من شون الباشا مقدارا ليباع فى الرقع، وقد أكلها السوس ولايباع منها أزيد من الكيله أكثرها مسوس.

كذلك لما شكا الناس من عدم ما يسرج به فى القناديل أطلقوا للزياتين مقدارا من الشيرج فى كل يوم يباع فى الناس لوقود الزينه، وفى كل يوم يطوف المنادى ويكرر المناداه بالشوارع على الناس بالسهر والوقود والزينه وعدم غلق الحوانيت ليلا ونهارا، وانقضى العام بحوادثه ومعظمها مستمر.

[موجز أحداث العام الماضى]

فمنها وهو أعظمها شده الأذيه والضيق خصوصا بذوى البيوت والمساتير من الناس بسبب قطع إيرادهم وأرزاقهم من الفايظ والجامكيه السايره، والرزّق الإحباسيه وضبط الأنوال التى تقدم ذكرها، وكان يتعيش منها ألوف من العالم، ولما اشتد الضنك بالملتزمين وتكرر عرضحالهم فأمر لهم بصرف التلت، وتحول المصرفجى على بعض الجهات، فكان كلما اجتمع لديه قدر يلحقه الطلب بحواله من لوازم عساكر السفر المجردين.

وانقضى العام وأكثر الناس لم يحصل على شى، وذلك لكثرة المصاريف والإرساليات من الذخاير والغلال والمون وخزاين المال من أصناف خصوص الريال الفرانسه والذهب البندقى والمحبوب الإسلامى بالأحمال، وهى الأصناف الريجه بتلك النواحى.

وأما القروش فلا رواج لها إلا بمصر وضواحيها فقط، أخبرنى أحد أعيان كتاب الخزينه عن أجره حمل الذخيره على جمال العرب خاصه فى مره من المرات خمسه وأربعين ألف فرانسه، وذلك من الينبع إلى المدينه حساباً عن أجره كل بعير سته فرانسه يدفع نصفها أمير الينبع والنصف الأخير يدفعه أمير المدينه عند وصول ذلك، ثم من المدينه إلى الدرعيه ما يبلغ المايه والأربعين ألف فرانسه وهو شى مستمر التكرار والبعوث، ويحتاج إلى كنوز قارون وهامان وإكسير جابر ابن حيان.

*يقصد به اكسير تحويل المعادن الخسيسة إلى معادن نفيسة.

ومنها العماره التى أمر بإنشاها الباشا المشار إليه بين السورين وحاره النصارى المعروفه بخميس العدس المتوصل منها إلى جهه الخرنفش، وذلك بإشاره أكابر نصارى الإفرنج ليجتمع بها أرباب الصنايع الواصلون من بلاد الإفرنج وغيرهم، وهى عماره عظيمه ابتدوا فيها من العام الماضى واستمروا مده فى صناعه الآلات الأصوليه التى يصنع بها اللوازم مثل السندالات والمخارط للحديد والقواديم والمناشير والتزجات، ونحو ذلك، وأفردوا لكل حرفه وصناعه

*دار الصناعة فى بين الصورين.

مكانا وصنَّاعا يحتوى المكان على الأنوال والدواليب والآلات الغريبه الوضع والتركيب لصناعه القطن وأنواع الحرير والأقمشه والمقصبات.

*نظام التلمذة الصناعية.

وفى أواخر هذا العام جمعوا مشايخ الحارات وألزموهم بجمع أربعة آلاف غلام من أولاد البلد ليشتغلوا تحت أيدى الصناع ويتعلموا ويأخذوا أجره يوميه ويرجعوا لأهاليهم أواخر النهار، فمنهم من يكون له القرش والقرشان والتلاته بحسب الصناعه وما يناسبها، وربما احتيج إلى نحو العشره آلاف غلام بعد إتمامها، والمحتاج إليه فى هذا الوقت القدر المذكور، وهى كرخانه عظيمه صرف عليها مقادير عظيمه من الأموال.

*ظهور فرس النهر بنواحى دمياط.

ومنها أنه ظهر بأراضى الأرز بالبحر الشرقى بناحيه دمياط حيوان يخرج من البحر الشرقى فى قدر الجاموس العظيم ولونه، فيرعى الفدان من الزرع ثم يتقايأ أكثره، وكان ظهوره من العام الماضى، فيجتمع عليه الكثير من أهل الناحيه ويرجمونه بالحجاره ويضربون عليه بنادق الرصاص، فلا تؤثر فى جلده ويهرب إلى البحر [النيل]، واتفق أنه ابتلع رجلا إلى أن أصيب فى عينه وسقط وتكاثروا عليه وقتلوه وسلخوا جلده وحشوه تبناً وأتوا به إلى بولاق وتفرج عليه الباشا والناس، وأخبرنى غير واحد ممن رآه أنه أعظم من الجاموس الكبير، طوله تلاته عشر قدما، وجلده أملس ورأسه عظيم يشبه رأس ابن عرس،

وعـيـناه فـى أعلى دمـاغـه واسع الفم وذنبـه مـثل ذنب السـمك وأرجله غـلاظ مـثل أرجل الفـيل فـى أواخـرها أربع ظلوف طوال وأسفلها كخف الجمل، وأدخلوه إلى بيت الإفرنج، وأنعم به الباشا على بغوص الترجمان الأرمنى، وهو يبيعه على الإفرنج بتمن كبير.

*قـصـة الشـيـخـة رقـيـة التى تدخل على نساء الأكابر:

ومنهـا امرأه يقال لها الشيخه رقيه تتزر بمئزر أبيض وبيدها خيزرانه وسبحه تطوف على بيوت الأعيان وتقرأ وتصلى وتذكر على السبحه، ونسا الأكابر يعتقدون فيها الصلاح ويسألن منها الدعا، وكذلك الرجال حتى بعض الفقها، وتجتمع على الشيخ العالم المعتقد الشيخ تعيلب الضرير، ويكثر من مدحها للناس فيزدادون فيها اعتقادا، ولها بمنزل خليل بيك طوقان النابلسى مكان مفرد تأوى إليه على حدتها، وإذا دخلت بيتا من البيوت قام إليها الخدم واستقبلوها بقولهم نهارنا سعيد ومبارك، ونحو ذلك، وإذا دخلت على الستات قمن إليها وفرحن بقدومها وقبلن يدها، وتبيت معهن ومع الجوارى.

فذهبت يوما إلى دار الشيخ عبد العليم الفيومى وذلك فى شهر شوال فتمرضت أياما وماتت، وفضجوا وتأسفوا عليها وأحبوا تغيير ما عليها من الثياب، فرأوا شيا معجر مابين أفخاذها فظنوه صره دارهم، وإذا هو آله الرجال الخصيتان والذى فوقهما فبهت النسا وتعجبن، وأخبروا الشيخ تعليب بذلك، فقال استروا هذا الأمر، وغسلوه وكفنوه وواروه فى التراب،

حول الخرافات

الجن والعفاريت:

يعتقد العرب بالخرافات اعتقاداً عظيماً، ويعد عرب مصر أكثرهم تعلقاً بهذه الاعتقادات الباطلة. وأكثر هذه الخرافات اعتباراً الاعتقاد بالجن. ويقال إن الجن أصلهم سابق على آدم، وإنهم فى خصائصهم العامة طبقة من الكائنات تتوسط بين الملائكة والإنس، وتقل عنهما فضلا، وإنها خلقت من نار، وتستطيع أن تتشكل بأشكال الأناس والبهائم والوحوش الخيالية، وتختفى عن الأنظار كما تريد. والجن يشربون ويأكلون، ويتناسلون مثل البشر أو معهم، كما أنهم عرضة للموت، وإن كانوا يعيشون أجيالا عديدة. ويسكن الجن سلسلة جبال قاف، التى يزعمون أنها تحيط بالأرض جميعها. ويعتنق بعض الجن الإسلام، والآخرون كفرة. ويسمى هؤلاء الكفرة أيضاً شياطين، ويراسهم إبليس، إذ أنه: تبعاً للرأى السائد، جنى مثل غيره من الشياطين، لأنه خلق من نار، بينما خلق الملائكة من نور معصومين من الخطأ.

ويخشى العرب الجن أخيارهم وأشرارهم كثيراً، ويحفظون لأخيارهم احتراماً عظيماً. وقد جرت العادة عند هذا الشعب، عندما يصب أحدهم ماء أو غيره على الأرض ان يصيح أو يدمدم: "دستور"، مستأذناً أو مستغفراً الجنى الذى قد يوجد هناك. ويظن ان الجن ينتشرون فى طبقة الأرض الصلبة، مثلما ينتشرون فى السماء حيث يقتربون من حدود السماء الأولى، فيسترقون السمع عن المستقبل، ويستطيعون هكذا أن يساعدوا العرافين والسحرة. ويعتقدون أيضاً أن الجن يسكنون الأنهار والخرائب والآبار والحمامات (العادة فى مصر أن يرسم المسلمون والمسيحيون صليباً على مدخل الحمام إذ يعتقدون أن هذا يمنع الجن من دخوله) والأفران والمراحيض. ولذلك عندما يدخل أحد مرحاضاً أو يدلى دلواً فى بئر أو يوقد ناراً الخ. يقول "دستور "أو "دستور يا مباركين". ويتلو الداخل بيت الراحة هذه العبارة مبتهلا إلى الله ان يحميه من الأرواح الشريرة. إلا أن البعض لايذكرون اسم الله باعتبار انه لايليق النطق به فى مثل هذا المكان، فيكتفون بقولهم: "أعوذ بك من الشياطين ذكوراً وإناثاً".

والاعتقاد العام عند عرب مصر، أن الزوبعة التى تثير الغبار أو الرمال، وتكسح الحقول والصحارى، يسببها تحليق هذه الكائنات (وقد قست، بآلة السدس Sextant، ارتفاع زوبعة فى مدينة طيبة فى ظروف ملائمة، فقد لاحظت ارتفاعها من مكان عال وقت مرورها بمجموعة من النخيل، هزتها هزاً عنيفاً، على بعد منى، وقد بلغ ارتفاع الزوبعة سبعمائة وخمسين قدماً. وأظن أننى رأيت زوابع أكثر ارتفاعاً، وقد قست زوابع أخرى فى المكان نفسه ارتفاعها بين خمسمائة قدم وسبعمائة). ويفوه المصريون عادة عندما تبدو الزوبعة قريبة منهم، بتعويذة لابتعادها، فيهتف بعضهم: "حديد يا مشئوم"، إذ يظنون أن الجن يخافون هذا المعدن كثيراً. ويصيح آخرون: "الله أكبر". ويعتقدون أن الشهب سهم يقذف به الله الشياطين. ويصيح المصريون عندما يرون شهاباً ساقطاً: "سهم الله فى عدو الدين". ويسمى العامة الشياطين عفاريت، ويعتقدون أن العفاريت يختلفون عن الجن الآخرين بعظيم قدرتهم ودوام شرهم. ويسمى الشيطان الأقوى مارداً.

يرتبط تاريخ الجن بعدة أساطير لم يذكرها القرآن، ولذلك لايؤمن بها المسلمون

العقلاء. ويتفق الجميع على أن الجن خلقوا قبل الإنسان، إلا أن البعض يقولون بطبقة أخرى من الكائنات السابقة على آدم ذات طبيعة مشابهة. ويعتقد العامة أن الأرض كان يسكنها قبل آدم جنس من المخلوقات يختلف عن البشر شكلا وقوة، وأن أربعين ملكاً مُن هؤلاء، أو اثنين وسبعين تبعاً لقول آخر، سمي كل منهم سليمان، حكموا هذا الشعب تباعاً. وكان آخر هؤلاء السليمانين يسمى جان بن جان. ويتوهم البعض أن الجن، ويسمون أيضاً جاناً، اشتقوا تسميتهم من اسم هذا الملك. ومن هنا يعتقد البعض أن الجن يشبهون هذا الجنس السابق، ولكن البعض يؤكد أن الجن كانوا طبقة من الكائنات مختلفة أخضعها الجنس الآخر.

ويعتقدون أن الجن كثيراً أو دائماً يتشكلون بأشكال القطط والكلاب والحيوانات المفترسة. وقد روى الشيخ خليل المدابغى، وهو من أشهر علماء مصر وقد ألف كتباً عديدة فى مختلف العلوم، وتوفى فى سن متقدمة أثناء زيارتى الأولى لمصر، الحكاية التالية: "كان له، كما يقول، قط أسود عزيز ينام عند ذيل كلبته. ففى منتصف إحدى الليالى سمع طرقاً على باب داره، فقام القط وفتح مصراع الشباك وهتف: "مـن؟" فأجابه صوت: "أنا فلان الجنى (وذكر اسما غريباً) افتح الباب "فقال قط الشيخ: "إن المزلاج قرىء عليه اسم الله "فقال الآخر:"إذن اقذف لى رغيفين من الخبز "فأجاب القط: إن سلة الخبز سمى عليها "فقال الغريب: "حسن، أعطنى على الأقل جرعة ماء". ولكنه رد عليه بأن وعاء الماء محفوظ بالطريقة نفسها. فسأل ماذا يستطيع أن يفعل وهو يوشك أن يموت جوعاً وعطشاً؟ فأشار عليه القط أن يذهب إلى باب الدار التالية. وذهب هو بنفسه وفتح الباب ثم لم يلبث أن عاد. وفى الصباح التالى، غفل الشيخ عن عادة كان يراعيها دائماً، فأعطى القط نصف الفطيرة التى كان يفطر بها، بدلا من قطعة صغيرة اعتاد أن يعطيه إياها. ثم قال له: "ياقطى، أنت تعلم أننى فقير، فجئنى إذن ببعض الذهب". فاختفى القط فى الحال بعد هذا الكلام، ولم يره الشيخ بعد ذلك. والحكايات من هذا النوع تستوجب السخرية، لكن من المستحيل أن نقف على حقيقة عقلية الشعب الذى أحاول وصفه دون أن أسرد حكاية أو أكثر.

ويؤكد العامة أن أشرار الجن كثيراً ما يعتلون الأسطح والشبابيك، ويقذفون بالقراميد والحجارة فى الشوارع والأفنية. وقد أخبرت من أيام قليلة بحادثة من هذا النوع أفزعت سكان أهم شارع فى القاهرة أسبوعاً بأكمله، إذ كانت القراميد تقذف بكثرة من بعض المنازل كل يوم طول هذه المدة، ولم يصب أحد. وقد ذهبت إلى مكان هذه الدعابة الجنية المزعومة للنظر والاستقصاء، ولكن قيل لى عند وصولى أن الرجم انقطع. ولم أجد أحداً أنكر قذف القراميد، أوشك فى أنه من أعمال الجن. وكانت الملاحظة العامة عند ذكر هذا الموضوع قولهم: "الله يحفظنا من شر أعمالهم".

ويقال إن الجن يسجنون أثناء شهر رمضان. ومن هنا نرى بعض المصريات يرششن، فى وقفة عيد الفطر، ملحاً على أرض الغرف، مبسملات، لمنع هذه المفزعات من دخول منازلهن.

ويجب أن أشير هنا إلى بقية عجيبة من خرافة مصرية قديمة. إذ يعتقدون أن لكل حى من أحياء القاهرة حارساً خاصاً من الجن ذا شكل أفعى، وفى مصر القديمة نجد أفعى حارسة لكل منطقة إدراية.

ويعتقدون أن القبور المصرية القديمة والهياكل المظلمة تسكنها العفاريت. وقد استحال على أن أقنع أحد

خدمى بدخول الهرم الأكبر معى، لرسوخ هذه الفكرة فى ذهنه. وينسب الكثير من العرب بناء الأهرام، والآثار المصرية المدهشة جميعها، إلى جان بن جان وأتباعه الجن. فهم لايتصورون أن تقيم هذه الآثار يد بشر.

تطلق عبارة عفريت بالحرى على الشيطان، إلا أن أرواح الأموات تسمى أيضاً بهذه الإسم. وينسج من هذه حكايات لايقبلها العقل، كما أنها تلقى فى النفوس رعباً هائلا. إلا أن هناك من لايخشاها إطلاقاً. وكان فى خدمتى طاه مضحك يتعاطى الحشيش أحياناً. وقد سمعته ذات ليلة، بعيد دخوله خدمتى، يدمدم ويهتف على السلم، كما لو كان دهشاً لحادثة ما. ثم قال بأدب "ولكن لمَ تجلس فى تيار الهواء؟ تفضل بالصعود إلى المطبخ وسلنى بحديثك قليلا". ولما لم يرد على خطابه المؤدب. كرره عدة مرات حتى ناديت عليه وسألته إلى من يتحدث. فأجاب: "إنه عفريت جندى تركى صعد من البئر وجلس على السلم يدخن شبكه ويرفض أن يتحرك. تقدم من فضلك وانظر إليه". ولما ذهبت إلى السلم وأخبرته أننى لا أرى شيئاً، لاحظ أن سبب ذلك صفاء العقل. وقد قيل له، فيما بعد، إن المنزل ظل مسكوناً طويلا. وقد قرر أنه لم يُخبر قبلا بهذا الموضوع المزعوم، أن جندياً تركياً قتل هناك. وقد صرح لى أنه كثيراً ما يرى العفريت بعد ذلك.

الغيلان:

ويعتقد المصريون وبعض الشرقيين بوجود الغيلان أيضاً. ويحسبون أن هذه الكائنات طبقة من الشياطين. ويقال إنهم يظهرون فى أشكال الحيوانات والوحوش، وأنهم يسكنون المقابر وغيرها من الأماكن المنعزلة، وأنهم يأكلون الجثث ويقتلون من يوقعه سوء الحظ فى طريقهم ويلتهمونه. ومن هنا يطلق عبارة الغول على آكلى لحم البشر.

تقديس البلهاء:

لايجوز عقلا أن تثير هذه الأوهام التى توجد فى أذهان شعب جاهل دهشتنا. ولكن المصريين لايظهرون احتراماً خرافياً للكائنات الوهمية فحسب، وإنما يجاوزون ذلك إلى بعض أفراد من البشر مثلهم. وكثيراً ما يكون ذلك التقديس إلى أقل الناس استحقاقاً له. فيعتبرون الأبله أو المجنون مخلوقاً عقله فى السماء وجسده يختلط بالبشر. ويعدونه لذلك ولياً. ومهما ارتكب الولى المشهور من الخطايا (وكثيراً منهم يخالفون الدين) فهى لاتؤثر على قداسته، إذ تعتبر نتيجة تجرد عقله من الأشياء الدنيوية. فروحه أو قواه العقلية كلها مستغرقة فى التقوى، ولذلك تترك شهواته بلا رقيب ويحبس المجانين الخطرون، أما هؤلاء الذين لاخطر منهم فيعتبرون أولياء. وأكثر أولياء مصر المشهورين معتوهون أو بله أو خداعون. ويسير بعضهم عراة تقريباً، ويتمتعون باحترام زائد، بحيث أن النساء، بدلا من تجنبهم، يتكبدن أحياناً الكثير من تصرفاتهم الشاذة فى الطريق العام. ولايشعر العامة بأى عار من هذه الأعمال التى يندر مع ذلك حدوثها. ويُرى آخرون لابسين مرقعة مختلفة الألوان، تسمى "دلق"، وهو مزين بالخرز، ومعممين بعمة التبن، أو خليطا من التبن والزجاج المكسر، ويلفتون النظر بأعمال غريب مختلفة. وكثيراً ما قابلت، أثناء زيارتى الأولى، فى شوارع القاهرة، رجلا زرى الشكل عارى الجسم تقريباً، مضفر الشعر طويله، راكباً حماراً يقوده رجل آخر.فيوقف دائماً حماره أمامى مباشرة بحيث يقطع علىَّ الطريق، ويقرأ الفاتحة، ثم يمد يده

للسؤال. وقد حاولت أن اتجنبه فى أول مرة، إلا أن أحد المارين حذرنى ملاحظاً أن الرجل ولىّ، وأن علىّ أن أحترمه وأن امنحه مايريد حتى لاتصيبنى مصيبة. ويتعيش رجال هذه الطبقة على الصداقات التى كثيراً ما يتناولنها دون سؤال. ويسمى القديس المشهور "شيخ "أو "مربط "أو "ولى"، ويسمى أيضاً، على الأصح، إذا كان به بله أوجنون أو خبل، "مجذوب "أو "مسلوب". وتطلق عبارة "ولى "بدقة على القديس التقى السامى فقط، ومعناها المختار. إلا أنها تطلق عامة على البُله أو المتبالهين، حتى أن بعض الأذكياء جعلوا لفظ الولى معادلا للفظ "بليد"، ملاحظين أن تينك العبارتين متساويتا المعنى والقيمة العددية للحروف المكونه لكل منهما. إذ أن "ولى "مكونة من الواو واللام والياء، وقيمة كل على التوالى ٦، ٣٠، ١٠ أى ٤٦، و"بليد" مكونة من الباء واللام والياء والدال، وهى على التوالى ٢، ٣٠، ١٠، ٤، ومجموعها ٤٦. وكثيراً ما يسمى الغبى ولياً للدعابة.

ويعتقد مسلمو مصر وغيرها من البلدان اعتقادات باطلة عجيبة بالأولياء. وقد حاولت أن استفهم عن أكثر هذه الاعتقادات غموضاً، فكان الرد علىّ: "انك تتدخل فى أمور (الطريقة)"، أى منهج الدراويش الدينى. إلا أننى وقفت على كثير من الآراء العامة فى هذه الموضوعات. واظن أن ذلك هو كل مايطلب تقريره فى كتاب مثل هذا. وسأسرد مع ذلك أقوال بعض المتعلمين والدراويش فيما يتعلق ببيان إيمان العامة. وكل من يرتاب فى وجود الأولياء يُرمى بالمرموق. ويتلى للحكم عليه نص القرآن: "إلا أن أولياء الله لاخوف عليهم ولا هم يحزنون". ويعتبر هذا النص كافياً للدلالة على أن هناك طبقة من الأفراد متميزة على البشر العاديين. وقد يتساءل، من هؤلاء الأشخاص أو ما حالهم؟ والرد على ذلك، أنهم أشخاص قصروا أنفسهم على عبادة الله واحتفظوا بايمان صادق، ومنّ الله عليهم بالقدرة عليفعل الكرامات تبعاً لقوة إيمانهم.

الأقطاب:

يسمى أقدس الأولياء "قطباً". ويحمل هذا اللقب، على رأى بعضهم، رجلان، ويقول البعض الآخر أربعه. وتعنى عبارة "قطب "محوراً، ومن ثم أطلقت هذه الكلمة على الولى الذى يثق به الناس ويتبعوته. ويطلق هذا اللفظ للسبب نفسه على الحكام الزمنيين أو السادة الأجلاء وقد أخبرت أن الرأى القائل بأربعة أقطاب خطأ شائع، وأصله توالى ذكر عبارة (الأقطاب الأربعة) التى تشير إلى مؤسسى أشهر الطرق الصوفية (الرفاعية والقادرية والأحمدية والبراهمة)، ويُعتقد أن كلا من هؤلاء كان قطب زمانه. وقيل لى أيضاً أن الرأى القائل بقطبين خطأ عام، أساسه إسمان: (قطب الحقيقة) و(قطب الغوث): لايختص بهما على الأصوب غير شخص واحد فقط. ويطلق الذين يعتقدون بوجود قطب واحد عليه عبارة (القطب المتولى)، وهو الحاكم الآن، ويطلقها الذين يعتقدون بوجود قطبين، على القطب العامل. ويحكم القطب الذى يراقب الأولياء جميعهم (سواء أكان هناك قطب آخر أم لم يكن، لأنه إذا وجد يكون دون الأول) أولياء متفاوتى الرتب يقومون بأعمال مختلفة، مثل النقباء والأنجاب والأبدال الخ. وهم وحدهم يعرفون وظائف بعضهم بعضاً، وقد يعرف ذلك الأولياء الآخرون.

ويقال إن القطب كثيراً ما يظهر، ولكنه لايعرف، وكذلك اتباعه ذوو السلطة. وهو يظهر دائما متواضعاً رث الثياب. ولايشتد فى مؤاخذة من

الجبرتى/ سنة ١٢٣٣

يخـــالف الدين أو يتظاهـر بـالتـقـوى. ومع أن القطب يختـفى دائمـاً فـان أمـاكن وجوده معروفة، ولكنه قليلا ما يظهـر فيـهـا. والمعتـقـد أن القطب يكون فوق الكعبة. وهو يصيح مرتين فى جوف الليل قـائلا: "ياأرحـم الراحـمين"، فـيـردد المؤذنون حـينئذ ذلك الدعاء من مآذن الكعبة. وقد سـألت حـاجاً فـاضلا فى هذا الموضـوع، فـأقـر لى انه رأى بعـينيـه إمـامـاً يصيح هذه الصيحة. ولايعرف ذلك غير القليل من الحجاج. ويعتقد مع ذلك أن سطح الكعبة مركز القطب الرئيسى. ويفضل هذا المجهول الموقر مركزاً آخر بباب القـاهرة المسـمى باب زويلة، وهو فى الطرف الجنوبى من ذلك القسم الذى يكون المدينة القـديمة، وإن كـان فى قلب البلد الآن، فـقـد امـتـدت العاصمة كثيراً نحو الجنوب والغرب. ويسمى العامة باب زويلة "المتولى "لاعتقادهم انه مـركـز هذا الكائن المجهول. ومن وراء أحد مصراعى الباب العظيم، الذى لايقـفل أبداً، فضاء صغير يقال إنه مكان القطب.

ويقـرا الكثـيـر من المارين الفـاتحة. ويتصدق البعض على سـائل يجلس هناك ويعتبره الرعاع احد خدام القطب. ويدق المصـابون بالصداع مسـمـاراً فى البـاب لفك السحر. كما أن المصابين بوجع الأسنان يخلعـون سناً ويولجـونهـا فى أحـد شقوق الباب، أو يلصقونها به بأى حـال آخـر، حـتى يضـمنوا عـدم إصـابتـهم بالمرض نفسه.

وكـثـيراً مـا يحـاول بعض الفضوليين الاختباء وراء الباب، آملين عبثاً اختلاس النظر إلى القطب، لعله يظهر هناك. وللقطب فى مـصـر مـراكـز أخـرى أقل شـهـرة. أحـدها فى قـبـر السـيـد أحـمـد البدوى بطنطا، والآخر فى مدينة المحلة وغيرها. ويعتقد أن القطب ينتقل من مكة إلى القـاهرة أو من مكان إلى آخر فى لحظة. ولايقتصر القطب على سكنى أماكنه العـديدة المفـضلة، وإنما ينتقل فى أنحـاء العـالم، بين جـمـيع البـشـر من مـختلفى الأديان، متـخذاً شكلهم وملبسهم ولغتهم، ويوزع عليـــهم بواسطة اتبـاعـه الأوليـاء أحكام القدر نعماً ونقماً. وحينما يموت قطب يتولى غيره مكانه فى الحال.

ويروى الكثير من المسلمين أن إلياس، ويخلطه العامة بالخضر، كان قطب زمانه، وأنـه يـولـى الأقـطـاب المتعـاقبين، إذ يقـررون أنه لم يمت، ويزعـمـون أنه شـرب من عين الحيــاة. ويبـدو أن اعـتـقـادهم فى القطب مأخوذ مما قص علينا فى التوراة عن غلياس ورفعه إلى السـمـاء، وانطلاقـه من مكان لآخر تحمله روح الله، ومنحه أليشع سلطته الخارقة للعادة وتقليده إياه وظائفه، وخضوع الرسل الآخرين له ولولية المباشر. وينبذ بعض الأولياء لذات الدنيا وصحبة الإنسان، ويعكفون على التأمل فى السـمـاء، وينقطعـون للصلاة متوكلين على العناية الإلهية لسد حاجاتهم إلا أن خلوتهم تعرف، فيحضر العرب الطعـام لهم يوميـاً. وهذا يذكرنا مرة أخرى بقصة إلياس، إذا وضعنا، كما يرى بعض الناقدين، كلمة (عربان) بدلا من لفظة (غـربان) فى الآيتين الرابعة والسادسة من الإصحاح السابع عشر من سفر الملوك الأول: "وقد أمرت (الغربان) ان تعولك "وكانت (الغربان) تأتى إليه بخبز".

وهناك ظاهرة غريبة فى خلق المصـريين وغـيـرهم من الشـرقـيين، وهى أن المسلمين والمسيحين واليهود يتخذون خرافات بعضهم بعضاً، وبينما يمقـتـون العـقـائد الأصلية فـيـشعل المسلم شـمـعـة فى كنيسة مارجرجس بمصر القديمة، أوسانت (القديسة) تريزا بشبرا، ويوزع المسيحى الفول النابت عند مسجد السيدة زينب، وفاءاً لنذر. وقد يستخدم المسلمون عند المرض قسس النصارى واليهود

للدعاء لهم. وكذلك النصارى واليهود يدعون الأولياء المسلمين للغرض نفسه. ومن المألوف أن ترى المسيحيين يترددون على الأولياء، فيقبلون أياديهم ويسألونهم الدعاء والنصح، ويجزلون لهم المال والعطايا.

وينسب المسلمون إلى الرسول معجزات كثيرة لايقرها الاسلام. وهم يقولون إن هناك معجزات كثيرة لاتزال تتم إكراماً للنبى وشاهداً على رعاية الله له. ويروى الحجاج الذين زاروا المدينة أنهم يرون كل ليلة شعاعاً من النور الكامد يشع من قبة القبر النبوى إلى ارتفاع هائل، إلا أن الشعاع يختفى عن الناظر عندما يقترب من القبر. وهذه معجزة من أكثر المعجزات اعتباراً ويروون أنها تشاهد للآن. وقد سألت أحد أصدقائى الحصفاء عن صحة هذا الزعم، فأيده وجزم أنه كان يرى الشعاع كل ليلة مدة إقامته بالمدينة. وقال: إن ذلك دليل على رضا الله وإكرامه لسيدنا محمد. ولم أجرؤ أن أستفهم عن حقيقة مايزعم رؤيته بعينه، ولا الإشارة إلى أن أكثر الأنوار التى تضاء فى المسجد كل ليلة قد تحدث ذلك الأثر. غير أنى سألت صديقى أن يصف لى بناء القبر وقبته الخ، فأجاب أنه لايدخل الضريح ولا الكعبة لاضطراب أعصابه، نتيجة لإعظامه هذه الأماكن المقدسة وخاصة قبر الرسول الذى يؤثر فيه تأثيراً شديداً، ولأنه حنفى المذهب، لايليق به أن يسير فوق هذه الأرض المقدسة ويتعرض كل حين لمكاره المشى حافياً. ومن ثم كان عليه فى هذه الحالة أن يلبس خفاً داخل الحذاء الخارجى وهذا ما لايقدر عليه. ويزعم الحجاج أيضاً أنهم يرون دائماً، على مسير ثلاثة أيام من المدينة، نوراً فى اتجاه المدينة المقدسة. ويعتقدون أنه ينبعث من قبر الرسول. ويقولون إنهم حيثما يتجهون يشاهدون هذا النور تجاه المدينة. ولهذه الروايات جمال يؤثر فى النفوس.

ويوجد عادات خرافية كثيرة، يراعونها فى الكثير من أعمالهم العادية، نتيجة لاحترامهم المفرط للرسول وللأولياء على العموم. وكأن يقولون عادة عند إضاءة المصباح، فى الدكان خاصة: "اذكر محمداً ولاتنس فضائل على، الفاتحة للرسول ولكل ولى". ثم يقراون الفاتحة. ويقولون عادة عندما يرون الهلال الرؤية الأولى" "اللهم صلى على سيدنا محمد، اللهم اجعلك شهراً مباركاً".

ويحمل المسلمون، وبخاصة المصريون، على اختلاف مذاهبهم، للأولياء المتوفين احتراماً وتقديساً لاسند لهما فى القرآن أو الأحاديث، أكثر مما يحملون للأحياء منهم. ويشيدون فوق أغلب قبور الأولياء المشهورين مساجد كبيرة جميلة. وينصبون فوق قبور من هم أقل منهم شهرة (من هؤلاء الذين ذاع صيتهم، لورع صادق أو كاذب، بانهم من الأولياء أو الشيوخ الأتقياء) بناء صغيراً مبيضاً بالكلس ومتوجاً بقبة. ويقام فوق القبر مباشرة نصب مستطيل من الحجر أو القراميد، يسمى "تركيبة"، أو من الخشب، ويسمى "تابوتاً". ويغطى النصب عادة بالحرير أو الكتان المطرز ببعض الآيات القرآنية ويحيط به قضبان أو ستر من الخشب، يسمى "مقصورة". وأكثر أضرحة الأولياء فى مصر مدافن، إلا أن أكثرها يحتوى على آثار قليلة لهم، وبعضها ليست إلا قبوراً فارغة أقيمت تذكاراً للميت. وأكثر هذه المقامات قدسية مقام الحسين، إذ يقال إن رأس الحسين الشهيد مدفون به. ومنها أيضاً، وهى دون الأول قدسية، مسجد السيدة زينب، ومسجد السيدة نفيسة، ومسجد الإمام الشافعى الذى ينتمى إلى مذهبه اكثر القاهريين. وتوجد هذه الأبنية السابقة، ما خلا الآخرين،

داخل العاصمة. أما مسجد السيدة نفيسة فهو فى إحدى الضواحى الجنوبية، ومسجد الإمام الشافعى فى المقبرة الجنوبية الكبيرة.

ويزور المصريون هذه الأضرحة وغيرها أحياناً، إما إجلالا للميت، وقياماً بأعمال تستحق الثواب لأجل هؤلاء المكرمين، معتقدين أنهم سينزلون عليهم البركات، وإما بقصد التماس البرء من مرض أو طلب النسل، مقتنعين أن فضائل الميت تكفل قبول دعواتهم قبولا مرضياً. ويعتبر المسلمون أولياءهم المتوفين شفعاء لهم عند الله، ويقدمون لهم النذور. ويحيى الزائر عند وصوله الضريح الميت بالسلام، ويسلم عليه ايضاً عند دخوله المدفن. ولكنى أعتقد أنه قلما تراعى العادة الأخيرة. ويواجه الزائر رأس الميت، ومن ثم يولى القبلة ظهره. ويطوف حول المقصورة من اليسار إلى اليمين، ثم يقرأ الفاتحة بصوت لايسمع أمام باب المقصور أو أمام جوانبها الأربعة. وقد يتلو بعد ذلك سورة أطول من الفاتحة، كما قد يتلو فى هذه الحالة (خاتمة). ويقرأ هذه الأدعية لأجل الوالى وإن كان يعتقد ايضاً أن الأجر ينعكس على الزائر الذى يتلو الصلاة. ويختم الزائر ذلك عادة يقول: "سبح بربك رب العزة، منزهاً مما يعزونه [أى الكفار] إليه تعالى (من أن يلد أو يكون له شريكاً). والسلام على الرسل والحمد لله رب العالمين. اللهم إنى وهبت ما قرات من القرآن الكريم إلى من نذر له هذا المكان "أو "إلى روح هذا الولى". ويبقى ثواب ما قرىء للقارىء وحده إذا لم يبين ماسبق أو لم يقصده. ويبتهل الزائر بعد تلاوة هذا إلى الله لاستدرار النعم فيقول عادة: "اللهم اتوسل إليك بالرسول وبمن وقف له هذا المكان أن تهبنى هذه النعمة وتلك الأخرى "او "حملى على الله وعليك يا من كرس لك هذا المكان". ويواجه البعض وهو يفعل ذلك جانباً من جوانب المقصورة. ويقال إن اللائق أن يواجه الإنسان المقصورة والقبلة، ولكنى أعتقد أن القاعدة نفسها تراعى فى هذه الحالة كما تراعى فى السلام. وتوضع اليدان اثناء ذلك وضع الابتهال الخاص عقب الصلاة العادية، ثم تسحبان بعد ذلك على الوجه. ويقبل الكثير من الزائرين عتبة باب المقام وجدرانه ونوافذه ومقصورته الخ. إلا أن الشديد المحافظة يستقبح هذا لاعتباره تقليداً لعادة مسيحية. ويوزع الأغنياء والميسورون عند زيارتهم قبور الأولياء المال أو الخبز على الفقراء. وكثيراً ما يمنحون السقائين نقوداً ليفرقوا الماء على الفقير والظمآن إكراماً للولى. وهناك أيام خاصة فى الأسبوع لزيارة بعض الأضرحة. فيزور الرجال مسجد الحسين على الأكثر يوم الثلاثاء، والنساء يوم السبت. ويزورون مسجد السيدة زينب يوم الأربعاء، ومسجد الإمام الشافعى يوم الجمعة. والعادة فى هذه الحالات ان يحمل رجال معهم آساً يضعون بعضه على النصب أو فوق الأرضية داخل المقصورة، ويأخذون الباقى ثانية لتوزيعه على الأصدقاء. ويضع الفقير أحياناً خوصاً، كما يفعل أغلب الناس على قبور الأصدقاء والأقارب. وتضع نساء القاهرة بدل الآس والخوص ورداً وزهوراً وياسميناً الخ.

لاتكاد القرية المصرية تخلو من ضريح ولى يزوره الكثيرون، ولاسيما النساء، فى يوم خاص من الأسبوع. ويحمل بعض النساء إلى هنالك خبزاً للعابرين الفقراء أو غيرهم. ويضع بعضهم ايضاً قطعاً نقدية صغيرة فوق القبر، تقدمة للشيخ أو صدقة لأجله. وقد اعتاد الفلاحون كذلك أن ينذر لأوليائهم ذبائح. مثال ذلك أن ينذر

الجبرتى/ سنة ١٢٣٣

الرجل للشيخ فلان (المتوفى) ماعزاً أو ضأناً إذا أبل من مرض أو انجب ولداً أو بلغ مراماً، فيضحى بالذبيحة عند قبر الشيخ، إذا قضى حاجته. ويولم بلحم النذر للفقراء. وثواب ذلك يبقى للولى. وكثيراً ما ينذر الجداء الصغيرة لتذبح فى المستقبل. فيشرم اذنها اليمنى او يعلمها بعلامة ما. وليس من النادر ان ينذر الفلاح نذراً لايبتغى منه شيئاً غير البركة. وقد ينذر أحياناً عجلا يذبحه حين يكبر ويسمن. فيترك العجل طليقاً يرعى برضاء الجيران فى كل مكان، حتى حقول القمح. ثم يذبح العجل ويؤدب بلحمه مأدبة عامة وكثيراً ما ذبحت ثيران كبيرة بهذه الطريقة.

يكرم كل ولى مشهور تقريباً بالاحتفال بمولده. فيزور الناس قبره فى ذلك اليوم تبركاً، ويستأجرون الفقهاء لتلاوة القرآن على روح الولى. ويقوم الدراويش بالذكر. ويعلق من يسكن بجوار الضريح مصابيح أمام أبوابهم، ويقضون نصف ليلتهم فى التدخين واحتساء القهوة والاستماع إلى رواة القصص فى المقاهى أو تلاوة القرآن والأذكار. وأمام بابى الآن عدة مصابيح علقت احتفالا بمولد شيخ يجاور ضريحه المنزل الذى أسكنه. وكثيراً ما يعلق المسيحيون المصريون كذلك المصابيح فى مثل تلك الأحوال.

وتستمر هذه الأعياد بضعة أيام غالباً. وأشهر موالد القاهرة بعد المولد النبوى مولدا الحسين والسيدة زينب. ولايواصل اكثر المصريين زيارة قبور الأولياء المشهورين للتبرك فحسب، وإنما يواصلونها خشية نزول المصائب بهم إذا قصروا فى ذلك. وهكذا يقاسى الآن أحد معارفى مرضاً يعزوه إلى إهماله حضور مولد السيد أحمد البدوى فى العامين الأخيرين، وقد جاء أوان الاحتفال بأحد موالده. ويكاد ضريح هذا الولى يجتذب زائرين من العاصمة وأنحاء مصر السفلى أثناء الموالد السنوية الكبيرة بقدر ما تجتذب مكة حجاجاً من انحاء العالم. ويقام للسيد البدوى ثلاثة موالد سنوية إكراماً له. ويقام أحدها حوالى اليوم العاشر من شهر طوبه (١٧ او ١٨ يناير)، والثانى فى الاعتدال الربيعى او نحو ذلك، والثالث وهو المولد الكبير يقام بعد الإنقلاب الصيفى بشهر تقريباً (او حوالى منتصف شهر أبيب)، عندما يزيد ارتفاع النيل ولم تقطع السدود بعد. ويستمر كل مولد ثمانية أيام، فيبدأ يوم جمعة وينتهى بعد ظهر الجمعة التالية. وتقام فى كل ليلة ألعاب نارية. ويحتفل بمولد السيد إبراهيم الدسوقى، بعد كل الموالد السابقة بأسبوع، فى دسوق على الضفة الشرقية من فرع النيل الغربى. وكان السيد إبراهيم ولياً ذائع الصيت يلى السيد البدوى فى الشهرة. وتعتبر موالد السيد البدوى والسيد إبراهيم الدسوقى اسواقاً عامة فضلا عن كونها أعياداً دينية. ويقيم اكثر زائرى مولد السيد إبراهيم فى مراكبهم. ويعرض بعض دراويش السعدية من أهل رشيد ألعابهم بالثعابين، ويحمل بعض هؤلاء ثعابين شدّ فمها بحلقة فضية وقاية من لدغها، ويأكل آخرون بعض هذه الثعابين حية. ولايزيد الاحتفال الدينى فى الموالد جميعاً على إقامة الذكر وتلاوة القرآن. وقد جرت العادة أن يقوم المسلمون، كما كان يفعل اليهود، بتجديد بناء قبور أوليائهم وتبييضها وزخرفتها وتغطية التركيبة أو التابوت أحياناً بغطاء جديد. وأكثر هؤلاء يفعلون ذلك رياء كما كان يفعل اليهود.

يكثر الدراويش فى مصر كثرى عظيمة. ويحترم المصريون، وخاصة الطبقات السفلى، هؤلاء الذين يعكفون على الرياضة الدينية ويعيشون على الصدقة، احتراماً كبيراً.

ويستخدم بعض الدراويش الحيل المختلفة للاشتهار بقداسة فائقة وقدرة القيام بالكرامات. ويعتبر الكثير منهم أولياء.

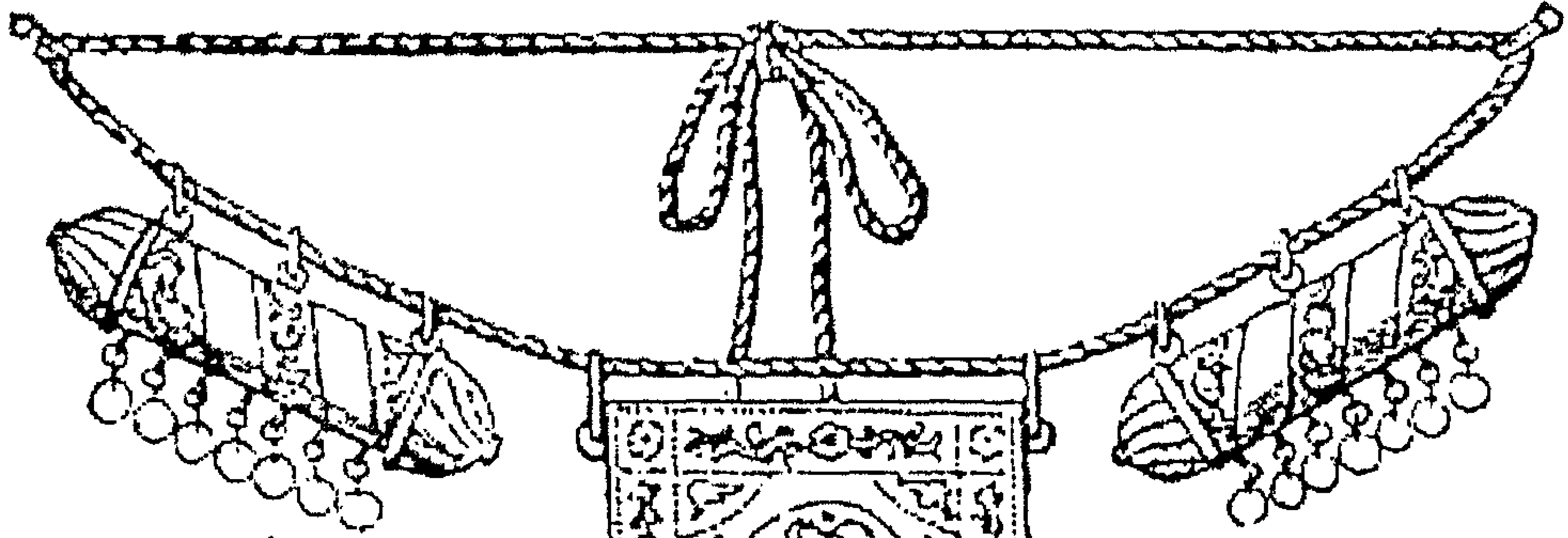
ويحمل من ينحدر مباشرة من ذرية أبى بكر، أول الخلفاء، لقب "الشيخ البكرى"، ويعتبر ممثل ذلك الخليفة، ويسيطر على جميع طوائف الدراويش الأشراف بمصر. ويعتبر الشيخ البكرى الحالى، وهو أيضا من سلالة النبى، نقيب الأشراف. ولعمر، ثانى الخلفاء، أيضا ممثل هو "شيخ العنانية "أو "أولاد عنان"، وهم طائفة من الدراويش سموا هكذا باسم "ابن عنان "أحد شيوخهم من كل الوجوه. ويعتقد العامة أن عجل العزب يجلب إلى المنزل بركة الولى الذى سمى هذا الحيوان باسمه.

وفى مصر دراويش جوالة من الترك والفرس، وإلى هؤلاء الدراويش تنسب صفة اللجاجة والوقاحة أكثر مما تنسب إلى القلائل من المصريين الذين يعيشون معيشتهم. ويحدث كثيراً فى شهر رمضان خاصة أن يذهب درويش أجنبى إلى مسجد الحسين، الذى يتردد إليه كثير من الترك والفرس، وقت صلاة الجمعة فيمر بين المصلين، عندما يخطب الخطيب، ويضع أمام كل امرىء قصاصة من الورق كتب عليها بعض كلمات تحث على الصدقة. وبهذه الطريقة يتناول من المصلين كلهم أو غالبهم قطعاً من ذوات الخمسة فضة أو العشرة فضة أو أكثر. ويحمل الكثير من دراويش الفرس فى مصر معلقة خشبية، وطاسة مستطيلة من جوز الهند أو من الخشب أو من المعدن، حيث يتناولون الصدقات ويضعون الطعام. ويلبس أغلب دراويش الأجانب ملابس خاصة تبعاً لطوائفهم وأهم ما يميزهم لباس الرأس، وأكثر أنواعه شيوعاً ما صنع من اللبد على شكل قالب السكر المخروطى. وتتكون ملابسهم الأخرى من صدرية وسروال واسع أو آخر ضيق أو قميص وحزام، وعباءة غليظة. ويتظاهر الفرس هنا بأنهم سنيون. ويعتبر الأتراك أكثر الطائفتين إزعاجاً ولجاجة.

التمائم والاحجبة:

ومن أهم المميزات فى خرافات المصريين المحدثين اعتقادهم بالتمائم و بالاحجبة التى يستند أكثرها على السحر. ويشتغل بكتابة هذه التعاويذ أحياناً جميع معلمى الكتاتيب القروية تقريباً. على أنه قلما يدرس من يقوم بهذا العمل شيئاً من السحر أكثر من الحصول على بعض صيغ من الأحجبة، يتألف معظمها عادة من آيات قرآنية وأسماء الله مع أسماء الملائكة والجن والرسل أو الأولياء المشهورين، ويختلط بها تركيبات عددية وأشكال هندسية. ويتوهم الناس أن ذلك كله له خاصية خفية عظيمة.

وأكثر الأحجبة اعتباراً مصاحف القرآن. وقد جرت العادة أن يحمل أتراك الطبقتين الوسطى والعليا، وغيرهم من المسلمين، مصحفاً صغيراً فى غلاف من الجلد المزركش أو المخمل يعلقونه على الجانب الأيمن بخيط من الحرير يمر فوق الكتف الأيسر. غير أن هذه العادة لم تعد شائعة كثيراً. وقد لاحظت أثناء زيارتى الأولى انه قلما يرى تركى فاضل من السلك الحربى لايحمل الغلاف السابق ذكره، مع أنه كثيراً ما لايحوى حجاباً. ولايزال النساء يحملن المصاحف وغيره من الأحجبة، فيضعنها فى أغلفة من الذهب أو الفضة المذهبة أو الساذجة. ويعزو المسلمون إلى المصحف وأكثر الأحجبة قوة كبيرة، ويعتبرونها حافظة من المرض والسحر والحسد وغير ذلك من البلايا. وهناك



كتاب أو دَرج يجىء بعد المصحف مكانة به سور قرآنية تكون فى العادة سبعاً، كسوَر: الأنعام والكهف ويس والدخان والرحمن والملك والنبأ أو غيرها.

ويوجد حجاب آخر يوضع عادة داخل غطاء الراس، ويعتقد أنه يقى حامله من الشيطان ومن كل روح شريرة ويؤمنه من الخوف. وهذا الحجاب قطعة ورق كتبت عليها الآيات التالية: "ولا يؤودُه حِفظهما وهو العلى العظيم "(سورة البقرة آية ٢٥٥) ,فالله خيرٌ حافظاً وهو أرحم الراحمين "(سورة يوسف آية ٦٤). ويحفظونه من أمر الله "(سورة الرعد آية ١١)"وحفظناها منْ كل شيطان رجيم "(سورة الصافات آية ٧). "حفظاً ذلك تقديرُ العزيز العليم "(سورة فصلت آية ١٢). "والله من ورائهم مُحيط، بلْ هو قرآن مجيد، فى لوح محفوظ". (سورة البروج الآيات ٢٠، ٢١، ٢٢). وكثيراً ما تكتب أسماء الله التسعة والتسعين فى ورقة يحملها الشخص، فتجعله كما يعتقد محلا خاصاً لرعاية هذه الصفات الكريمة جميعها. وهناك حجاب آخر يظن ان له تأثيراً مماثلا. ويتألف هذا الحجاب من أسماء مخلفات النبى، وهى تتألف من سبحتين ومصحف، فى أجزاء غير مرتبة، ومكحلة وسجادتين ورحى وعصاً ومسواك وحلة والأبريق الذى كان يستعمله النبى للوضوء، ونعل وبردة وثلاث حصر ودرع ورداء طويل من الصوف، وبغله الأبيض (الدلدل) وناقته (العضباء). وتكتب أيضاً بعض الآيات القرآنية على قصاصات من الورق يحمله الناس وقاية من الشرور واستشفاءاً واكتساباً للحب والصداقة الخ. ويحمل الكثير من المصريين المحدثين، رجالا ونساء وأطفالا، هذه الأحجبة وغيرها فى أغلفة من الذهب أو الفضة أو القصدير أو الجلد أو الحرير الخ.

ومن الشائع أن ترى الأطفال المصريين يحملون أحجبة ضد الحسد داخل غلاف مثلث الشكل، ويعلق فى أعلى غطاء الراس. وكثيراً ما يعلق على الجياد معلقات مماثله. ويتقى المصريون الحسد بشتى الاحتياطات، ويسعون قلقين لدفع نتائجه الوهمية عنهم، وقد يعبر البعض عن إعجابه بشىء إعجاباً يعتبر غير لائق، فيعنفه من أزعجه هذا بقوله: "صلى على النبى "فاذا امتثل الحاسد وقال: "اللهم صلى عليه "لايخشى شره. ومن غير اللائق أيضاً أن يعبر الشخص عن إعجابه بآخر أو بأى شىء لايملكه بقوله: "ياسلام سلم "أو "ما أجمله". ويستحسن فى مثل هذه الأحوال أن يقول: "ماشاء الله"، التى تشير إلى الإعجاب والخضوع لإدارة الله

أو الرضا بها. وكثيراً مايكون الأجدر بالمبدى إعجابه ان يقول ماشاء الله ويصلى على الرسول. والعادة فى هذا البلد ان يقول من يحمل ولد غيره بين ذراعيه: "بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم صلى على سيدنا محمد"، ثم يقول: "ما شاء الله". ويجب أيضاً أن يقول المصرى عندما يبدى إعجابه بصبى: "أعوذ برب الفلق لأجلك"، مشيراً إلى سورة الفلق التى تنتهى بالتعوذ من شر الحسد. وقد ينظر بعض الناس إلى طفل، أو يلوح أنه يحسده، فيعمد الوالدان أحياناً إلى قطعة من أطراف ملابسه، فيحرقانها مع قليل من الملح. ويضيف البعض إلى ذلك الكزبرة وحجر الشب الخ، ويبخران الطفل بالدخان ويذران عليه الرماد. ويجب عمل هذا على ما يقال قبيل الغروب عندما يحمر قرص الشمس.

ويستعمل المصريون الشب كثيراً لمنع أثر الحسد، فيضعون على الجمر قبيل الغروب قطعة منه بحجم الجوزة تقريباً حتى تنقطع عن الفوران. ويتلو من يقوم بهذا العمل، أثناء احتراق الشب، الفاتحة والسور الثلاث الأخيرة ثلاث مرات. ويبدو كما قيل أن الشب عندما ترفع من النار تتخذ شكل الحاسد. ثم يسحقها ويمزجها بقليل من الطعام يرميه إلى كلب أسود ليأكله. وقد شاهدت هذه العملية يقوم بها رجل ظن أن امراته نظرت إليه نظرة حاسدة. وقد اتخذت قطعة الشب وقتئذ شكلا يشبه شكل النساء كثيراً، فقرر الرجل أنه وضع خاص تعودت عليه امراته. إلا أن الشكل الذى يتشكل به الشب يكاد يتوقف على ترتيب الجمر. ومن الصعب أن يكون هذا الشكل بحيث لايرى فيه الخيال بعض الشبه بالإنسان. وهناك طريقة أخرى يتوهم الناس أنها تدفع تأثير الحسد، وهى أن توخز قطعة من الورق بابرة، ويقول الواخز هذه عين فلان الحاسد، ثم تحرق الورقة، ويعتبر الشب حجاباً ناجعاً ضد الحسد: وقد يعلق الناس احياناً قطعة من حجر الشب مسطوحة ومزينة بشراريب فى أعلى غطاء رأس الطفل. وتستعمل الأصداف والخرز بالطريقة نفسها وللغرض نفسه. وهناك أصداف صغيرة تعتبر واقية من الحسد خاصة، وتعلق لذلك الغرض وللزينة فى عدد الجمال والجياد وغيرها من الحيوان وعلى غطاء رأس الأطفال أحياناً.

ولاشك أن هذه المعلقات يقصد بها جذب العين، فتمنعها من رؤية الشىء المراد حفظه من الحسد.

يستعمل كثير من المصريين، والنساء غالباً، "الميعة المباركة" لإبطال الحسد والميعة مزيج من عقاقير مختلفة تجهز وتباع فى الأيام العشرة الأولى من شهر محرم فقط. وكثيراً ما نرى حينئذ بائعى الميعة يتجولون فى شوارع القاهرة صائحين: يا بركة عاشورا المبارك، أبرك السنين على المؤمنين يا ميعة مباركة". ويحمل بائع فوق رأسه صينية مستديرة يغطها بقصاصات من الورق المختلف الألوان، ويضع عليها المزيج الثمين. ويتوسط الصينية كوم كبير من ثقل مادة قاتمة الحمرة تستعمل للصبغة، وتمزج بقليل من الميعة (صمغ عطرى) والكزبرة والحبة السوداء (حبة البركة). ويحيط بالكوم الكبير أكوام اصغر، أولها من الملح الملون أزرق بالنيلج، وثانيها من الملح الملون الأحمر، وثالثها من الملون الأصفر، ورابعها من الشيح، وخامسها من تراب اللبان. وتلك هى مواد الميعة المباركة. ويدعو المشترون عادة البائع داخل المنازل، فيضع الصينية أمامه، ويتناول صحناً أو قطعة ورق حيث يضع من الميعة بقدر رغبة المشترى. فيأخذ من كل صنف قليلا، ويضيف إليه مقداراً

"باسم الله وبالله، ولاغالب إلا الله، رب المشارق والمغارب، كلنا عبيده، يلزمنا توحيده، وتوحيده جلاله". وبعد أن يثنى على فضائل الملح يقول: "أرقيك من عين البنت، احمى من الخشى، ومن عين المرد. : أحمى من الشرشرة، ومن عين الولد، أحمى من الزرد، ومن عين الراجل، أحد من المناجل.. الخ". ثم يروى كيف أبطل سليمان حسد العين. ويعدد بعد ذلك الأمتعة التى لا يخلو منها المنزل على الأرجح فيرقيها جميعاً من الحسد. وأكثر عبارات هذه الرقية مضحكة جداً، إذ هى ألفاظ أدخلت للسجع فقط. ويحتفظ المشترى بالميعة المباركة، التى تباع الحفنة منها بخمسة فضة، طول العام التالى. فيحرق قليلا منها كلما خشى حسد العين بحيث يتصاعد الدخان إلى المحسود. جرت العادة عند طبقات القاهرة العليا والوسطى، أن يعلقوا، فى احتفالهم بالعرس، القناديل فى الطريق أمام منزل العريس وكثيراً ما يحتشد الجمهور حول قنديل كبير جميل لمشاهدته، فالعادة حينئذ ان يلهو المشاهدين بكسر جرة كبيرة، أو بحيلة أخرى حتى لا تسبب عين حاسد سقوط القنديل. وكثيراً ما تحدث حوادث تؤيد إيمان المصريين بخرافاتهم المتعلقة بالحسد. ومثل ذلك ما رواه صديق لى: من مدة قصيرة رأى جملا يحمل جرتى زيت كبيرتين فصاحت أمراة أمام الجمل: يا سلام !يا لهما من جرتين عظيمتين !ولم يقل الجمال: صلى على النبى، فلم يلبث الجمل أن سقط وكسرت رجله وكسرت الجرتان. وقد أخبرنى احد أصدقائى القاهريين بشكوى أسردها هنا توضيحاً لما قررت. قال صديقى: "لما عدل الباشا عن احتكار بيع اللحم منذ أيام اصبح الجزارون يذبحون الحيوانات ويبيعونها فى حوانتيهم. ومن المزعج تماماً أن ترى الخروف الجميل معلقاً أما عين الجمهور كاملا بإليته وأعضائه، فيشتهيه كل سائر يمر بجانبه فكأنما يتناول المرء سماً" وقد شكا إلىّ طباخى الشكوى نفسها، فكان يفضل أن يكلف نفسه مشقة الذهاب إلى دكان جزار لا يعرض اللحم على أنظار المارة ولو كان بعيدا. يضع الكثير من تجار العاصمة، وغيرها من المدن المصرية، على واجهة حوانيتهم ورقة كتب عليها اسم الله أو اسم الرسول أو الإسمان معاً أو الشهادة أو البسملة أو حديث نبوى أو آية قرآنية مثل: "إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً" (سورة الفتح الآية الأولى) "نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين" (سورة الصف آية ١٣) أو ابتهال إلى الله مثل "يافتاح ياعليم يارزاق ياكريم". وكثيراً ما ينطق التاجر بهذا الابتهال عندما يشرع فى فتح حانوته صباحاً، وكذلك الباعة المتجولون كبائعى السلع الصغيرة والخبز والخضر الخ. عندما يخرجون لجولاتهم اليومية. والعادة ايضاً أن يضع البائع اول نقد يتناوله من مشتر على شفته ويقبله ثم على جبهته تعظيماً للرزق ثم فى جيبه.

وكثيراً ما ترى فى القاهرة غير الكتابات التى تعلق على الحوانيت، هذا الدعاء "يا الله" ينقش على أبواب الدور الخاصة، والعبارتين: "الخلاق هو الباقى" أو "هو الخلاق الباقى" ترسمان بأحرف كبيرة على الباب، كحرز وتذكرة لرب الدار أنه بشر يتوفاه الله. وكثيراً ما تكتب هذه الكلمات على الدار إذا كان صاحبه السابق أو أغلب سكانه السابقين أو جميعهم قد توفوا.

إن أفضل الوسائل لإبعاد العلل والأمراض كتابة آيات القرآن فى وعاء من الفخار يصب فيه قليل من الماء، ويرج حتى تزول الكتابة، ثم يشرب المريض الماء المنقوع فيه هذا الكلام المقدس، وهو مايلى: "ويشف صدورقوم

١ الجبرتى/ سنة ١٢٣٣

المنقوع فيه هذا الكلام المقدس، وهو مايلى: "ويشف صدورقوم مؤمنين "(سورة التوبة آية ١٤). "يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور "(سورة يونس آية ٥٧) "فيه شفاء للناس "(سورة النحل آية ٦٩) "وتنزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمُؤمنين" (سورة الإسراء آية ٨٢). "وإذا مرضت فهو يشفين "(سورة الشعراء آية ٨٨٠). "قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء" (سورة فصلت آية ٤٤). ومن هذه الآيات أربع لاتشير إلى أمراض الجسم وإن استعملت لذلك، بل تشير إلى أمراض العقل. وتشير الآية الثالثة إلى فضائل العسل. وقد سألت شيخى أن يبين لى موضع هذه الآيات من القرآن فرجانى عندئذ ألا أترجمها بلغتى، لأن ترجمة القرآن بغير ذكر النص الأصلى محرمة، لا لأنه خجل من جريان العادة باستعمال هذا الكلام طلمساً فكره أن يعرف مواطنى ذلك. وقد أوضح لى اعتقاده التام فى تأثير هذه الآيات حتى على المريض الكافر وأظهر ثقته التامة بقوتها. وقال ملاحظاً: "إن الرسول (صلى الله عليه وسلم) قال: لو توكلتم على الله حق توكله، لرزقكم كما يرزق الطير. وقد هدات وساوسه فى ذلك الأمر الخاص بترجمة الآيات باخبار أن للقرآن ترجمة إنجليزية.

ويعطى المريض أحياناً لشفاء الأمراض وإزالة أثر السموم، جرعة ماء فى طاس معدنى نقش بداخله آيات قرآنية ورسوم وأشكال طلسمية تسمى طاسة الخضه أو طاسة الشفا وقد أهدى إلى أخيراً فى القاهرة طاسة مثل هذه أعجب بها أصدقائى المسلمون كثيراً. وينقش أيضاً خارج الطاسة كتابات تعدد فضائلها، وتشير إلى خواصها من إبطال السموم والحسد وشفاء الأمراض والعلل ما عدا مرض الموت.

وقد رأيت هنا طاسة أخرى كالسابق وصفها تماماً، غير أن نقوشها زالت قليلا. ويعتقد أن أسرار القرآن "كثيرة جداً. وفى ذات يوم رفضت أن أتناول طعاماً خشية الضرر، فنصحت بقراءة سورة قريش إلى آخر "الذى أطعمهم من جوع "وأن أردد هذه العبارة الأخيرة ثلاث مرات. وقد جزم لى أن فى ذلك وقاية أكيدة من كل سوء أخشاه.

هناك أشياء مختلفة يعدها المسلمون كالأحجبة، مثل تراب القبر النبوى وماء زمزم المقدس وستار الكعبة الأسود. ويقدر المسلمون ماء زمزم كثيراً لأنه يرش على الأكفان. وسمعنى أعرابى، كنت أعطيته فى الصعيد أثناء زيارتى الأولى لمصر دواء أفاده، أسأل عن قليل من ماء زمزم، إذ أن الكثير من المراكب الغاصة بالحجاج العائدين من مكة كانت نازلة فى مجرى النيل. وربما ظن الرجل لسؤالى هذا أننى مسلم تقى، ومن ثم منحنى ما كنت أحاول الحصول عليه ليعبر عن امتنانه. فذهب إلى منزل صديق له، وعاد إلى مركبى حاملا ربطة صغيرة فتحها أمامى قائلا: ها هى ذى أشياء أعرف أنك ستقدرها تقديراً عظيماً. ها هما علبتان من القصدير ملآنتان بماء زمزم، إحدهما لك تحتفظ بها لترشها على كفنك. وهذا سواك غمس فى ماء زمزم، فتقبله منى، ونظف به أسنانك فلن تؤلمك ولن تتلف أبداً". وأضاف قائلا: (وهو يظهر لى ثلاث كعكات من التراب الأشهب صغيرة مستطيلة مسطحة طول كل منها قيراط تقريبا وقد طبع عليها باسم الله، تراب من أرضنا، بريق بعضنا) "وهذه صنعت من تراب فوق قبر الرسول (صلى الله عليه وسلم) وقد اشتريتها بنفسى عند عودتى من الحج، وإنى أعطيك إحداها، وستجد فيها

شفاء من كل داء، وسأحتفظ بالثانية لى، أما الثالثة فناكلها معاً "وعلى ذلك كسر إحدى الكعكات نصفين وأكل كل منا نصيبه. وقد وافقته على انها لذيذة وقبلت هداياه مسروراً. وقد امكننى فيما بعد ان أزيد ما عندى من تحف عن مكة، ومن ذلك قطعة من ستار الكعبة احضرها الشيخ إبراهيم (بركهارت) من مكة وأعطانى إياها وريشه عثمان. وتوضع الكعكة أحياناً فى غلاف من الجلد وتحمل كتعويذة. وتصنع احياناً أقراصاً على شكل الكمثرى الصغيرة وبحجمها، وتعلق على الستر المحيط بمقام الأولياء أو على المقام ذاته أو على نوافذ المقام أو بابه.

والأحجية التى يستعملها المصريون لجلب السعادة أو منع الشقاء كثيرة، والعادات الخرافية التى يمارسونها لهذه الأغراض مختلفة بحيث لايكفى لوصفها مفصلة مجلد كبير. وتسمى هذه الأساليب التى لايكون أساسها الدين أو السحر أو التنجيم "علم الركة"، أو علم المغزل، إشارة إلى سخافتها، ولأن النساء يعتمدن عليها غالباً. ويعتبر البعض هذه الكلمة تحريفاً عامياً لعبارة "علم الرقية "أى علم السحر، ويرى البعض الآخر انها حلت محل العبارة الأخيرة بطريق التورية. وقد ذكرت عرضاً بعض العادات مما وصفته، وسأذكر بعض امثلة اخرى.

من الشائع كثيراً أن يعلق القاهريون عود الند فوق أبواب المنازل الجديدة خاصة، ويعتبر هذا حجاباً يكفل للسكان عمراً مديداً وحياة سعيدة وللمنزل بقاء طويلا. ويعتقد النساء ايضاً أن الرسول يزور المنزل الذى يعلق فيه هذا النبات ويبقى العود معلقاً هكذا بدون طين أو ماء سنوات عديدة، ويزهر أيضاً وقد سمى لذلك "صبُراً"، بمعنى الجلَد، ولعل الأصح "صبَّارة"، إذ أن كلمة "صبر "بتسكين الياء، من صبر بكسر الباء، تطلق عامة على العصير. وجرت العادة عندما يخشى شر إنسان أن يكسر خلف ظهره وعاء من الفخار. ويفعل هذا أيضاً لقطع كل علاقة أخرى مع هذا الشخص.

ويعمد الجهلاء فى مصر، حيث ينتشر الرمد، إلى الكثير من العادات الخرافية المضحكة لمعالجة هذا المرض. فيأخذ البعض قطعة طين من جسر النيل عند بولاق أو بالقرب منها، ثم يعبرون النيل ويضعون القطعة على الجسر الآخر عند إمبابه، وحسبهم هذا لضمان الشفاء. ويعلق آخرون للغرض ذاته فى غطاء الرأس فوق الجبهة أو العين المريضة قطعة ذهبية (بندقى) ذات وصف خاص متقابلة النقشين. غير أنه يعتقد أن دخول المرء، حاملا فى جيبه بندقاً أو ريالا على المريض بالرمد أو بحمى مما يزيد المرض. والاعتقاد العام أيضاً أنه إذا دخل المرء جُنباً على مصاب بالرمد، يشتد المرض عليه، وتظهر نقطة فى إحدى عينيه أو فى كلتيهما. وأعرف رجلا أصيب بالرمد، فحبس نفسه فى غرفته ثلاثة شهور مدة المرض خوفاً من ذلك، فلم يسمح لأحد بالدخول عليه، وكان خادمه يضع الطعام خارج الغرفة عند الباب. وأصيب مع ذلك بنقطة على إحدى عينيه.

وكثيراً ما يقوم النساء بعادة أخرى شديدة الغرابة تتقزز منها النفس لعلاج الرمد وخاصة لمنع العقم. تعد ساحة الرميلة الكبرى غربى القلعة مسرحاً لإعدام المجرمين، وجنوبى هذا المكان بناء يسمى "مغسل السلطان"، حيث توضع جثة المضروب عنقه على مائدة حجرية لغسلها قبل الدفن. وتتجمع المياه فى حوض لا يفرَّغ أبداً، فيظل ملوثاً بالدماء كريه الرائحة. فيذهب الكثير من النساء إلى ذلك المكان للبرء من الرمد أو للحصول على النسل أو لتعجيل الولادة فى حالة

الحمل المتأخر. فتمر المراة صامتة، والصمت لازم إطلاقاً، تحت المائدة الحجرية متقدمة بالقدم اليسرى، ثم تمرّ فوق المائدة سبع مرات، وتغسل بعد ذلك وجهها بالماء الدنس، وتعطى كهلا وزوجه يلازمان هذا المكان خمس فضة أو عشرة، ثم تنصرف ومازالت صامتة. وكثيراً ما يفعل ذلك المصابون بالرمد من الرجال. ويقال إن هذا المغسل بناه بيبرس الشهير قبل أن يصبح سلطاناً عندما لاحظ جثث المحكوم عليهم ترفس وتدفن دون أن تغسل. ويخطو بعض النساء جثة المعدم سبع مرات صامتات ليصبحن حبالى. ويغمس البعض الآخر، مدفوعاً بالرغبة نفسها، قطعة من القطن الزهر فى الدم ويستعملها فيما بعد بطريقة يجب الا اذكرها.

وهناك عادة مضحكة يمارسها المصريون لعلاج بثرة تظهر على حافة الجفن، ويسمونها "شحاته". فيذهب المصاب إلى سبع نساء تسمى كل منهن فاطمة فى سبعة بيوت مختلفة، ويسأل كلاً منهن قطعة خبز. ويتكون الدواء من هذه القطع السبع. وأحياناً يخرج المصاب فى حالة مشابهة وللغرض نفسه قبل طلوع الشمس إلى المقابر، ويدور حولها صامتاً من اليمين إلى اليسار بعكس الطريقة المعتادة. وهناك طريقة وهمية أخرى للعلاج، وهى أن يثبت المصاب قطعة قطن على طرف عصا، ثم يغمسها فى أحد الأحواض التى يشرب منها الكلاب فى شوارع القاهرة، ويمسح العين بها، ويهتم المريض هكذا بوقاية يده من الماء الدنس عندما يوشك أن يضع منه على موضع آخر من جسمه.

ويعلق بعض المصريات المسلمات فى رقابهن أصبعاً مجففة فصلت عن جثة مسيحى أو يهودى متوهمات أن ذلك يعالج الحمى المتقطعة (الملاريا). وتدل هذه العادات دلالة تستحق الاعتبار على مفعول الخرافة المنحط وتأثيرها القوى على العقل، وإذ أن المسلمين على العموم يدققون فى مراعاة الفروض الدينية التى تأمرهم بالامتناع عن كل دنس أو قذر.

جرت العادة عندما يعجز الطفل عن المشى، بعد أن يدرك السن المناسبة، أن توثق قدميه بسعف تعقدها عقدات ثلاث وتضعه على باب مسجد أثناء صلاة الجمعة، وتسأل بعد الصلاة أول الخارجين وثانيهم وثالثهم أن يحل كل عقدة من السعف: ثم تحمل الطفل إلى المنزل مؤمنة أن هذا العمل سوف ينتج الأثر المراد عاجلا.

يلجأ المسلمون إلى عادات خرافية شتى يستشيرونها عند التردد فى عمل ينتوون فعله أو تركه. فيستخدم البعض جدولا يسمى "زايرجة". وهناك جدول من هذا النوع ينسب إلى إدريس أو أخنوخ. ويقسم الجدول إلى مائة خانة صغيرة يكتب فى كل منها حرف. يتلو من يستشير الجدول الفاتحة والآية التاسعة والخمسين من سورة الأنعام: "وعندهُ مفاتيحُ الغيب لايعلمها إلا هو ويعلم ما فى البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين" ثلاث مرات. ويضع بعد ذلك اصبعه على الجدول دون أن ينظر إليه، ثم يعاين الحرف الذى يشير إليه أصبعه ويدونه، ثم يدون الحرف الخامس اللاحق للأول، فالخامس التابع للثانى، وهكذا حتى يعود إلى الحرف الأول. ويكون من مجموع هذه الحروف الجواب.

وكذلك يلتمس البعض عندما يرقدون ليلا أن يوجههم الله فى المنام، فيجعلهم يرون شيئاً ابيض أو أخضر او ماء، إذا كان العمل المنتوى يستصوب أو إذا كانوا يتوقعون توفيقاً قريباً، وإلا جعلهم يرون شيئاً أسود أو

احمر اوناراً. فيقراون لذلك الفاتحة عشرة مرات، ولاينقطعون عن ترديد هذه العبارة "اللهم صل على سيدنا محمد "حتى يغلبهم النعاس.

يؤمن المصريون بالأحلام إيماناً عظيماً، وكثيراً ما ترشدهم الأحلام فى بعض امور حياتهم المهمة. ولديهم فى تفسير الأحلام مؤلفان كبيران لإبن شاهين وابن سيرين، والأخير تلميذ السابق. ويستشير المصريون حتى المتعلمون منهم هذين الكتابين بثقة كاملة. وعندما يقول شخص لآخر: "لقد رايت رؤيا"، يجيبه الآخر "خير"، أو "خير إن شاء الله". وقد جرت العادة عندما يرى أحدهم رؤيا سيئة أن يقول: "اللهم صلى على سيدنا محمد". ويبصق من فوق كتفه اليسرى ثلاث مرات لمنع كل شر.

ويوجد فى مصر، كما يوجد فى أكثر البلدان الأخرى، خرافات تتعلق بأيام الأسبوع، فتعتبر بعضها سعيداً والآخر نحساً. ويعتبر المصريون يوم الأحد مشئوماً بسبب الليلة التى تليه، إذ يعتبر المسلمون ليلة الإثنين منحوسة لأنها ليلة وفاة الرسول. غير أن البعض يراها سعيدة للدخول بالعروس خاصة، وإن لم تعتبر موافقة لهذا الأمر بقدر ليلة الجمعة. ويعتبر البعض أيضاً اليوم التالى يوماً سعيداً، والبعض الآخر يراه مشئوماً. أما الثلاثاء فيعتقدون أنه منحوس، ويسمى "يوم الدم"، إذ يقال إن عدة شهداء افاضل قتلوا فى هذا اليوم، ولذلك يعتبرونه يوماً مناسباً للفصد. والأربعاء لايدل على شىء. ويسمى الخميس "المبارك"، ويستمد بركته خاصة من الليلة واليوم التاليين. ويعتبرون مساء الجمعة سعيداً جداً وخاصة للدخول بالزوجة. والجمعة ابرك الأيام إذ هو يوم الراحة عند المسلمين، ويسمى "الفضيلة". أما السبت فهو انحس الأيام ويرون ان الخطأ العظيم أن يسافر المرء فى ذلك اليوم (يتشاءم البعض من السفر يوم الجمعة. ويقولون إن ذلك اليوم يحمل إلى موعد صلاة الجمعة ساعة نحس). ويمتنع أكثرهم عن حلق اللحية او تقليم الأظافر فيه. وكان احد اصدقائى متردداً فى رفع قضية على خصمين فى مثل ذلك اليوم المنحوس، وقرر اخيراً ان ذلك اليوم هو خير ايام الأسبوع لرفع القضية، لأن النحس لابد واقع على احد طرفى الخصومة فقط، ولاشك انه سيقع على خصميه لأنهما إثنان وهو واحد. وهناك ايام من السنة تعتبر ذات حظ كبير من اليمن، مثل ايام العيدين الفطر والأضحى، والبعض الآخر يعتبر يوم الأربعاء من الأسبوع الأخير من شهر صفر نحساً، فيعمد الكثيرون إلى البقاء فى منازلهم لاعتقادهم ان المصائب تقع على الإنسان فى ذلك اليوم. ويستدل بعض الناس على الخير والشر من الأشياء التى يرونها عند خروجهم من المنزل صباحاً، فعلى حسبها يكون اليوم سعيداً أو نحساً. ويعتبرون الأعور علامة سوء، وخاصة من فقد عينه اليسرى.

انظر: المصريون المحدثون شمائلهم وعاداتهم
تأليف: ادوارد وليم لين
ترجمة: عدلى طاهر نور
١٩٧٥ /القاهرة

ووراوه فى التراب، ووجدوا فى جيبه مرآه وموسى وملقاطا، وشاع أمره واشتهر وتناقله الناس بالتحدث والتعجب.

ومنها زيادة النيل فى هذا العام الزياده المفرطه التى لم نسمع ولم نر مثلها، حتى غرق الزروع الصيفيه مثل الذره والنيله والسمسم والقصب والأرز وأكثر الجناين، بحيث صار البحر وسواحله والملق لجه ماء، وانهدم بسببه قرى كثيره، وغرق الكثير من الناس والحيوان، حتى كان الماء ينبع بين الناس من وسط الدور، واختلط بحر الجيزه ببحر مصر العتيقه حتى كانت المراكب تمشى فوق جزيره الروضه، وكثر عويل الفلاحين وصراخهم على ما غرق لهم من المزارع وخصوصا الذره التى معظم قوتهم وكثير من أهل البلاد ندبوا بالدفوف.

*افراط فيضان النيل.

ومنها أن الباشا زاد فى هذه السنه الخراج وجعل على كل فدان ستة قروش وسبعه وثمانيه، وذكر أنها مساعده على حروب الحجاز والخوارج، فدهى الفلاحون بهاتين الداهيتين، وهى زياده النيل وزياده الخراج فى غير وقت وأوان، فإن من عادة الفلاحين وأهل القرى إذا انقضت أيام الحصاد والدراوى وشطبوا ما عليهم من مال الخراج لملتزميهم، ويكون ذلك فى مبادى زيادة النيل، وارتفع عنهم الطلب وارتحلت كشاف النواحي وقايمقام الملتزمين والصيارف والمعينون، وخلت النواحي منهم.

*زيادة الخراج على الأطيان بحجة المجهود الحربى.

*مال التجهية.

فعند ذلك ترتاح نفوسهم وتجتمع حواسهم، ويعملون أعراسهم، ويجددون ملبوسهم ويزوجون بناتهم، ويختنون صبيانهم، ويشيدون بنيانهم، ويصلحون جسورهم وحبوسهم، فإذا أخذ النيل فى الزياده شرعوا فى زراعة الصيفى الذى هو معظم قوتهم وكسبهم، حتى إذا انحسر الماء وانكشف الأراضى وآن أوان التخضير وزراعة الشتوى من البرسيم والغله، وجدوا ما يسدون به مال التجهيه*، وما يرقعون به أحوالهم، ومن بهايم الحرث ومحاريث وتقاوى وأجر عمال ونحو ذلك، فدهموا هذه السنه بهاتين الآفتين الأرضيه والسماويه، ورحل الكثير عن أهله ووطنه، وكان ابتداء طلب هذه الزياده قبل زيادة النيل ومجى خبر النصره، فلما ورد خبر النصره لم يرتفع ذلك.

*اضطراب اسعار العملة.
أسعارها بالنصف فضه.
البندقى ٨٨٠
الفرانسه ٤١٠
محبوب
مصر ٤٤٠
محبوب
إسلامبول ٤٨٠
المجر ٨٠٠

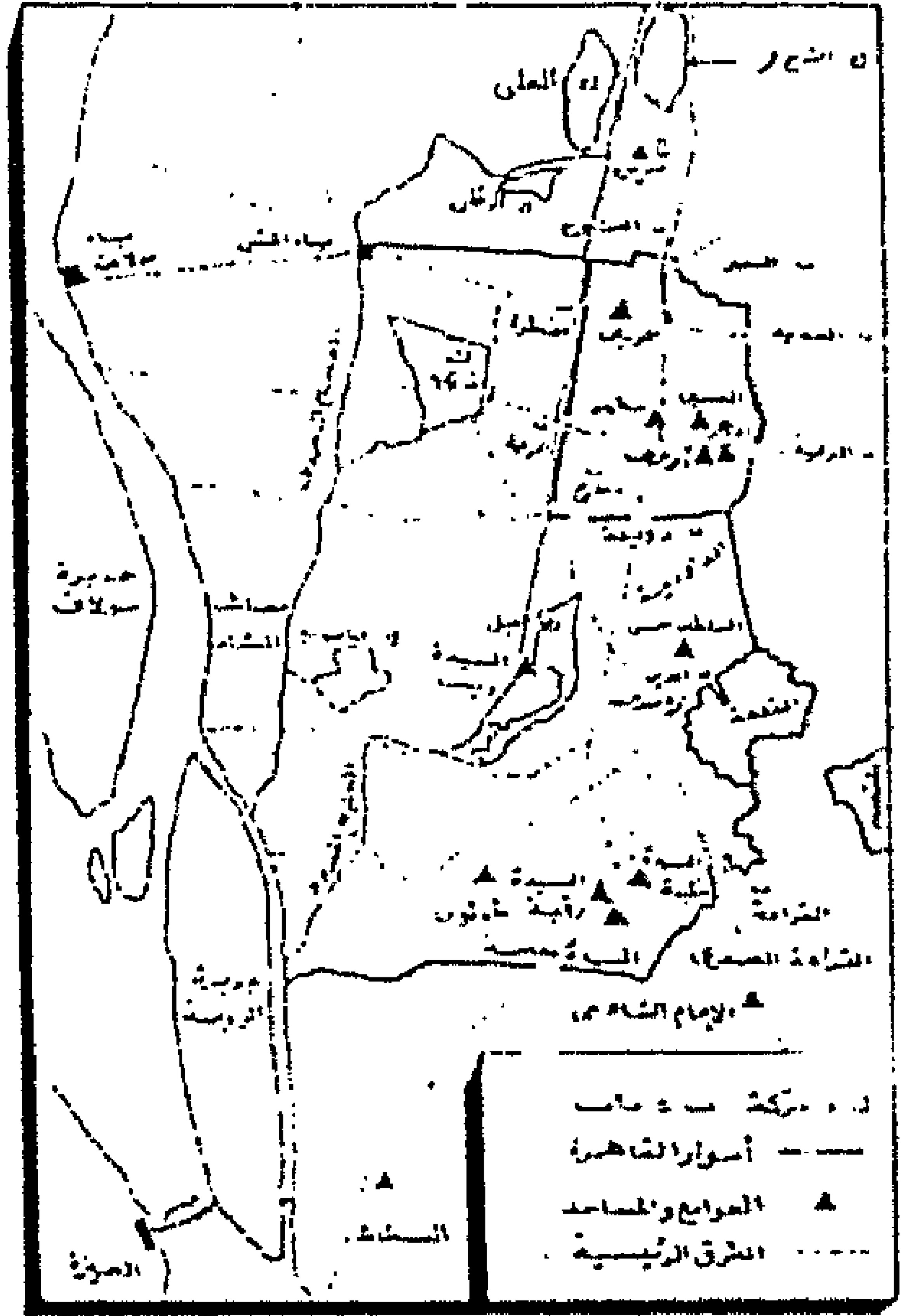
ومنها الاضطراب فى المعامله بالزياده والنقص والمناداه عليها كل قليل، والتنكيل والترك، وبلغ صرف البندقى ثمانمايه وثمانين نصفا فضه، والفرانسه أربعمايه نصف وعشره، والمحبوب أربعمايه وأربعين وهو المصرى، وأما الإسلامبولى فيزيد أربعين، والمجر ثمانمايه نصف، وأما هذه الأنصاف وهى الفضه العدديه فهى أسما من غير مسميات لمنعها واحتكارها، فلا يوجد منها فى المعامله بأيدى الناس إلا النادر جدا، ولايوجد بالأيدى فى محقرات الأشيا وغيرها إلا المجزأ بالخمسه والعشره والعشرين، وتصرف من اليهود والصيارف بالفرط والنقص، ومن حصل بيده شى من الأنصاف عض عليه بالنواجذ،

بإخراج شى منها عند شده الاضطرار اللازم.

ومنها أن السيد محمد المحروقى أنشأ ببركة الرطلى دارا وبستانا فى محل الأماكن التى تخربت فى الحوادث، وذلك أنه لما طرقت الفرنساويه الديار المصريه واختل النظام وجلا أكثر الناس عن أوطانهم وخصوصا سكان الأطراف فبقيت دور البركه خاليه من السكان، وكان بها عده من الديار الجليله منها دار حسن كتخدا الشعراوى وتابعه عمر جاويش وداره على سمته أيضا، ودار على كتخدا الخربطلى، ودار قاضى البهار، ودار سليمان أغا، ودار الحموى وخلاف ذلك دور كانت جاريه فى وقف عثمان كتخدا القازدغلى وغيره، وهذه الدور هى التى أدركناها بل وسكنا بها عدة سنين، وكانت فى الزمن الأول عدة دور مختصره يسكنها أهل الرفاهيه من أهالى البلد، وكان بها بيت البكريه القديم بالناحيه الجنوبيه تجاه زاوية جدهم الشيخ جلال الدين البكرى، وكان الناس يرغبون فى سكناها لطيب هواها وانكشاف الريح البحرى بها، وليس فى تجاهها من البر الآخر سوى الأشجار والمزارع، ويعبر بها المراكب والسفاين والقنج فى أيام النيل بالمتفرجين والمتنزهين وأهل الخلاعه بمزامرهم ومغانيهم، ولصدى أصواتهم المطرب طرب آخر، فلما انقشع عنها السكان تداعيت الدور إلى الخراب وبقيت مسكنا للبوم والغراب مدة إقامة الفرنساويه.

*محمد المحروقى ينشا داراً وبستانا فى بركة الرطلى وكان هذا بداية تعمير هذه المنطقة وسكنى اصحاب الجاه والسلطان بها.

فلما حضر يوسف باشا الوزير فى المره الأولى وذلك



سنة أربع عشره ومايتين وألف وانتقض الصلح بينه وبين الفرنساويه، وحصلت المقاقمه ووقعت الحروب داخل البلده، واحتاطت الفرنساويه بجهات البلد، وجرى ما تقدم ذكره فى الحوادث السابقه.

وكان طايفه من الفرنساويه أتوا إلى ناحية هذه البركه ومسكوا التل المعروف بتل أبى الريش، وأخذوا يرمون بالمدافع والقنابر على أهل باب الشعريه وتلك النواحى، فما انجلت الحروب حتى خربت بيوت البركه وما كان بتلك النواحى من الدور التى بظاهرها، وبقيت كيمانا، فحسن ببال السيد المذكور أن يجعل له سكنا هناك فاحتكر أراضى تلك المساكن مِنْ أربابها من مده سابقه، ثم تكاسل عن ذلك واشتغل بتوسعة دار سكنه التى بخطة الفحامين محل دكة الحسبه القديمه، حتى أتمها على الوضع الذى قصده.

ثم شرع فى السنه الماضيه فى إنشا سكن لخصوص نزاهته. فشرع فى تنظيف الأتربه وإصلاح الأرض، وأنشأ دارا متسعه وقيعانا وفسحات، وهى مفروشه بالرخام، وحولها بستان، وغرس به أنواع الأشجار ودوالى الكروم، وهى بمكان حسن كتخدا وما كان على سمته من الدور نحو التلاتين، وأنشأ كاتبه السيد عمر الحسينى دارا عظيمه لخصوصه أخذ فيها باقى أراضى الأماكن وزخرفها وانتقل إليها بأهله وعياله، وجعلها دارا لسكناه صيفا وشتا، وبنيا خارج ظاهرها حايطا ليكون لدورهما سورا، وعملا بها بوابه تفتح وتقفل،

وكان بجوار ذلك جامع متخرب يسمى جامع الحريشى، فعمره أيضا السيد محمد المحروقى وأقام حوايطه وأعمدته وسقفه وبيضه وأقام به الخطبه آخر جمعه فى شهر المحرم.

[ذكر من مات فى هذه السنه]

***وأما من مات فى هذه السنه ممن له ذكر.**

***٧٠٣ / محمد الشنوانى شيخ الأزهر.**

فمات شيخ الإسلام وعمدة الأنام الفقيه العلامه والنحرير الفهامه الشيخ محمد الشنوانى نسبه إلى شنوان الغرق* الشافعى الأزهرى شيخ الجامع الأزهر، من أهل الطبقه الثانيه الفقيه النحوى المعقولى، حضر الأشياخ أجلهم الشيخ فارس والصعيدى والدردير والفرماوى، وتفقه على الشيخ عيسى البراوى، ولازم دروسه وبه تخرج، واقرا الدروس وأفاد الطلبه بالجامع المعروف بالفاكهانى بالقرب من دار سكناه بخشقدم، مهذب النفس مع التواضع والانكسار والبشاشه لكل أحد من الناس، ويشمر ثيابه ويخدم بنفسه ويكنس الجامع ويسرج القناديل.

*** شنوان الغرق: مركز شبين الكوم.**

ولما توفى الشيخ عبد الله الشرقاوى* اختاروه للمشيخه فامتنع وهرب إلى مصر العتيقه بعدما جرى ما تقدم ذكره من تصدر الشيخ محمد المهدى، فأحضروه قهرا عنه وتلبس بالمشيخه مع ملازمته لجامع

*** توفى الشيخ الشرقاوى فى ٢ شوال عام ١٢٢٧هـ.**

١

الفاكهانى كعادته، أقبلت عليه الدنيا فلم يتهنا بها واعترته الأمراض وتعلل بالزحير أشهرا، ثم عوفى، ثم بآخره بالبروده وانقطع بالدرا كذلك أشهرا، ولم يزل منقطعا حتى توفى يوم الأربع رابع عشرين المحرم، وصلى عليه بالأزهر فى مشهد عظيم، ودفن بتربة المجاورين.

وله تآليف منها حاشيه جليله على شرح الشيخ عبد السلام على الجوهره مشهوره بأيدى الطلبه، وكان يجيد حفظ القرآن، ويقرا مع فقها الجوقه فى الليالى.

وتقلد المشيخه بعده الشيخ العلامه السيد محمد ابن شيخنا الشيخ أحمد العروسى من غير منازع وبإجماع أهل الوقت، ولبس الخلع من بيوت الأعيان مثل البكرى والسادات وباقى أصحاب المظاهر ومن يحب التظاهر.

*٧٠٤ / محمد الدواخلى (شافعى)

*ومات العمده الشيخ محمد بن أحمد بن محمد المعروف هو بالدواخلى الشافعى، ويقال له السيد محمد لأن أباه تزوج بفاطمه بنت السيد عبد الوهاب البردينى، فولد له المترجم منها، ومنها جاه الشرف، وهم من محله الداخل بالغربيه، وولد المترجم بمصر وتربى فى حجر أبيه، وحفظ القرآن واجتهد فى طلب العلم وحضر الأشياخ من أهل وقته، كالشيخ محمد عرفه الدسوقى، والشيخ مصطفى الصاوى وخلافه من أشياخ هذا العصر، ولازم الشيخ عبد الله الشرقاوى فى فقه مذهبه وغيره من المعقولات ملازمه كليه،

وانتسب له وصار من أخص تلامذته.

ولما مات السيد مصطفى الدمنهورى الذى كان بمنزلة كتخداه قام مقامه، واشتهر به وأقرا الدروس الفقيهه والمعقوليه، وحف به الطلبه وتداخل فى قضايا الدعاوى والمصالح بين الناس.

واشتهر ذكره وخصوصا أيام الفرنساويه حين تقلد شيخه رياسه ديوانهم، وانتفع فى أيامهم انتفاعا عظيما من تصديه لقضايا نسا الأمرا المصريه وغيرهم، ومات والده فأحرز ميراثه، وكذلك لما قتل عديله الحاج مصطفى البشتيلى فى الحرابه ببولاق لاعن وارث فاستولى على تعلقاته وأطيانه وبستانه التى ببشتيل، واتسع حاله واشترى العبيد والجوارى والخدم.

ولما ارتحل الفرنساويه ودخلها العثمانيون انطوى إلى السيد أحمد المحروقى لأنه كان يراسله سرا بالأخبار حين خرج مع العثمانيين فى الكسره إلى الشام، فلما رجع فراعاه وراشاه ونوه بذكر عند أهل الدوله.

وفى أيام الأمرا المصريين حين رجعوا إلى مصر بعد قتل طاهر باشا فى سنه ثمان عشره، واحتوى على رزق وأطيان وحصص التزام، ولبس الفراوى بالأقبيه وركب البغال وأحدق به الأشياخ والأتباع، وعنده ميل عظيم للتقدم والرياسه ولايقبع بالكثير.

ولما وقع ماوقع فى ولايه محمد على باشا وانفرد السيد عمر أفندى [مكرم] فى الرياسه وصار بيده مقاليد الأمور ازداد به الحسد، فكان هو من أكبر الساعين عليه سرا مع المهدى وباقى الأشياخ حتى أوقعوا به، وأخرجه الباشا من مصر كما تقدم، فعند ذلك صفا لهم الوقت، وتقلد المترجم النقابه بعد موت الشيخ محمد بن وفا، وركب الخيول ولبس التاج الكبير ومشت أمامه الجاويشيه والمقدمون وارباب الخدم وازدحم بيته بأرباب الدعاوى والشكاوى، وعمر دار سكنهم القديمه بكفر الطماعين وادخل فيها دورا وأنشا تجاهها مسجداً لطيفا وجعل فيه منبرا وخطبه، وعمر دارا ببركه جناق وأسكنها إحدى زوجاته.

وداخله الغرور، وظن أن الوقت قد صفا له فبأول ما ابتداه به الدهر من نكباته أن مات ولده أحمد وكان قد ناهز البلوغ ولم يكن له من الأولاد الذكور غيره، فوجد عليه وجدا شديدا حتى كان يتكلم بكلام نقمه الناس عليه، وعمل له ميتما ودفنه بمسجده تجاه بيته، وعمل عليه مقاما ومقصوره مثل المقامات التى تقصد للزياره، وكان موته فى منتصف سنه تسع وعشرين.

ووقعت حادثه قومه العسكر على الباشا فى أواخر شهر شعبان من السنه المذكوره والمترجم إذ ذاك من أعيان الروس يطلع وينزل فى كل ليله إلى القلعه ويشار إليه ويحل ويعقد فى قضايا الناس، ويسترسل معه الباشا كما تقدم ذكر ذلك، وداخله الغرور الزايد،

ولقد تطاول على كبار الكتبه الأقباط وغيرهم، ويراجع الباشا فى مطالبه بعد انقضا الفتنه إلى أن ضاق صدر الباشا منه وأمر بإخراجه ونفيه إلى دسوق، وذلك فى سنه إحدى وتلاتين.

فاقام بها أشهرا ثم توجه بشفاعة السيد المحروقى إلى المحله الكبرى، فلم يزل بها متعلق الحواس منحرف المزاج متكدر الطبع، وكل قليل يراسل السيد المحروقى فى أن يشفع فيه عند الباشا وليأذن له فى الحج، فلم يؤذن له فى شى من ذلك، ولم يزل بالمحله حتى توفى فى منتصف شهر ربيع الأول من السنه ودفن هناك، وكان رحمه الله تعالى يميل إلى الرياسه طبعا، وفيه حدة مزاج وهى التى كانت سببا لموته بأجله رحمه الله تعالى وإيانا.

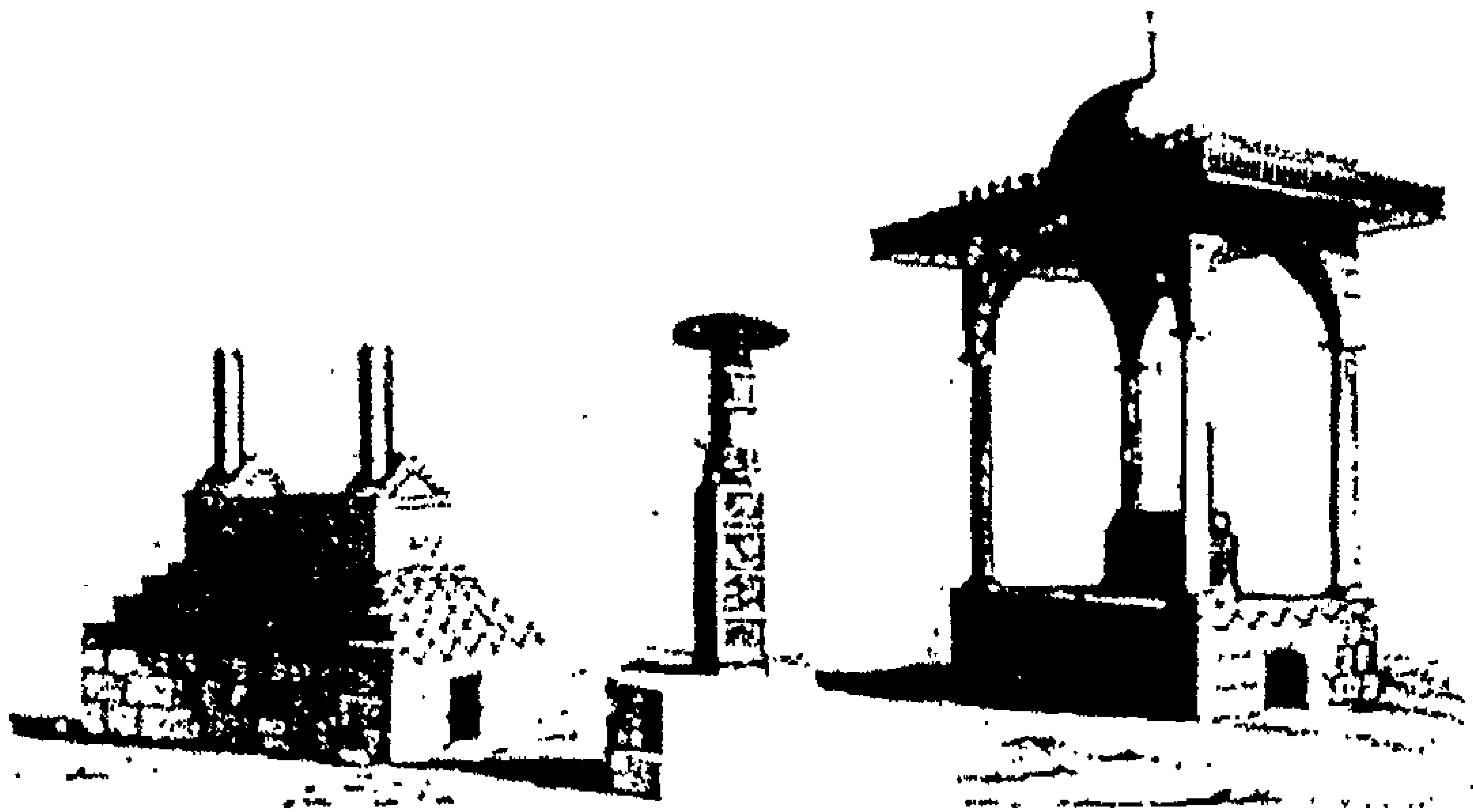
*٧٠٥ / طاهر باشا ابن أخت محمد على.

*ومات الصدر المعظم والدستور المكرم الوزير طاهر باشا، ويقال إنه ابن أخت محمد على باشا، وكان ناظرا على ديوان الكمرك ببولاق وعلى الخمامير ومصارفه من ذلك، وشرع فى عمارة داره التى بالأزبكيه بجوار بيت الشرايبى تجاه جامع أزبك على طرف الميرى، وهى فى الأصل بيت المدنى ومحمود حسن، واحترق منه جانب ثم هدم أكثرهما وخرج بالجدار إلى الرحبه وأخذ منها جانبا وأدخل فيه بيت المدنى رضوان كتخدا الذى يقال له تلاته وليه تسميه له باسم العمودين الرخام الملتفين على مكسلتى الباب الخارج، وشيد البناء بخرجات فى العلو متعدده،

وجعل بابه مثل باب القلعه ووضع فى جهتيه العامودين المذكورين وصارت الدار كأنها قلعه مشيده فى غايه من الفخامه، فما هو إلا أن قارب الإتمام وقد اعتراه المرض فسافر إلى اسكندريه بقصد تبديل الهوا، فأقام هناك أياما، وتوفى فى شهر جمادى الثانيه وأحضروا رمته فى أواخر الشهر ودفنوه بمدفنه الذى بناه محل بيت الزعفرانى بجوار السيده بقناطر السباع، وترك ابنا مراهقا فأبقاه الباشا على منصب أبيه ونظامه وداره.

٧٠٦ / أيوب كتخدا الفلاح، آخر الاعيان المبجلين من جماعة الفلاح.

*ومات الأمير أيوب كتخدا الفلاح، وهو مملوك الأمير مصطفى جاويش تابع صالح الفلاح، وكان آخر الأعيان المبجلين من جماعه الفلاح المشهورين وله عزوه وأتباع وبيته مفتوح للواردين، ويحب العلما والصلحا، ويتأدب معهم، وكان الباشا يجله ويقبل شفاعته وكذلك أكابر الدوله فى كل عصر، وعلى كل حال كان لابأس به، توفى يوم الأربع لعشرين من شهر شعبان وقد جاوز السبعين رحمه الله تعالى.



١٢٣٤هـ.
١٥٣٥ق.
١٨١٨م.

□ فى ١٨ محرم ١٨ نوفمبر دخول عبد الله بن سعود. شيخ الوهابية، مصر مأسوراً.
□ فى ١١ محرم ١١ نوفمبر انجلى عساكر الدول المتحالفة عن أرض الفرنساوية.
□ * ايناير ١٨١٩ =٢٤ كيهك ١٥٣٥ =الجمعة ٤ ربيع أول ١٢٣٤.
□ فى هذه السنة الافرنكية حصل هيجان فى مانشستر، وخلل فى ارلانده.
□ وفيها انتهت ضريبة حرب الروسيا.
□ والأقاليم المتحدة من اميركا استولت على جزائر فلوريدة التابعة لأسبانيا.
□ فى شوال /يوليو ارسل محمد على رسالة علمية بقصد استكشاف معدن الكبريت الذى كان محتاجا له لعمل البارود.
□ ١ اتوت ١٥٣٦ =١١ سبتمبر سنة ١٨١٩ =السبت ٢١ القعدة ١٢٣٤،


إبراهيم باشا

واستهلت سنه أربع وتلاتين ومايتين وألف [١٨١٨م]

واستهل المحرم بيوم السبت وسلطان الإسلام السلطان محمود شاه ابن عبد الحميد بدار سلطنته اسلامبول، ووالى مصر وحاكمها محمد على باشا القوللى وكتخداه وباقى أرباب المناصب على حالهم وماهم عليه فى العام الماضى.

وردت الأخبار من شرقى الحجاز والبشاير بنصرة خضرة

١٤٢٠

ابراهيم باشا على الوهابيه قبل استهلال السنه بأربعة أيام، فعند ذلك نودى بزينه المدينه سبعه أيام أولها الأربع سابع عشرين الحجه، ونصبت الصواوين خارج باب النصر عند الهمايل، وكذلك صيوان الباشا وباقى الأمرا والأعيان خرجوا بأسرهم لعمل الشنك والحرايق.

وأخرجوا من المدافع ماية مدفع وعشره وتماثيل وقلاعا وسواقى وسواريخ وصورا من بارود وبدوا فى عمل الشنك من يوم الأربع فيضربون بالمدافع مع رماحه الخياله من أول النهار مقدار ساعه زمانيه وربع قريبا من عشرين درجه ضربا متتابعا لايتخلله سكون على طريقة الإفرنج فى الحروب، بحيث إنهم يضربون المدفع الواحد اثنتى عشره مره وقيل أربع عشره مره فى دقيقه واحده فعلى هذا الحساب يزيد ضرب المدافع فى تلك المده على ثمانين ألف مدفع بحيث يتخيل الإنسان أصواتها مع أصوات بنادق الخياله المترامحين رعودا هايله، ورتبوا المدافع أربع صفوف ورسم الباشا أن الخياله ينقسمون كذلك طوابير ويكمنون فى الأعالى ثم ينزلون مترامحين وهم يضربون بالبنادق ويهجمون على المدافع فى حال اندفاعها بالرمى، فمن خطف شيا من أدوات الطبجيه الرماه يأتى به إلى الباشا ويعطيه البقشيش والإنعام، فمات بسبب ذلك أشخاص وسواس.

*احتفالات و مناورات عسكرية بمناسبة انتصارات إبراهيم باشا.

ويكون مبادى نهاية وقوف الخياله نهاية محط جلة المدفع، فإنهم عند طلوع الفجر يضربون مدافع معموره

الجبرتي/ سنة ١٢٣٤

بالجلل بعدد الطوابير، فتستعد الخياله ويقف كل طابور عند مرمى جلته ويأخذون أهبتهم من ذلك الوقت إلى بعد شروق الشمس، ويبتدون فى الرمى والرماحه الحصه المذكور، وبعد العشا الأخير يعمل كذلك الشنك برمى المدافع المتتاليه المختلطه أصواتها بدون الرماحه، ومع المدافع الحراقه والنفوط والسواريخ التى تصعد فى الهوا، وفيها من خشب الزان بدل القصب وكرنجه بارودها أعظم من تلك بحيث أنها تصعد من الأسفل إلى العلو مثل عامود النار، وأشياء أخرى لم يسبق نظايرها تفنن فى عملها الإفرنج وغيرهم.

وحول محل الحراقه حلقه دايره متسعه حولها ألوف من المشاعل الموقده، وطلبوا لعمل أكياس بارود المدافع مايتى ألف ذراع من القماش البز، وكان راتب الأرز الذى يطبخ فى القزانات ويفرق فى عراضى العساكر فى كل يوم أربعمايه أردب ومايتبعها من السمن، وهذا خلاف مطابخ الأعيان وما يأتيهم من بيوتهم من تعابى الأطعمه وغيرها.

واستمر هذا الضرب والشنك إلى يوم التلات رابع المحرم، وأهل البلد ملازمون للسهر والزينه على الحوانيت والدور ليلا ونهارا وتكرار المناداه عليهم فى كل يوم، وركب حضرة الباشا وتوجه إلى داره بالأزبكيه وهدمت الصواوين والخيام وبطل الرمى ودخلت العساكر والبينبات بمتاعهم وعازقهم أفواجا إلى المدينه وذهبوا إلى دورهم.

ورفع الناس الزينه وكان معظمها حيث مساكن الإفرنج والأرمن فإنهم تفننوا فى عمل التصاوير والتماثيل وأشكال السرج والفنيارات الزجاج والبلور وأشكال النجف، ومعظمها فى جهات المسلمين بخان الخليلى والغوريه والجماليه، وببعض الأماكن والخانات ملاهى وأغانى وسماعات وقيان وجنك رقاصات.

هذا والتهيؤ والأشغال والاستعداد لعمل الدونانمه [الزينه] على بحر النيل ببولاق فصنعوا صورة قلعه بأبراج وقباب وزوايا وأنصاف ودواير وخورنقات وطيقان للمدافع وطلوها وبيضوها ونقشوها بالألوان والأصباغ، وصورة باب مالطه، وكذلك صوره بستان على سفاين وفيه الطين ومغروس به الأشجار ومحيط به درابزين مصنع، وبه دوالى العنب وأشجار الموز والفاكهه والنخيل والرياحين فى قصارى لطيفه على حافاته، وصورة عربه يجرها أفراس بها تماثيل وصور جالسين وقايمين، وتمثال مجلس وبه جنك رقاصات من تماثيل مصوره تتحرك بآلات ابتكار بعض المبتكرين، لأن كل من تخيل بفكره شيا ملعوبا أو تصويرا ذهب إلى الترسخانه حيث الأخشاب والصناع فيعمله على طرف الميرى حتى يبرزه فى الخارج ويأخذ على ابتكاره البقشيش، وأكثرها لخصوص الحراقات والنفوط والبارود والسواريخ وغير ذلك.

وبعد انقضاء السبعه أيام المذكوره حصل السكون من يوم التلات المذكور إلى يوم الأحد التالى له من الجمعه

الأخرى مده خمسه أيام، فى أثناها اجتهد الناس من الأعيان وكل من له اسم من أكابر الناس وأهل الدايره [السنيه] والأفنديه الكتبه حتى الفقها أرباب المناصب والمظاهر ومشايخ الإفتا والنواب والمتفرجين فى نصب الخيام بحافتى النيل واستأجروا الأماكن المطله على البحر ولو من البعد، وتنافسوا واشتط أربابها فى الأجره حتى بلغ أجرة أحقر طبقه بمثل وكاله الفسيح إلى خمسمايه قرش وزياده، وكان الباشا أمر بإنشا قصر لخصوص جلوسه بالجزيره تجاه بولاق قبلى قصر ابنه اسماعيل باشا، وتمموا بياضه ونظامه فى هذه المده القليله.

فلما كان ليله الاثنين وهو يوم عاشورا خرج الباشا فى ليلته وعدى إلى القصر المذكور، وخرج أهل الدايره والأعيان إلى الأماكن التى استأجروها وكذلك العامه أفواجا.

وأصبح يوم الاثنين المذكور فضربت المدافع الكثيره التى صففوها بالبرين وزين أهالى بولاق أسواقهم وحوانيتهم وأبواب دورهم، ودقت الطبول والزمامير والنقرزانات فى السفاين وغيرها، وطلبخانه الباشا تضرب فى كل وقت والمدافع الكثيره فى ضحوة كل يوم وعصره وبعد العشا كذلك، وتوقد المشاعل وتعمل أصناف الحراقات والسواريخ والنفوط والشعل، وتتقابل القلاع المصنوعه على وجه الماء يرمون منها المدافع على هيئه المتحاربين وفيها فوانيس وقناديل

وهيئه باب مالطه بوابه مجسمه مقوصره لها بدنات، ويرى بداخلها سرج وشعل، ويخرج منها حراقات وسواريخ، وغالب هذه الأعمال من صناعة الإفرنج.

وأحضروا سفاين روميه صغيره تسمى الشلنبات يرمى منها مدافع وشنابر وشيطيات وغلايين مما يسير فى البحر المالح وفى جميعها وقدات وسرج وقناديل، وكلها مزينه بالبيارق الحرير والأشكال المختلفه الألوان، ودبوس أوغلى ببولاق التكرور وعنده أيضا الحراقات الكثيره والشعل والمدافع والسواريخ، وبالجيزه عباس بك ابن طوسون باشا، والنصارى الأرمن بمصر القديمه وبولاق، والإفرنج وأبرز الجميع زينتهم وتماثيلهم وحرايقهم وعند الأعيان حتى المشايخ فى القنج والسفاين المعده للسروح والتفرج والنزاهه والخروج عن الأوضاع الشرعيه والأدبيه، واستمروا على ما ذكر إلى يوم الاتنين سابع عشره.

*وصول عبد الله بن مسعود مأسوراً إلى القاهرة.

وفى ذلك اليوم وصل *عبد الله بن مسعود الوهابى ودخل من باب النصر وصحبته عبد الله بكتاش قبطان السويس وهو راكب على هجين، وبجانبه المذكور وأمامه طايفه من الدلاة فضربوا عند دخوله مدافع كثيره من القلعه وبولاق وخلافهما، وانقضى أمر الشنك وخلافه من ساحل النيل وبولاق ورفعوا الزينه، وركب الباشا إلى قصر شبرا فى تلك السفينه وانفض الجمع، وذهبوا إلى دورهم.

وكـان ذلك من أغـرب الأعـمـال التى لم يقع نظيـرها بأرض مـصـر ولا مـا يقـرب من ذلك، ومطبخ الميـرى يطبخ به الأرز على النسق المتـقـدم والأطعـمـه ويؤتى لأرباب المظاهر منها فى وجيتى الغدا والعشا خلاف المطابخ الخـاصـه بهم ومـا يأتيـهم من بيـوتهم، وأمـا العـامه والمتفرجون من الرجال والنسا فخرجوا أفواجا وكثر زحامهم فى جميع الطرق الموصله إلى بولاق ليلا ونهارا بأولادهم وأطفالهم ركبانا ومشاه.

وقد ذهب فى هاتين الملعبتين من الأموال ما لايدخل تحت الحصر، وأهل الاستحقاق يتلظون من القشل والتفليس مع ماهم فيه من غلا الأسعار فى كل شى وانعدام الأدهان وخصوصا السمن والشيرج والشحم، فلا يوجد من ذلك الشى اليسـير إلا بغاية المشقـه ويكون على حانوت الدهان الذى يحصل عنده بعض السـمن شده الزحـام والصـيـاح، ولايبـيع بأزيد من خمسة أنصاف وهى أوقيه اثنا عشر درهما بما فيها من الخلط، وأعـوان المحتسب مرصدون لمن يرد من الفلاحين والمسافرين بالسمن فيحجزونه لمطالب الدوله ومطابخهم ودورهم فى هذه الولايم والجمعيات، ويدفع لهم ثمنه على موجب التسعيره، ثم يوزع ما يوزعه وهو الشى القليل على المتسببين وهم يبيعونه على هذه الحاله، ومثل ذلك الشيـرج وخلافه حتى الجبن القريش.

وفيـه وصل عبد الله الوهابى فذهبوا به إلى بيت

إسماعيل باشا ابن الباشا فأقام يومه وذهبوا به فى صبحها عند الباشا *بشبرا فلما دخل عليه قام له وقابله بالبشاشه وأجلسه بجانبه وحادثه وقال له ما هذه المطاوله فقال الحرب سجال قال وكيف رأيت إبراهيم باشا قال ما قصر وبذل همته ونحن كذلك حتى كان ما كان قدره المولى، فقال أنا إن شاء الله تعالى أترجى فيك عند مولانا السلطان فقال المقدر يكون، ثم ألبسه خلعه وانصرف عنه إلى بيت إسماعيل باشا ببولاق.

*محمد على يقابل عبد الله بن مسعود ويخلع عليه.



ونزل الباشا فى ذلك اليوم السفينه وسافر إلى جهه دمياط وكان بصحبة الوهابى صندوق صغير من صفيح، فقال له الباشا ما هذا فقال هذا ما أخذه أبى من الحجره أصحبه معى إلى السلطان، وفتحه فوجد به ثلاثه مصاحف قرآنا مكلفه ونحو ثلثمايه حبه لؤلؤ كبار وحبه زمرد كبيره وبها شريط ذهب، فقال له الباشا الذى أخذه من الحجره أشيا كثيره غير هذا فقال هذا الذى وجدته عند أبى، فإنه لم يستأصل كل ما كان فى الحجره لنفسه، بل أخذ كذلك كبار العرب وأهل المدينه وأغوات الحرم وشريف مكه، فقال الباشا صحيح وجدنا عند الشريف أشيا من ذلك.

وفى يوم الأربع تاسع عشره *سافر عبد الله بن مسعود إلى جهة اسكندريه وصحبته جماعه من الططر إلى دار السلطنه ومعه خدم لزومه.

*توجيه عبد الله بن مسعود إلى دار السلطنة بحراً.

واستهل شهر صفر بيوم الاثنين [سنه ١٢٣٤]

فى تالتـه وصل طايفه من الحجاج المغـاربه يوم الأربع وصحبتـهم حجاج كثيـره من الصعـايده وأهل القرى، فدخلوا على حين غـفله، وكان الريس فيـهم شخص من كبـار عـرب أولاد على يسمى الجبـالى وهذا لم يتـفق نظيـره فيمـا وعـيناه، وسببه أمن الطريق وانكمـاش العربان وقطاع الطريق.

وفيـه أخبر المخبرون بأن البـاشا أقـام بدميـاط أيامـا قليله ثم توجـه إلى البرلس، ونزل فى نقـيره وذهب إلى اسكندريه على ظهر البحر المالح، وقد استـعد أهلها لقدومه وزينوا البلد، والذى تولى الاعتنا بذلك طايفـة الإفـرنج، فـإنهم نصبـوا طريقـا من باب البلد إلى القصر الذى هو سكن الباشا، وجعلوا بناحيـتيه يمنى ويسـرى أنـواع الزينه والتـمـاثيل والتـصـاوير والبلور والزجـاج المرايات .وغـيـر ذلك من البـدع البديعه الغريبه.

*وصول الحاج المصرى للقاهرة متاخرا.

وفى غايـته وصل *الحاج المصرى ودخلوا أرسالا شيا فـشيـا ومنهم من دخل ليـلا وخصـوصـا ليلة الاتنين وفى صبحه دخل حسن باشا أرنؤد الذى كان مقيمـا بجـده، وفى ذلك اليـوم دخل بواقى الحـجـاج إلى منازلهم.

واستهل شهر ربيع الأول بيوم التلات [سنه ١٢٣٤]

فى صبحه دخلوا بالمحمل المدينه، وأكثر الناس لم يشعر بدخوله، وهذا لم يتفق فيما نعلم تأخر الحاج إلى شهر ربيع الأول.

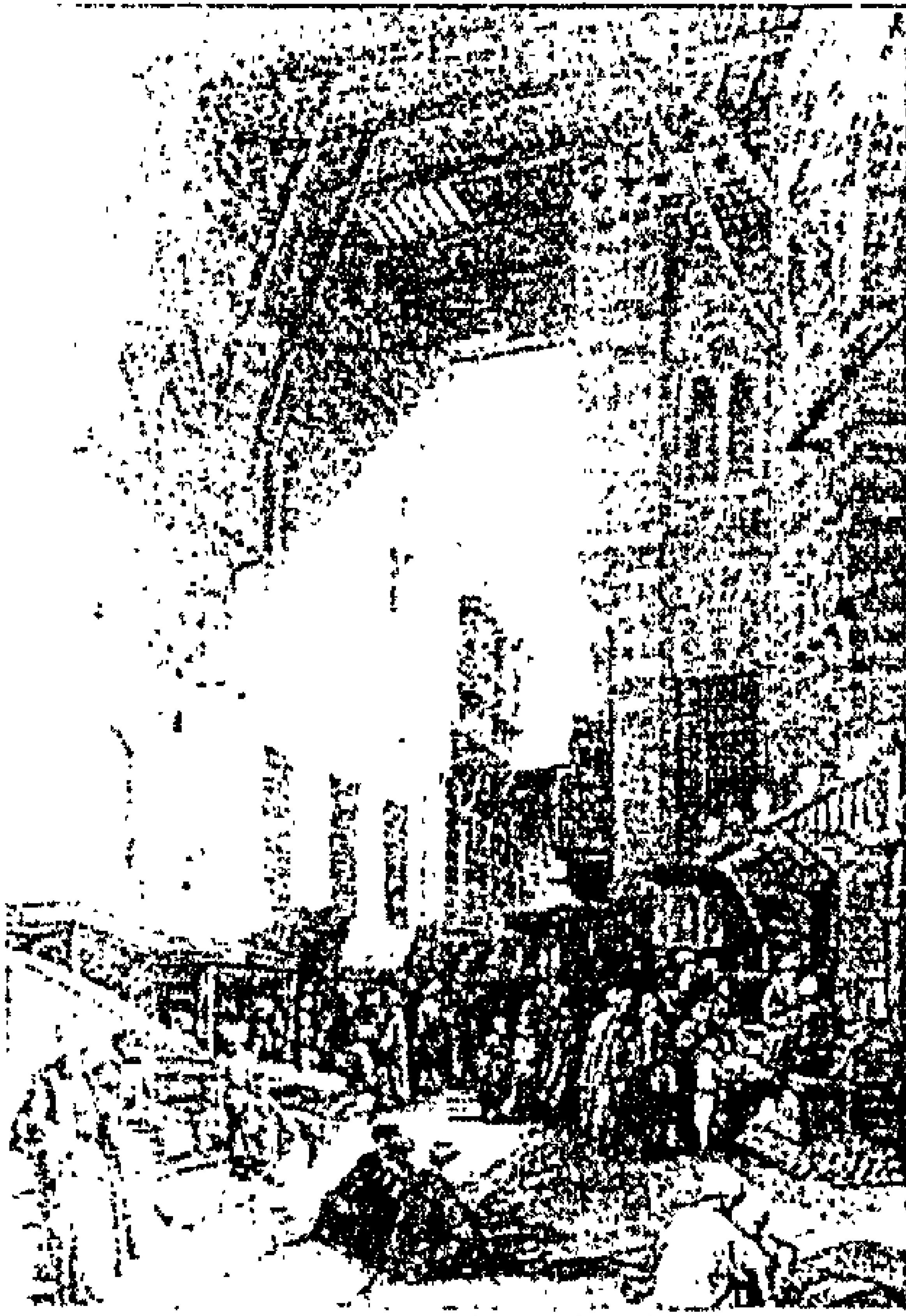
*حريق سوق الغوريه.

وفى ليلة التلات تامنه :احترق السرب* [السوق]، والجملون الكاين أسفل جامع الغوريه بما فيه من الحوانيت وبضايع التجار والأقمشه الهنديه وخلافها، فظهرت به النار من بعد العشا الأخيره، فحضر الوالى وأغات التبديل فوجدوا الباب الذى من جهة الغوريه مغلوقا من داخل، وكذلك الباب الذى من الجهه الأخرى، وهما فى غايه المتانه، فلم يزالوا يعالجون فتح الباب بالعتالات والكسر إلى بعد نصف الليل، والنار عماله من داخل، وهرب الخفير، واحترق ليوان الجامع البرانى والدهليز.

*القصارين اى عمال الصباغة.

وأخذوا فى الهدم وصب المياه بآلات القصارين *مع صعوبة العمل بسبب علو الحيطان الشاهقه والأخشاب العظيمه والأحجار الهايله والعقود، فلم يخمد لهب النار إلا بعد حصه من النهار.

وسرحت النار فى أخشاب الجامع التى بداخل البنا، ولم يزل الدخان صاعدا منها، وسقطت الشبابيك النحاس العظام، وبقيت مفتته ومكلسه، واستمر العلاج فى إطفا الدخان تلاتة أيام، ولولا لطف المولى،


سوق الغورية

وتأخير فتح الباب لكونه مصفحا بالحديد فلم تعمل فيه النار، فلو لم يكن كذلك لاحترق وسرحت النار إلى الحوانيت الملاصقه به، وهى كلها أخشاب ويعلوها سقايف أخشاب كذلك، ومن فوق الجميع السقيفه العظيمه المتده على السوق من أوله إلى آخره، وهى فى غايه العلو والارتفاع، وكلها أخشاب وحجنه وسهوم وبراطيم من أعلى ومن أسفل لحملها من الجهتين، ومن ناحيتها الرباع والوكايل والدور وحيطان الجميع من الحجنه والأخشاب العتيقه التى تشتعل بأدنى حراره، فلو وصلت النار- والعياذ بالله تعالى- إلى هذه السقيفه لما أمكن إطفاها بوجه وكان حريقاء دوميا ولكن الله سلم.

*وصول السيد عمر مكرم للقاهرة بعد عفو محمد على باشا عنه.

وفى يوم السبت تانى عشره :حضر *السيد عمر أفندى [البكرى] نقيب الأشراف سابقا .وذلك أنه لما حصلت النصرة والمسره للباشا، فكتب إليه مكتوبا بالتهنيه، وأرسله مع حفيده السيد صالح إلى اسكندريه، فتلقاه بالبشاشه، وطفق يسأله عن جده فيقول له بخير ويدعولكم، فقال له هل فى نفسه شى أو حاجه نقضيها له، فقال لايطلب غير طول البقاء لحضرتكم.

ثم انصرف إلى المكان الذى نزل به، فأرسل إليه فى تانى يوم عثمان السلانكلى ليسأله ويستفسر عما عسر أن يستحى من مشافهه الباشا بذكره، فلم يزل يلاطفه حتى قال :لم يكن فى نفسه إلا الحج إلى بيت الله إن أذن له أفندينا بذلك، فلما عاد بالجواب أنعم

عليه بذلك، وأذن له بالذهاب إلى مصر، وأن يقيم بداره إلى أوان الحج إن شاء برا، وإن شاء بحرا، وقال أنا لا أتركه فى الغربه هذه المده إلا خوفا من الفتنه، والآن لم يبق شى من ذلك، فإنه أبى وبينى وبينه ما لاأنساه من المحبه والمعروف .وكتب له جوابا* بالأجابه، وصورته بحروفه:

*خطاب محمد على باشا إلى عمر مكرم بالعفو عنه.

مظهر الشمايل سنيها، حميد الشئون وسميها، سلاله بيت المجد الأكرم، والدنا السيد عمر مكرم، دام شانه. أما بعد :فقد ورد الكتاب اللطيف من الجناب الشريف، تهنيه بما أنعم الله علينا وفرحا بمواهب تأييده لدينا، فكان ذلك مزيدا فى السرور، ومستديما لحمد الشكور، ومجلبه لثناكم، وإعلانا بنيل مناكم، جزيتم حسن الثنا، مع كمال الوقار ونيل المنى.

هذا وقد بلغنا نجلكم عن طلبكم الإذن فى الحج إلى البيت الحرام، وزيارة روضته عليه الصلاه والسلام، للرغبه فى ذلك، والترجى لما هنالك، وقد أذناكم فى هذا المرام تقربا لذى الجلال والاكرام، ورجا لدعواتكم بتلك المشاعر العظام، فلا تدعوا الابتهال ولا الدعا لنا بالقال والحال كما هو الظن فى الطاهرين، والمأمول من الأصفيا المقبولين، والواصل لكم جواب منا خطابا إلى كتخداينا، ولكم الإجلال والاحترام، مع جزيل الثنا والسلام.

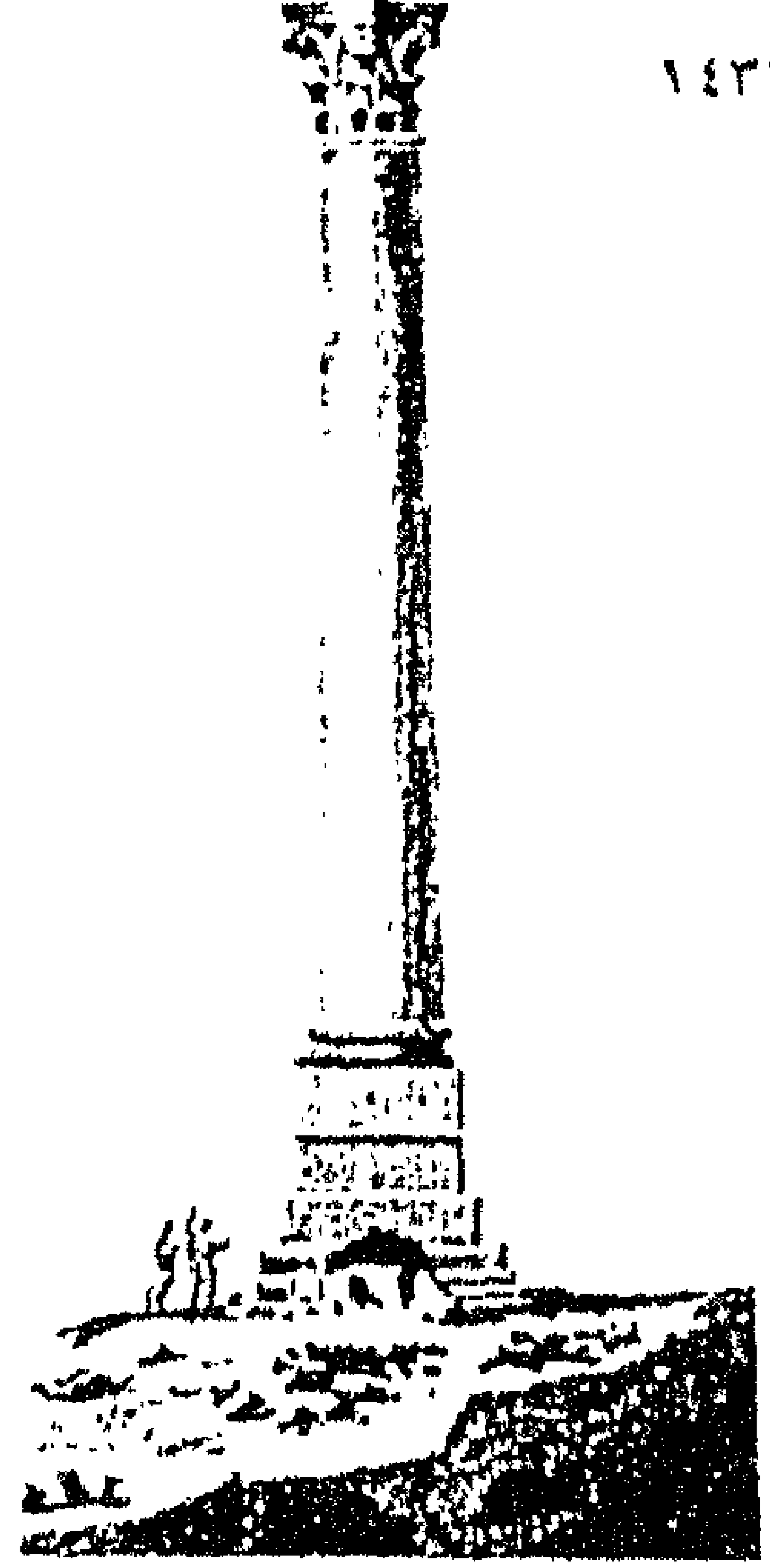
وأرسل إليه المكتوبين صحبه حفيده السيد صالح، وأرسل إلى كتخدا بك كتابا وصل إليه قبل قدومه،

فأرسل الكتخدا ترجمانه إلى منزله ليبشرهم بذلك، وأشيع خبر مقدمه، فكان الناس بين مصدق ومكذب، حتى وصل فى اليوم المذكور إلى بولاق، فركب من هناك، وتوجه إلى زيارة الإمام الشافعى وطلع إلى القلعه، وقابل الكتخدا وسلم عليه، وهنته الشعرا بقصايدهم وأعطاهم الجوايز، واستمر ازدحام الناس أياما، ثم امتنع عن الجلوس فى المجلس العام نهارا، واعتكف بحجرته الخاصه، فلا يجتمع به إلا بعض من يريده من الأفراد، فانكف الكثير عن الترداد، وذلك من حسن الرأى.

واستهل شهر ربيع التانى بيوم السبت [سنه ١٢٣٤]

فيه حصل الاهتمام *بحفر الترعه المعروفه بالأشرفيه الموصله إلى اسكندريه، وقد تقدم فى العام الماضى بل والذى قبله اهتمام الباشا، ونزل إليها المهندسون، ووزنوا أرضها، وقاسوا طولها وعرضها وعمقها المطلوب، ثم أهمل أمرها لقرب مجى النيل، وتركوا الشغل فى مبديها، ولم يترك الشغل فى منتهاها عند اسكندريه بالقرب من عامود السوارى، فحفروا هناك منبتها، وهى بركه متسعه، وحوطوها بالبنا المحكم المتين، وهى مرسى المراكب التى تعبر منها إلى اسكندريه بدلا عن البوغاز، وهو ملتقى البحرين، وما يقع فيه من التلف للمراكب فتكون هذه أسلم وأقرب وأقل كلفه إن صحت، بل وأقرب مسافه.

*تشهيل العمل فى ترعة الأشرفية (المحمودية).


عمود السوارى

ونزل الأمر لكشاف الأقاليم بجمع الفلاحين والرجال على حساب مزارع الفدادين، فيحصون رجال القريه المزارعين، ويدفعون للشخص الواحد عشره ريال، ويخصم له مثلها من المال، وإذا كان له شريك وأحب المقام لأجل الزرع الصيفى أعطاه حصته وزاده عليها حتى يرضى خاطره، وزوده بما يحتاج إليه أيضا، وعند العمل يدفع لكل شخص قرشا فى كل يوم.

ويخرج أهل القريه أفواجا ومعهم أنفار من مشايخ البلاد، ويجتمعون فى المكان المأمورين باجتماعهم فيه، ثم يسيرون مع الكاشف الذى بالناحيه ومعهم طبول وزمور وبيارق ونجارون وبناءون وحدادون، وفرضوا على البلاد التى فيها النخيل غلقانا ومقاطف وعراجين وسلبا، وعلى البنادر فوس ومساحى شى كثير بالثمن، وطلبوا أيضا طايفة الغواصين لأنهم كانوا إذا اشتغلوا فى قطع الأرض فى بعض المواضع منها ينبع الماء قبل الوصول إلى الحد المطلوب.

وفى يوم الخميس عشرينه :ورد مرسوم من الباشا بعزل كتخدا بك عن منصب الكتخدايه، وتوليه محمود بك فيها عوضا عنه، وحضر محمود بك فى ذلك اليوم قادما من اسكندريه، وطلع إلى القلعه وحضر أيضا حسن باشا وكان قد ذهب إلى اسكندريه ليسلم على الباشا لكونه كان بالديار الحجازيه المده المديده، وحضر إلى مصر والباشا باسكندريه فتوجه إليه وأقام معه أياما وعاد إلى مصر صحبة محمود بك، وحضر أيضا

إبراهيم أفندى من إسلامبول وهو ديوان أفندى الباشا، فتقلد فى نظر الأطيان والرزق والالتزام عوضا عن محمود بك.

واستهل شهر جمادى الأولى [سنه ١٢٣٤]

وفى سابعه يوم الخميس ضربت مدافع كثيره وقت الشروق بسبب ورود نجابه من الديار الحجازيه باستيلا *خليل باشا على يمن الحجاز صلحا.

*استيلاء خليل باشا على يمن الحجاز صلحاً.

وفيه وصلت الأخبار أيضا عن عبد الله بن مسعود* أنه لما وصل إلى إسلامبول طافوا به البلده وقتلوه عند باب همايون وقتلوا أتباعه أيضا فى نواحى متفرقه فذهبوا مع الشهدا.

*قتل عبد الله بن مسعود واتباعه فى إسلامبول.

وفيه أشيع وصول قابجى كبير من طرف الدوله يقال له قهوجى باشا إلى اسكندريه، وورد الامر بالاستعداد لحضوره مع الباشا، فطلعوا بالمطابخ إلى ناحية شبرا وطلبت الخيول من الربيع واستمر خروج العساكر ودخولهم وكذلك طبخ الأطعمه، وفى كل يوم يشيعون الورود فلم يأت أحد، ثم ذكروا أن ذلك القابجى حين قرب من اسكندريه رده الريح إلى رودس، واستمر هذا الريح إلى آخر الشهر.

وفيه قوى الاهتمام بأمر حفر الترعه [المحموديه]

المتقدم ذكرها وسيقت الرجال والفلاحون من الآقاليم البحريه، وجدوا فى العمل بعدما حددوا لكل أهل إقليم أقصابا توزع على أهل كل بلد من الإقليم، فمن أتم عمله المحدود انتقل إلى مساعدة الآخرين، وظهر فى حفر بعض الأماكن منها صوره *أماكن ومساكن وقيعان وحمام بعقوده وأحواضه ومغاطسه، ووجد ظروف بداخلها فلوس نحاس كفريه قديمه، وأخرى لم تفتح لايعلم ما فيها رفعوها للباشا مع تلك .

*الكشف عن آثار قديمة عند حفر ترعة الأشرفية.

وفى يوم الأربع سابع عشرينه حضر الباشا إلى شبرا ووصل فى إثره قهوجى باشا وعملوا له موكبا فى صبيحه يوم الخميس وطلعوا إلى القلعه ومع الأغا المذكور ما أحضره برسم الباشا وولده إبراهيم باشا الذى بالحجاز وهو خلعتا سمور لكل واحد خلعه وخنجر مجوهر لكل واحد، وشلنجان مجوهران وساعه جوهر وغير ذلك، وقرى الفرمان بحضرة الجمع وفيه الثنا الكثير على الباشا والعفو عمن بقى من الوهابيه، وبعد القراءه ضربت مدافع كثيره وكذلك عند ورودهم واستمر ضرب المدافع ثلاثة أيام فى جميع الأوقات الخمس، ونزل القابجى المذكور ببيت طاهر باشا بالأزبكيه، وحضر أيضا عقبه أطواخ لكل من عباس بك ابن طوسون باشا ابن الباشا ولأحمد بك ابن طاهر باشا ، وفى ضمن الفرمان الإذن للباشا بتوليه إمريات وقبجيات لمن يختار.

وفى صبحها يوم الجمعه خلع الباشا على أربعه أو

خمسه من أمراه بقبجيات باشا وهم على بك السلانكلى قابجى باشا وحسن أغا أزرجانلى كذلك وخليل أفندى حاكم رشيد وشريف بك .

واستهل شهر جمادى الثانيه [سنه ١٢٣٤]

فيه حضر محمد بك الدفتردار من الجهه القبليه فأقام أياما وعاد إلى قبلى.

وفى أواخره رجع الكثير من فلاحى الأقاليم إلى بلادهم من ترعة الأشرفيه وهم الذين أتموا مالزمهم من العمل والحفر، ومات الكثير من الفلاحين من البرد ومقاساة التعب.

*موت العديد من الفلاحين فى حفر قناة الاشرفية.

وفى هذا الشهر حصل بعض موت بالطاعون، فداخل الناس وهم بسبب ماحدث فى أكابر الدوله والنصارى من التحجب وعمل الكورنتيلات، وهى التباعد من الملامسه وتبخير الأوراق والمجالس ونحو ذلك.

*ظهور بعض حالات طاعون.

واستهل شهر رجب بيوم الاثنين [سنه ١٢٣٤]

فى خامسه مات عبود النصرانى *كاتب الخزينه، وكان مشكور السيره فى صناعته، وعنده مشاركه ودعوى عريضه ودعوى علم، ويتكلم بالمناسبات والآيات

*وفاة عبود النصرانى كاتب الخزينة.

القرآنيه، ويضمن إنشا ءاته ومراسلاته آيات وأمثالا وسجعات.

وأخذ دار القيسرلى بدرب الجنينه وما حولها وأنشأها دارا عظيمه وزخرفها وجعل بها بستانا ومجالس مفروشه بالرخام الملون وفساقى وشاذروانات وزجاج بلور، وكل ذلك على طرف الميرى، وله مرتب واسع وكان الباشا يحبه ويثق به ويقول لولا الملامه لقلدته الدفترداريه.

*لجوء حاكم يافا محمد بك ابو نبوت إلى مصر.

وفى سابعه حضر إلى مصر حاكم يافا المعروف بمحمد بك أبو نبوت معزولا عن ولايته، فأرسل إلى الباشا يستأذنه فى الحضور إلى مصر فأطلق له الإذن فحضر فأنزله بقصر العينى وصحبته نحو الخمسماية مملوك وأجناد وأتباع، واجتمع بالباشاوأجله وسلم عليه وأقام معه حصه من الليل ورتب له مرتبا عظيما وعين له ما يقوم بكفايته وكفاية أتباعه، فمن جمله مارتب تلاته آلاف تذكره كل تذكره بألفين وستمايه نصف فضه فى كل شهر، وذلك خلاف المعين واللوازم من السمن والخبز والسكر والعسل والحطب والأرز والفحم والشمع والصابون، فمن الأرز خاصه فى كل يوم أردبان وللعليق خمسه وعشرون أردبا فى كل يوم.

وفى يوم السبت تالت عشره سافر قهوجى باشا عايدا إلى إسلامبول واحتفل به الباشا احتفالا زايدا وقدم له ولمخدومه وأرباب الدوله من الأموال والهدايا

والخيول والبن والأرز والسكر والشربات وتعابى الأقمشه الهنديه وغيرها شيا كثيرا، وكذلك قدم له أكابر الدوله هدايا كثيره، ولأنه لما حضر إلى مصر قدم لهم هدايا فقابلوه بأضعافها، وعندما سافر احتجب الباشا وأمر كل من كان يلازم ديوانه بالانصراف والتحجب فتكرتن منهم من تكرتن فى داره ومنهم فى القصور، وسافر مع قهوجى باشا سليمان أغا السلحدار وشربتشى باشا وآخرون لتشييعه إلى اسكندريه.

*إكرام بواقى ابن مسعود فى مصر.

وفى يوم الخميس ثامن عشره حضر بواقى الوهابيه بحريمهم وأولادهم وهم نحو الأربعمايه نسمه، وأسكنوا بالقشله التى بالأزبكيه، وابن عبد الله بن مسعود بدار عند جامع مكه هو وخواصه من غير حرج عليهم، وطفقوا يذهبون ويجيئون ويترددون على المشايخ وغيرهم ويمشون فى الأسواق ويشترون البضايع والاحتياجات.

واستهل شهر شعبان [سنه ١٢٣٤]

*وصول ابن حمود امير يمن الحجاز ماسوراً للقاهرة.

وفيه وصل جماعه هجانه من جهة الحجاز صحبتهم ابن حمود أمير يمن الحجاز، وذلك أنه لما مات أبوه تأمر عوضه وأظهر الطاعه وعدم المخالفه للدوله، فلما توجه خليل باشا إلى اليمن أخلى له البلاد واعتزل فى حصن له، ولم يخرج لدفعه ومحاربته كما فعل أبوه، وترددت بينهما المراسلات والمخادعات حتى نزل من

حصنه وحضر عند الخليل باشا فقبض عليه وأرسله مع الهجانه إلى مصر.

وفيه صرفوا الفلاحين عن العمل فى الترعه لأجل حصاد الزرع ووجهوا عليهم طلب المال.

واستهل شهر رمضان [سنه ١٢٣٤]

والباشا مكرتن بشبرا ولم يطلع القلعه كعادته فى شهر رمضان.

وفى تامن عشرينه طلع إلى القلعه وعيد بها.

واستهل شهر شوال بيوم الجمعه [سنه ١٢٣٤]

*وفاة النيل.

فى رابع عشرد الموافق لآخر يوم من شهر أبيب نودى بوفا النيل، وكان الباشا سافر إلى جهة اسكندريه بسبب ترعه الأشرفيه، وأمر حكام الجهات بالأرياف بجمع الفلاحين للعمل فأخذوا فى جمعهم، فكانوا يربطونهم قطارات بالحبال وينزلون بهم المراكب، وتعطلوا عن زرع الدراوى [الذره] الذى هو قوتهم وقاسوا شده بعد رجوعهم من المره الأولى بعد ما قاسوه.

ومات الكثير منهم من البرد والتعب، وكل من سقط

أهالوا عليه من تراب الحفر ولو فيه الروح*، ولما رجعوا إلى بلادهم للحصيده [الحصاد] طولبوا بالمال وزيد عليهم عن كل فدان حمل بعير من التبن وكيلة قمح وكيلة فول، وأخذ ما يبيعونه من الغله بالثمن الدون، والكيل الوافر، فما هم إلا والطلب إلى الشغل فى الترعه ونزح المياه التى لاينقطع نبعها من الأرض وهى فى غايه الملوحه، والمره الأولى كانت فى شدة البرد، وهذه المره فى شدة الحر وقلة المياه العذبه فينقلونها بالروايا على الجمال مع بعد المسافه وتأخر ري اسكندريه.

*دفن العمال احياء تحت ردم ترعة الأشرفية.

وفى سابع عشرينه ارتحل ركب الحجاج من البركه وأمير الحاج عابدين بك أخو حسن باشا.

*ارتحال ركب الحاج.

واستهل شهر القعده [سنه ١٢٣٤]

والعمل فى الترعه مستمر [ترعه الاشرفيه].

واستهل شهر ذى الحجه [سنه ١٢٣٤]

فى منتصفه سافر الباشا إلى الصعيد وسافر صحبته حسن باشا طاهر ومحمد أغالاظ المنفصل عن الكتخدايه وحسن أغا أزرجانلى وغيرهم من أعيان الدوله.

وفيه وصل الخبر بموت سليمان باشا حاكم عكا وهو من مماليك أحمد باشا الجزار.

وفى أواخره وصل ابن إبراهيم باشا وصحبته حريم أبيه فضربوا لوصولهم مدافع وعملوا للصغير موكباً ودخل من باب النصر وشق من وسط المدينه.

وانقضت السنه وما تجدد بها من الحوادث التى منها زيادة النيل الزياده المفرطه أكثر من العام الماضى، وهذا من النوادر وهو الغرق فى عامين متتابعين، واستمر أيضا فى هذه السنه إلى منتصف هاتور حتى فات أوان الزراعه، وربما نقص قليلا ثم يرجع فى تانى يوم أكثر ما نقص.





تقدم جيش محمد على فى السودان

ودخلت سنه خمس وتلاتين ومائتين وألف [١٨١٩م]

فكان أول المحرم بالهلال يوم الخميس وفيه وما قبله بأيام حصل بالأرياف بل وبداخل المدينه انزعاجات بسبب تواتر سرقات، وإشاعه سروح مناسر وحراميه، وعمر الناس أبواب الدور، والدروب وحصل منع الناس من المسير والمشى بالأزقة من بعد الغروب، وصار كتخدا بك وأغات التبديل والوالى يطوفون ليلا بالمدينه وكل من صادفوه قبضوا عليه وحبسوه ولو كان

١٢٣٥هـ.
١٥٣٦ق.
١٨١٩م.
□ ١ ينـاير ١٨٢٠ =٢٣ كيهك ١٥٣٦ =السبت ١٥ ربيع أول ١٢٣٥.
*فيها بلغ صرف البندقى ١٠٠٠ نصف فضة، وقل وجود العسل النحل وشمعه فبلغ رطل الشمع ٦ قروش.
□ فى ٢١ صفر وصل القاهرة إبراهيم باشا عائدا من الحجاز ودخل المحروسة فى ٢٢ منه وقابل والده فى سراى شبرا يومها.
□ فى ٢٠ ربيع ثانى تمرد عالى

ممن لاشبهه فيه، واستمر هذا الحال إلى آخر الشهر.

وفى سابع عشرينه حضر الباشا من الصعيد بعد أن وصل فى سرحته إلى الشلال وكان الناس تقولوا على ذهابه إلى قبلى أقاويل :منها أنه يريد التجريد على بواقى المصريين المنقطعين بدنقله، فإنهم استفحل أمرهم واستكثروا من شرا العبيد وصنعوا البارود والمدافع وغير ذلك، ومنها أنه يريد التجريد أيضا وأخذ بلاد دارفور والنوبه، ويمهد طريق الوصول إليها، ومنها أنهم قالوا إنه ظهر بتلك البلاد معدن الذهب والفضه والرصاص والزمرد وأن ذهابه للكشف على ذلك، وامتحانه وعمل معدنه ومقدار ما يصرف عليه حتى يستخرج صافيه، وبطل كل ما توهموه وخمنوه برجوعه.

وأما قولهم عن هذه المعادن فالذى تلخص من ذلك أنه ظهر بأرض أحجار خضر تشبه الزمرد وليست إياه وبمكان آخر شى أسود مخرفش مثل خرء الحديد، يخرج منه بعد العلاج والتصفيه رصاص قليل، فقد أخبرنى أخونا الشيخ عمر الناوى المعروف بالمخلصى أنه أخذ منه قطعه وذهب بها إلى الصايغ ودقها ووضعها فى بوط كبير وساق عليها بنار السبك وانكسر البوط فنقلها إلى بوط آخر ولم يزل يعالجها بطول النهار وأحرق عليها زياده عن القنطار من الفحم.

وفيه حضر أيضا جماعه من الوهابيه وأنزلوا بدار بحارة عابدين.

باشا، والى يانينه، على الباب العالى.

□ وفى ٤ من [ربيع الثانى] صار افتتاح ترعة المحمودية.

□ وفى ٣ جماد الأول، أرسل محمد على باشا حسن بك الشماشيرجى إلى واحات سيوة، وبعد أن أدب أهلها ألحقها بالحكومة المصرية.

□ وفى هذه السنة الافرنكية ارسل محمد على باشا سليمان باشا الفرنساوى لكشف معدن فحم الحجر، فعثر على بئر غاز بين القصير وأسوان.

□ وفيها كانت استكشافات المعلم امبير على الكهربائية المغناطيسية.

□ وفيها توفى جورجى الثالث ملك انكلتره وتوليه ولده جورجى الرابع على تخت الأراضى الانكليزية.

□ فيها حدثت ثورة فى اسبانيا والبورتغال، والغى التجسس الدينى من اسبانيا.

□ فى ٩ شوال ٢١ يوليو ١٨٢٠م قيام إسماعيل باشا، نجل محمد على باشا وأركان حربه، من القاهرة بقصد فتح السودان.

□ فى ٧ ذو القعدة ابتداء محاكمة الملكة كارولتية، زوجة جورجى الرابع ملك انكلتره، بناء على شكوى زوجها.

□ ١ توت ١٥٣٧ = ١٠ سبتمبر ١٨٢٠ = الأحد ٢ ذو الحجة سنة ١٢٣٥.

واستهل شهر صفر بيوم الجمعه [سنه ١٢٣٥]

فى غرته سافر محمد أغا المعروف بأبى نبوت الشامى إلى دار السلطنه باستدعا من الدوله وذلك أنه لما حضر إلى مصر ونزل برحاب الباشا كما تقدم، وكاتب الباشا فى شأنه إلى الدوله فحضر الأمر بطلبه وكذا بالإكرام، فعند ذلك هيا له الباشا ما يحتاج إليه من هديه وغيرها وتعين للسفر صحبته خمسه وتلاتون شخصا أرسل إليهم الباشا كساوى وفراوى وترك باقى أتباعه بمصر، أنزلوهم فى دار بسويقة اللالا وهم يزيدون عن المايتين، ويصرف لهم الرواتب فى كل يوم والشهريه.

وفيه وصل جماعه من عسكر المغاربه والعرب الذين كانوا ببلاد الحجاز وصحبتهم أسرى من الوهابيه نسا وبنأت وغلمانا نزلوا عند الهمايل وطفقوا يبيعونهم على من يشتريهم مع أنهم مسلمون وأحرار.

وفى منتصفه مات مصطفى أغا وكيل دار السعاده سابقا ومات أيضا الشيخ عبد الرحمن القرشى الحنفى.

وفى منتصفه مات مصطفى أغا وكيل دار السعاده سابقا ومات أيضا الشيخ عبد الرحمن القرشى الحنفى.

*وصول الحاج المصرى.

وفى سابع عشره وصل الحاج المصرى، ومات الكثير من الناس فيه بالحمى، وكذلك كثرت الحمى بأرض

مصر وكأنها تناقلت من أرض الحجاز.

*وصول إبراهيم باشا من ناحية القصير.

وفى حادى عشرينه وصل إبراهيم باشا ابن الباشا من ناحية القصير، وكان قبل وروده بأيام وصل خبر وصوله إلى القصير، وضربوا لذلك الخبر مدافع من القلعه وغيرها، ورمحت المبشرون لأخذ البقاشيش من الأعيان، واجتمعت نسا أكابرهم عند والدته للتهنيه، ونظموا له القصر الذى كان أنشاه ولى خوجه وتممه شريف بك الذى تولى فى منصبه وهو بالروضه بشاطى النيل تجاه الجيزه، وعند وصول المذكور عملوا جسرا من الروضه إلى ساحل مصر القديمه على مراكب من البر إلى البر وردموه بالأتربه من فوق الأخشاب.

وفى ذلك اليوم وصل قابجى من دار السلطنه بالبشاره بمولود ولد لحضرة السلطان وطلع إلى القلعه فى موكب.

وفى يوم الخميس حادى عشرينه عند وصول إبراهيم باشا نودى بزينة المدينه سبعة أيام بلياليها فشرع الناس فى تزيين الحوانيت والدور والخانات بما أمكنهم وقدروا عليه من الملونات والمقصبات.

وأما جهات النصارى وحاراتهم وخاناتهم فإنهم أبدعوا فى عمل تصاوير مجسمات وتماثيل وأشكال غريبه، وشكا الناس من عدم وجود الزيت والشيرج فرسموا بجملة قناطير شيرج تعطى للزياتين لتباع

على الناس بقصد ذلك فيأخذونها ويبيعونها بأغلى ثمن بعد الإنكار والكتمان.

ولما اصبح يوم الجمعه وقد عدى إبراهيم باشا إلى بر مصر رتبوا له موكبا ودخل من باب النصر وشق المدينه وعلى رأسه الطلخان السليمى من شعار الوزاره وقد أرخى لحيته بالحجاز وحضر والده إلى جامع الغوريه بقصد الفرجه على موكب ابنه، وطلع بالموكب إلى القلعه ثم رجع سايرا بالهيئه الكامله إلى جهه مصر القديمه ومر على الجسر وذهب إلى قصره المذكور بالروضه.

واستمرت الزينه والوقود والسهر بالليل وعمل الحراقات وضرب المدافع فى كل وقت من القلعه ومغانى وملاعب فى مجامع الناس سبعة أيام بلياليها فى مصر الجديده والقديمه وبولاق وجميع الأخطاط.

ورجع إبراهيم باشا من هذه الغيبه متعاظما فى نفسه جدا وداخله من الغرور مالا مزيد عليه حتى إن المشايخ لما ذهبوا للسلام عليه والتهنيه بالقدوم، فلما أقبلوا عليه وهو جالس فى ديوانه لم يقم لهم ولم يرد عليهم السلام، فجلسوا وجلعوا يهنوه بالسلامه فلم يجبهم ولا بالإشاره بل جعل يحادث شخصا سخريه عنده، وقاموا على مثل ذلك منصرفين ومنكسفين ومنكسرى الخاطر.

واستهل شهر ربيع ألأول بيوم الأحد [سنه ١٢٣٥]

*وفاة ابن إبراهيم باشا عن ست سنوات.

فى تامنه مات ابن إبراهيم باشا وهو الذى تقدمه فى المجى إلى مصر وعملوا له الموكب وعمره نحو ست سنوات، وكان موته فى أول الليل من ليلة الأحد، فأرسلوا التنابيه لأعيان الدوله والمشايخ فخرج البعض منهم فى تلت الليل الأخير إلى مصر القديمه حيث المعادى .لأنه مات بقصر الجيزه فما طلع النهار حتى ازدحموا بمصر القديمه وما حضروا به إلا قرب الزوال، وانجروا بالمشهد إلى مدفنهم بالقرب من الإمام الشافعى، وعملوا له مأتما وفرقوا دراهم على الناس والفقها وغير ذلك.

ثم حكى المخبرون عن كيفيه موته أنه كان نايما فى حجر دادته جاريه سودا فشاجرتها جاريه بيضا، ورفستها برجلها فأصابت الغلام فاضطرب ووصل الخبر إلى أبيه فدخل إليهم وقبض على الجوارى الحاضرات وحبسهن فى مكان بالقصر، وقال إن مات ولدى قتلتكن عن آخركن فمات من ليلته، فخنق الجميع وألقاهن فى البحر بما فيهن الداده، قيل إنهن خمسه، وقيل سته، والله أعلم.

*الانتهاء من ترعة الإسكندرية بعد ان هلك فيها معظم الفلاحين العاملين فى شقها.

وفى أواخره انقضى أمر الحفر بترعة اسكندريه [المحموديه]، ولم يبق من الشغل إلا القليل، ثم فتحوا لها شرما خلاف فمها المعمول خوفا من غلبة البحر، فجرى فيها الماء واختلط بالمياه المالحه التى

نبعت من أرضها وعلا الماء منها على بعض المواطن المسبخه وبها روبه عظيمه، وساح على الأرض وليس ثم هناك جسور تمنع، وصادف أيضا وقوع نوه وأهويه علا فيها البحر المالح على الجسر الكبير ووصل إلى الترعه فأشيع فى الناس أن الترعه فسد أمرها ولم تصح، وأن المياه المالحه التى منها ومن البحر غرقت الإسكندرية وخرج أهلها منها إلى أن تحقق الخبر بالواقع، وهو دون ذلك، ورجع المهندسون والفلاحون إلى بلادهم بعدما هلك معظمهم.

واستهل شهر ربيع التانى [سنه ١٢٣٥]

فى أوله عزل الباشا محمد بك الدفتردار عن إماره الصعيد وقلد عوضه أحمد باشا ابن طاهر باشا وسافر فى خامسه.

وفى سابعه سافر الباشا إلى اسكندريه للكشف على الترعه، وسافر صحبته ابنه إبراهيم باشا ومحمد بك الدفتردار والكتخدا القديم ودبوس أوغلى.

وفى تالت عشره حضر الباشا ومن معه من غيبتهم وقد انشرح خاطره لتمام الترعه وسلوك المراكب وسفرها فيها وكذلك سافرت فيها مراكب رشيد والنقاير بالبضايع، واستراحوا من وعر البغاز والسفر فى المالح إلى اسكندريه والنقل والتجريم وانتظار

الريح المناسب لاقتحام البغاز والبحر الكبير، ولم يبق في شغل الترعه إلا الأمر اليسير وإصلاح بعض جسورها.

*حادثة الإنجليزي صائد الحمام.

واتفق وقوع حادثه في هذا الشهر وهو أن شخصا من الإفرنج الإنكليز ورد من اسكندريه وطلع إلى بلدة تسمى كفر حشاد، فمشى بالغيط ليصطاد الطير فضرب طيراً ببندقيته فإصابت بعض الفلاحين في رجله، وصادف هناك شخص من الأرنؤده بيده هراوه أو مسوقه فجا إلى ذلك الإفرنجي وقال له :أما تخشى أن يأتي إليك بعض الفلاحين ويضربك على رأسك هكذا، فاغتاظ من ذلك الإفرنجي وضربه ببندقيته فسقط ميتا.

فاجتمع عليه الفلاحون وقبضوا على الإفرنجي ورفعوا الأرنؤدي المقتول وحضروا إلى مصر وطلعوا بمجلس كتخدا بك واجتمع الكثير من الأرنؤد وقالوا لابد من قتل الإفرنجي فاستعظم الكتخدا ذلك، لأنهم يراعون جانب الإفرنج إلى الغايه، فقال حتى نرسل إلى القناصل ونحضرهم ليروا حكمهم في ذلك، وأرسل بإحضارهم، وقد تكاثر الأرنؤد وأخذتهم الحميه وقالوا لأي شي نؤخر قتله إلى مشورة القناصل، وإن لم يقتل في هذا الوقت نزلنا إلى حارة الإفرنج ونهبناها وقتلنا كل من بها من الإفرنج، فلم يسع الكتخدا إلا أن أمر بقتله، فنزلوا به إلى الرمليه وقطعوا راسه وطلع أيضا القناصل في كبكبتهم وقد نفذ الأمر وكان ذلك في غيبة الباشا.



التقدم فى نيل السودان

واستهل شهر جمادى الأولى [سنه ١٢٣٥]

فيه جرد الباشا حسن بك الشماشرجى حاكم البحيره على سيوه من الجهه القبليه، فتوجه إليها من البحيره بجنده ومعه طايفه من العرب.

وفيه قوى عزم الباشا على الإغاره على نواحى السودان، فمن قايل إنه متوجه إلى سنار، ومن قايل إلى دارفور، وسارى العسكر إبنه إسماعيل باشا وخلافه، ووجه الكثير من اللوازم إلى الجهه القبليه وعمل البقسمات والذخيره ببلاد قبلى والشرقيه واهتم اهتماما عظيما، وأرسل أيضا بإحضار مشايخ العربان والقبايل.

*تجريدة على واحة سيوة: اراد محمد على القيام بحملة فى واحة سيوة لتدعيم السيطرة المصرية عليها، وقد رافقه فى تلك الحملة كل من لينان دى بلفون والقنصل الفرنسى دروفتى الذى وضع كتابا سجل فيه اخبار رحلته فى المنطقة وقد تكونت الحملة من الف وثلاثمائة جندى بقيادة حسن الشماشرجى وتقدمت الحملة فى "الصحراء الليبية" واجبرت السكان على الخضوع لمحمد على. وتم فرض غرامة

وفيه خرج الباشا إلى ناحيه القليوبيه حيث الخيول بالربيع وخرج محو بك لضيافته بقلقشنده، وأخرج خياما وجمالا كثيره محمله بالفرش والنحاس وآلات المطبخ والآرز والسمن والعسل والزيت والحطب والسكر وغير ذلك، وأضافه ثلاثه أيام، وكذلك تامى كاشف الناحيه وغيره، وكذلك أحضر له ضيافه ابن شديد شيخ الحويطات وابن الشواربى كبير قليوب وابن عسر وكان صحبة الباشا ولداه إبراهيم باشا وإسماعيل باشا وحسن باشا.

على السكان قدرها مائة ألف قرش مع تعهدهم بتوريد كمية محددة من البلح. علق مارسيلوس على هذه الحملة بأنها كانت ضرورية بالنسبة لمحمد على لتحقيق أحلامه فى أرسال الحملات إلى السودان وتأمين حدوده الغربية ثم تحقيق حلمه الكبير بعد التوسع فى السودان فيقوم بغزو الحبشة.

وفى أثناء ذلك ورد الخبر بموت عابدين بك أخو حسن باشا بالديار الحجازيه، وكذلك الكثير من أتباعه بالحمى فتكدر حظهم وبطلت الضيافات وحضر الباشا ومن معه فى أواخره لعمل العزا والميتم، وأخبر الواردون بكثرة الحمى بالديار الحجازيه حتى قالوا إنه لم يبق من طايفه عابدين بك إلا القليل جدا.

واستهل شهر جمادى الثانيه [سنه ١٢٣٥]

وفى عشرينه وردت هديه من والى الشام فيها من الخيول الخاص عشره بعضها ملبس والباقى من غير سروج وأشيا أخرى لانعلمها.

*الاستيلاء على سيوة.

وفى أواخره ورد الخبر بأن حسن بك الشماشرجى استولى على سيوه وفيه ورد الخبر بأنه وقع باسلامبول حريق كبير.

وفيه ورد الخبر أيضا عن حلب بأن أحمد باشا المعروف بخورشيد الذى كان سابقا والى مصر استولى على حلب وقتل من أهلها وأعيانها أناسا كثيره، وذلك أنه كان متوليا عليها فحصل منه ما أوجب قيام أهل البلده عليه وعزلوه وأخرجوه، وذلك من مده سابقه، فلما أخرجوه أقام خارجها وكاتب الدوله فى شانهم وقال ما قال فى حقهم، فبعثوا أوامر ومراسيم لولاة تلك النواحى بأن يتوجهوا لمعونته على أهل حلب، فاحتاطوا بالبلده وحاربوها أشهرا حتى ملكوها وفتكوا فى أهلها وضربوا عليهم ضرايب عظيمه وهم على ذلك.

وفى أواخره أيضا تقلد أغاوية مستحفظان مصطفى أغا كرد مضافه للحسبه عوضا عن حسن أغا الذى توفى فى الحج، فأخذ يعسف كعادته فى مبادى توليته للحسبه، وجعل يطوف ليلا ونهارا ويحتج على المارين بالليل بأدنى سبب فيضرب من يصادفه رادعا من سهر ونحوه، أو يقطع من أذنه وأنفه.

واستهل شهر رجب بيوم الجمعه [سنه ١٢٣٥]

فى تالته تقلد نظر الحسبة شخص يسمى حسنين أغا المورلى وهو بخشونجى بساتين الباشا.

وفيه رجع حسن بك الشماشرجى من ناحية سيوه بعد

أن استولى عليها وقبض من أهلها مبلغا من المال والتمر، وقرر عليها قدرا يقومون به فى كل عام إلى الخزينه.

وفى عشرينه سافر محمد أغا لاظ وهو المنفصل عن الكتخاديه إلى قبلى، بمعنى أنه فى مقدمة الجرده يتقدمها إلى الشلال.

وفى أواخره وصل الخبر بموت خليل باشا بالديار الحجازيه فخلع الباش على أخيه أحمد بك وهو تالت إخوته، وهو أوسطهم وقلده فى منصب أخيه عوضا عنه وأعطى البيرق واللوازم.

وفى أواخره توجه الباشا إلى ناحية الوادى* لينظر ما تجدد به من العماير والمزارع والسواقى، وقد صار هذا الوادى إقليما على حدته، وعمر به قرى ومساكن ومزارع.

*وادى الطميلات بالشرقية حيث مزارع التوت.

واستهل شهر شعبان بيوم الأحد [سنه ١٢٣٥]

فيه سافر إبراهيم باشا إلى القليوبيه ثم إلى المنوفيه والغربيه لقبض الخراج عن سنه تاريخه والطلب بالبواقى التى انكسرت على الفقرا، وكان الباشا سامح فى ذلك وتلك بواقى سبع سنين فكان يطلب مجموع ما على القريه من المال والبواقى فى ظرف

تلاته أيام ففزعت الفلاحون ومشايخ البلاد وتركوا غلالهم فى الأجران وطفشوا فى النواحى بنساهم وأولادهم وكان يحبس من يجده من النسا ويضربهن، فكان مجموع المال المطلوب تحصيله على ما أخبرنى به بعض الكتاب مايه ألف كيس وسبعين ألف كيس.

وفى منتصفه حضر الباشا من ناحية الوادى [وادى الطميلات بالشرقيه].

*حريق بولاق.

وفى أواخره وقع حريق ببولاق فى مغالق الخشب التى خلف جامع مرزه، وأقام الحريق نحو يومين حتى طفى واحترق فيه الكثير من الخشب المعد للعماير المعروف بالكرسنه والزفت وحطب الإشراق وغيره.

واستهل شهر رمضان بيوم الأحد [سنه ١٢٣٥]

*إرسال التجاريد إلى السودان:

ذكر الرحالة الفرنسيون اسباب فتح السودان فأكد مارسيلوس أن الغرض الرئيسى من ارسال الحملات إلى السودان هو "تحقيق الفخر وإتمام غزو النوبة "خاصة بعد أن حقق إبراهيم باشا نصرا كبيرا على الوهابين فأراد محمد على تخليد ذكرى أبنائه وتحقيق المجد والفخر لهم أما كادلفين فيرى أن فتح السودان كان

والاهتمام حاصل وكل قليل يخرج عساكر ومغاربه مسافرين إلى بلاد السودان، ومن جمله الطلب تلاته أنفار من طلبة العلم يذهبون بصحبه التجريده، فوقع الاختيار على محمد أفندى الأسيوطى قاضى أسيوط والسيد أحمد البقلى الشافعيين، والشيخ أحمد السلاوى المغربى المالكى، وأقبضوا محمد أفندى المذكور عشرين كيسا وكسوه، ولكل واحد من الاثنين خمسه عشر كيسا وكسوه، ورتبوا لهم ذلك فى كل سنه.

ضروريا بالنسبة لمحمد على للحصول على ذهب سنار وفازغولى الذى كثرت حولها الأقاويل كذلك أمداد الجيش بأعداد من السودانيين للتجنيد، والقضاء على بقايا المماليك الذين فروا من مصر بعد مذبحة القلعة واتخذوا من دنقلة مركزا لهم واكتشاف منابع النيل وتوسيع نطاق التجارة المصرية أما شولشيه فيرى أن السبب الرئيسى للحملات على السودان كان للحصول على الرقيق لتزويد الجيش المصرى بالمجندين فلم يهتم محمد على بمآسى السكان، وتوغلت القوات المصرية فى سنار وغيرها من المناطق وسط صراخ وعويل السكان الذين تم حبسهم فى أقفاص تمهيدا لارسالهم إلى القاهرة.

قدر كايو المرافق للحملة أعداد القوات الزاحفة على السودان على النحو التالى ١٢٠٠ من الفرسان الأتراك و ٤٠٠ من العرب والمغاربة و٦٠٠ من المشاة و٣٠٠ من رجال المدفعية و٨٠٠ من المشاة العرب والمغاربة و٧٠٠ من عرب العبابدة، كذلك أكد كايو أن إسماعيل باشا تلقى المدد من أبيه أثناء حملته على السودان فزوده ١٤٠٠ مقاتل.

اتجهت الحملة من أسوان إلى وادى حلفا ومنها تقدمت إلى أراضى سكوت والمحس ودلقوا وقدم كايو وصفا عما لاقته القوات المصرية أثناء زحفها فى أرقو حيث المنطقة مغطاه بالغابات والأحراش فاضطر الفرسان إلى الترجل والسير على الأقدام وقد تقابل إسماعيل باشا مع ملك أرقو الملك جميع الذى اعترف بالتبعية المصرية ثم قدم لإسماعيل باشا الامدادات اللازمة لمواصلة تقدم القوات فى أراضى السودان.

وجدير بالذكر أن كادلفين عند زيارته للسودان بعد اتمام الفتح بعدة سنوات تقابل مع الملك طمبل ملك أرقو السابق فكتب "أن إسماعيل عينه حاكما عليها وظل يمارس مهام منصبه عدة سنوات وعاش فى قصر صغير تحيط به حديقة زرع فيها أنواع مختلفة من الخضروات والفواكه ويصحبته زوجاته الثلاث ويذكر كادلفين بأنه "رأى الحزن فى عينيه لأنه فقد ملكه فى أرقو وأصبح الآن تابعا بعد أن كان ملكا".

ثم واصلت قوات محمد على زحفها حتى وصلت بربر فتم الاستيلاء عليها فى عام ١٨٢١، ومنها اتجهت لضم سنار وأغارب على فازوغلى التى أعلن ملكها الاستسلام لقوات إسماعيل باشا، وأهداه الخيول الحبشية الجميلة، ثم يصف ديدية طريقة استسلام الملك حسن ملك فازوغلى بأنه "وضع ركبته على الأرض والدرع والرمح بجواره رمز الاستسلام".

هذا وقد أعطانا الرحالة وصفا لملكة الفونج فى سنار تلك المملكة التى تأسست منذ القرن السادس عشر وكان لها سيطرة كبيرة على جيرانها، كذلك كان للفرنسيين ذكريات مؤلمة فيها عندما أرسلوا البعثات التنصيرية إلى الحبشة فتم اغتيال روادها مثل بعثة لى نوار دى رول من قبل السكان الذين اعتقدوا انهم من السحرة وانهم أتوا لتغيير مجرى النيل لأغراق المملكة.

هذا وقد تعرضت القوات الزاحفة لانتشار الأمراض والأوبئة كما عانت من نقص المئونة والعتاد والأدوية مما اضطر محمد على إلى ارسال ابنه إبراهيم باشا لتقديم الدعم لقوات أخيه ولفتح ما تبقى من أقاليم السودان.

بدات قوات إسماعيل باشا فى تدعيم مراكزها فى المناطق

الجبرتى/ سنة ١٢٣٥.

التى احتلتها من وادى حلفا حتى سنار فى الوقت الذى تجمعت فيه حملة عسكرية فى الدبة وهى من مدن دنقلة للانطلاق منها غربا صوب كردفان بقيادة الدفتردار محمد بك وقد روعى التركيز فى الدبة باعتبارها أقرب المناطق جنوب دنقلة لكردفان هذا وقد تم تبادل الرسائل بين الدفتردار محمد بك والملك المقدوم مسلم ملك كردفان الذى رفض الاستسلام وكانت كردفان تدين بالتبعية لمملكة الفور القوية فى دارفور، وإزاء أصرار الملك مسلم على القتال تقدمت القوات المصرية وسط الصحراء الممتدة من الدبة إلى كردفان ونجحت فى الاستيلاء على مدن كردفان الرئيسية خاصة بارة التى قتل فيها الملك مسلم. ثم الأبيض وقد قدم لنا كايو وصفا لهذه المعارك التى وصفها "بأنها غير متكافئة "بسبب تفوق القوات الزاحفة فى العدة والعتاد فقامت المدفعية بحصر أهالى كردفان "بأسلحتهم البدائية "وقاتل الكثيرون منهم وهم شبه عرايا مدافعين عن بلادهم بالرماح والدروع وغيرها "من الأسلحة البدائية".

هذا وقد أعطانا الرحالة الفرنسى دى لاتور وصفا لمملكة الفور التى تأسست فى دارفور منذ عام ١٥٠٦ وقد تألفت من العناصر العربية المهاجرة من شمال أفريقيا إلى غرب السودان فاختلطت بجماعات الفور الزنجية التى أسست مملكة عظيمة مدت سيطرتها على جميع الوديان والسهول والتفت حول جبل مره الغنى بموارده المائية وشمل نواة المملكة الأولى وقد جذب هذا الجبل بثرائه وتوفر المياه فيه القبائل للاستقرار فيه ثم اتسعت المملكة فى القرنيين السابع عشر والثامن عشر وينال سلاطنها شهرة عريضة فى الخارج ونافسوا مملكة الفونج القوية فى سنار.

وفى الحقيقة أن لاتور لم يكن أول من ألقى الضوء على هذه المملكة وأنما سبقه فى أواخر القرن الثامن عشر الرحالة البريطانى بروان الذى قدم وصفا لنظامها الإدارى فذكر أن السلطان على رأس السلطة يعاونه حكام الأقسام الأربعة الرئيسية ويلقب كل منهم بلقب المقدوم ومهمتهم الحفاظ على السلام بين القبائل وتسليم الخراج وأشار إلى دخل السلطان من العشور أى له عشر ما يباع فى الأسواق. كذلك لابد لكل قسم أن يقدم له كمية من الرقيق سنويا ثم تحدث عن تجارة دارفور الخارجية حيث كانت الصادرات تشمل الكزبرة والكمون وريش النعام وسن الفيل أما الواردات فكان أهمها الأقمشة والحلى والحبوب والنقود والمنسوجات القطنية والصابون والأوراق.

وبينما نجحت القوات فى ضم أجزاء شاسعة من أراضى السودان إلا أن الانتصارات التى حققها لم تكن تخلو من الآلام والذكريات الحزينة فبينما القوات الزاحفة ماضية فى تثبيت دعائم حكم محمد على على نشب تمرد فى شندى قادة الملك نمر فأسرع إسماعيل باشا للقضاء على هذا التمرد وتعهد الملك نمر بدفع غرامة مالية كبيرة قدرت بعشرين ألف قرش أسبانى وأظهر الولاء وأبدى ندمه على هذا التمرد ولكن يبدو أن إسماعيل باشا كان قد اشتط فى غضبه عليه فلطمه على وجهه "وكلفته هذه اللطمة حياته "على حد قول كادلفين، فقد تظاهر الملك نمر بالخضوع لإسماعيل وأقام له وليمى كبيرة ثم أحاط

الخيام بالحطب والقش واشعل فيها النار وتم ذبح قوات إسماعيل باشا واستطاع أحد التجار شراء جثمانه وحمله إلى والده فى مصر وقد بالغ الملك نمر فى انتقامه فقام بقتل طبيب إسماعيل باشا بعد أن خلع أسنانه ووضع فى فمه أكياس من الجلد ثم شنقه.

على أن هذا العمل كلف الملك نمر الكثير فقد أسرع الدفتردار محمد بك بالقدوم مع قواته من كردفان إلى شندى للانتقام لصهره فبالغ بدوره فى عمليات القتل والتنكيل واستمرت المذابح لمدة شهر ولم تشفع له توسلات السكان.

وقد أشار الرحالة إلى أهتمام محمد على بتنمية التجارة فى السودان وقدم كايو وصفا لخط سير القوافل من كردفان فى الغرب إلى دنقلة عبر واحة سليمة ومنها إلى أسيوط.

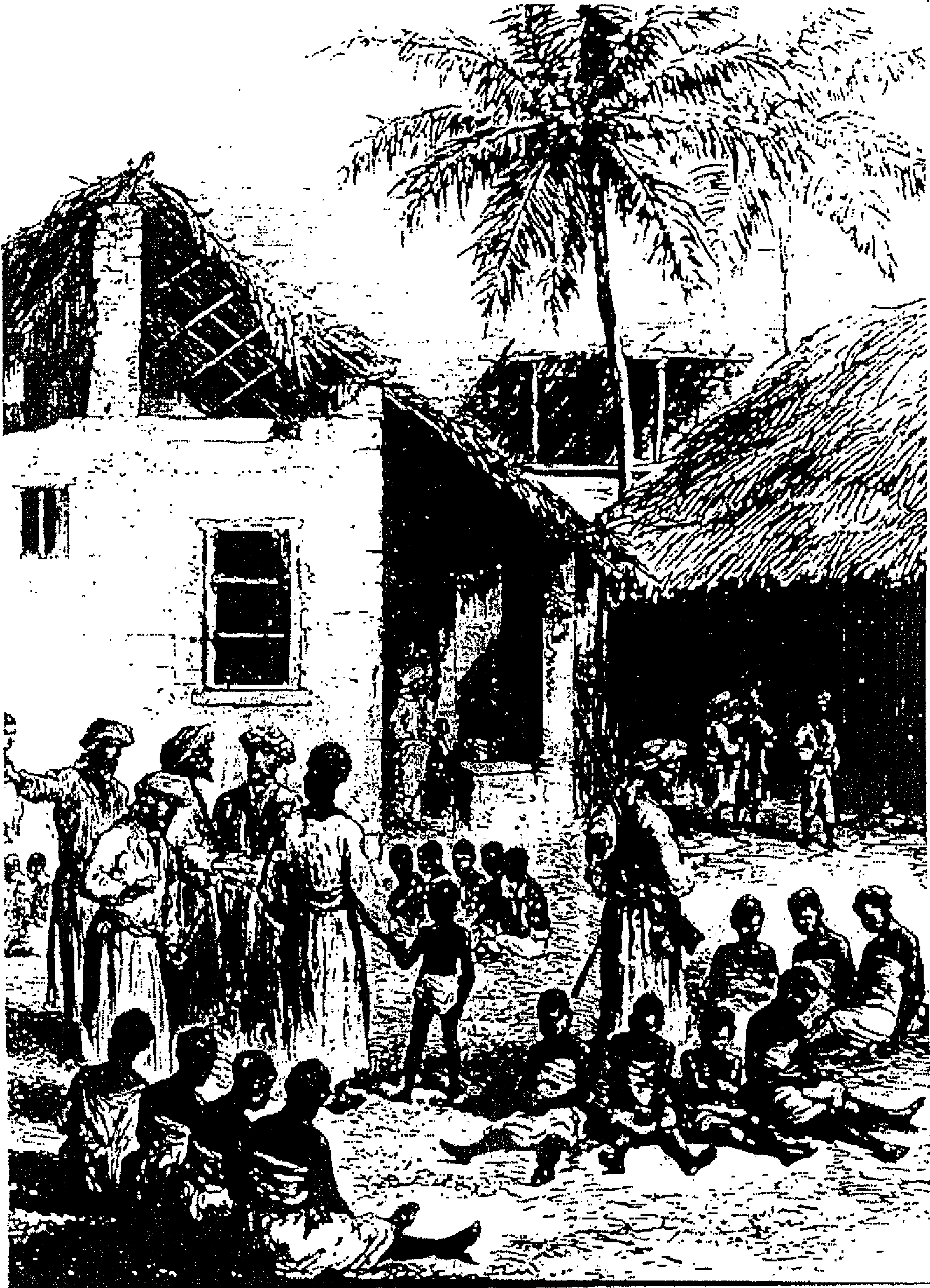
هذا وقد مثل الرقيق أهم صادرات السودان وكان تم جلبه من جبل الفرتيت الواقع جنوبا وتم تجميعه على بعد خمسة أميال من القبة ومنه يرسل عبر الصحراء حتى تصل قوافه إلى أسيوط مركز تجميع الرقيق وقد كتب شولشيه المناهض لتجارة الرقيق بأنه كان يتم غزو قرى بأكملها للحصول على الرقيق من مختلف الأعمار فتيات صغيرات أرسلوا إلى القاهرة من سنار وكردفان ودارفور وكانت هناك غزوات تم تنظيمها فى مواسم معينة، ولكن رغم تجميع كل هذه الأعداد الهائلة من الرقيق لم يصل إلى القاهرة منها سوى نصفها أو اقل نظرا لوفاة العديد منهم أثناء الرحلة وأخذ شولشيه فى وصف أحوال الرقيق حيث يتم ربط الأطفال بحبل طويل فى الرقبة ويجبرون على السير عدة ساعات طويلة.

وتألم ديدية من رواية أحدى بنات ملك كردفان وقد وقعت فى الأسر واقتيدت إلى القاهرة "فأصبحت من الجوارى بعد أن كانت تعيش فى رفاهية وثراء حتى أنها كانت تسير على بطون العبيد وهم نائمون على الأرض فأصبحت الآن ذليلة وهذا من فعل الزمن وتدابيره "على حد قوله.

واشار الرحالة إلى جهود مصر من أجل تعمير المدن السودانية وبناء المدن الجديدة وحرصها على إقامة الأبنية والمنشآت فقد تم تعمير مراغة وبناء مدينة الخرطوم لتحل محل سنار التى انهارت خاصة وأن موقعها عند التقاء النيلين وقريبة من فازوغلى وكردفان وقد اختيرت لتكون عاصمة السودان المصرى ومركز ومستودع التجارة يحمل إليها فرعى النيل منتجات الجنوب من العاج وقرون الخرتيت، والصمغ وتراب الذهب وريش النعام والعبيد وتحمل كل هذه المنتجات إلى مصر ومنها إلى موانى البحر المتوسط حيث يتم مبادلتها بالمنتجات الأوروبية خاصة الموسلين والأقمشة الحريرية والطباق والسكر والأرز والقهوة، ولكن رغم جهود الإدارة المصرية فى الخرطوم إلا أن ديدية وجدها مدينة قبيحة فلا يوجد فيها ما يستحق المشاهدة لا الديوان ولا القصر الحاكم، حتى المساجد فيها بلا زينة، والشىء الوحيد الذى يسترعى الانتباه فيها هو حديقتها المقامة على ضفاف النيل الأزرق، نبه ديدية إلى ضرورة عناية الأدارة بشوارع المدينة فهى غير منتظمة وكأنها جحور للثعابين.

[أنظر: مصر فى كتابات الرحالة الفرنسيين فى القرن ١٩].





أحد مراكز تجميع الرقيق

وفى سابعه وقع حريق فى سراية القلعه فطلع الأغا والوالى وأغات التبديل واهتموا بطف النار وطلبوا السقاين من كل ناحيه حتى شح الماء ولايكاد يوجد وكان ذلك فى شدة الحر وتوافق شهر بؤنه ورمضان، وأقاموا فى طف النار يومين، واحترق ناحيه ديوان كتخدا بك ومجلس شريف بك وتلفت أشيا وأمتعه ودفاتر حرقا ونهبا.

*حريق هائل بالقلعة.

وذلك أن أبنية القلعه كانت من بناء الملوك المصريه بالأحجار والصخور والعقود وليس بها إلا القليل من الأخشاب فهدموا ذلك جميعه وبنوا مكانه الأبنيه الرقيقه وأكثرها من الحجنه والأخشاب على طريق بنا إسلامبول والإفرنج وزخروفها وطلوها بالبياض الرقيق والأدهان والنقوش ، وكان سريع الاشتعال حتى إن الباشا لما بلغه هذا الحريق وكان مقيما بشبرا تذكر بنا القلعه القديم وما كان فيه من المتانه، ويلوم على تغير الوضع السابق ويقول أنا كنت غايبا بالحجاز والمهندسون وضعوا هذا البنا ، وقد تلف فى هذا الحريق ما ينيف عن خمسه وعشرين ألف كيس حرقا ونهبا ، ولما حصل هذا الحريق انتقلت الدواوين إلى بيت طاهر باشا بالأزبكيه، وانقضى شهر رمضان.

واستهل شهر شوال بيوم التلات [سنه ١٢٣٥]

وقع فى تلك الليله اضطراب فى ثبوت الهلال لكونه

*اضطراب رؤية الهلال.

كان عسر الرؤيه جدا، وشهد اثنان برؤيته ورد الواحد ثم حضر آخر ولم يزالوا كذلك إلى آخر الليل، ثم حكم به عند الفجر بعد أن صليت التراويح وأوقدت المنارات وطاف المسحرون بطبلاتهم وتسحرت الناس وأصبح العيد باردا.

وفى خامسه سافر الباشا إلى ثغر إسكندريه كعادته وأقام ولده إبراهيم باشا بشاطى النيل تجاه مضرب النشاب، وتعاظم فى نفسه جدا.

*ختان عباس باشا ابن طوسون.

ولما رجع إبراهيم باشا من سرحته شرعوا فى عمل مهم لختان عباس باشا ابن أخيه طوسون باشا وهو غلام فى السادسه، فشرعوا فى ذلك فى تاسع عشره ونصبوا خياما كثيره تحت القصر، وحضرت أرباب الملاعيب والحواه والمغزلكون والبهلوانيون وطبخت الأطعمه والحلوا والأسمطه وأوقدت الوقدات بالليل من المشاعل والقناديل والشموع بداخل القصر وتعاليق النجفات البلور وغير ذلك.

ورسموا بإحضار غلمان أولاد الفقرا فحضر الكثير منهم وأحضروا المزينين فختنوا فى أثنا أيام الفرح نحو الأربعمايه غلام، ويفرشون لكل غلام طراحه ولحافا يرقد عليها حتى يبرى جراحة ثم يعطى لكل غلام كسوه وألف نصف فضه، وفى كل ليله يعمل شنك وحراقات ونفوط ومدافع بطول الليل.

ودعوا فى أثنا ذلك كبار الأشياخ والقاضى والشيخ السادات والبكرى وهو نقيب الأشراف أيضا والمفاتى وصار كل من دخل منهم يجلسونه من سكوت ولم يقم لواحد منهم ولم يرد على من يسلم ولا بالإشاره السلام ولم يكلمهم بكلمه يؤانسهم بها وحضرت المائده فتعاطوا حتى انقضى المجلس وقاموا وانصرفوا من سكوت.

*خروج المحمل.

وفى يوم الأربع تالت عشرينه خرجوا بالمحمل إلى الحصوه وأمير الحاج شخص من الدلاه لم نعرف اسمه.

وفى يوم الخميس عملوا الزفه لعباس باشا ونزلوا به من القلعه على الدرب الأحمر على باب الخرق إلى القصر وختنوه فى ذلك اليوم وامتلا طشت المزين الذى ختنه بالدنانير من نقوط الأكابر والأعيان، وخلعوا عليه فروه وشال كشميرى وأنعموا على باقى المزينين بتلاتين كيسا وانقضى ذلك.

*وفاء النيل الثلاثاء ٣ مسرى.

وفى يوم التلات تاسع عشرينه الموافق لتالت مسرى القبطى أوفى النيل أذرعه، وكسر السد فى صبحها يوم الأربع وجرى الماء فى الخليج وذلك بحضرة كتخدا بك والقاضى.

*وصول بعض الأمراء المماليك القدامى من السودان يطلبون الأمان.

وفى هذا الشهر حضر طايفه من بواقى الأمرا المصريه من دنقله إلى بر الجيزه وهم نحو الخمسه وعشرين شخصا، وملابسهم قمصان بيض لاغير فأقاموا فى

خيمه ينتظرون الإذن، وقد تقدم منهم الإرسال بطلب الأمان عندما بلغهم خروج التجاريد وحضر ابن على بك أيوب، وطلب أمانا لأبيه فأجيبوا إلى ذلك وأرسل لهم أمانا لأجمعهم ماعدا عبد الرحمن بك والذى يقال له المنفوخ فليس يعطيهم أمانا ولما حضرت مراسله الأمان لعلى بك أيوب وتأهب للرحيل حقدوا عليه وقتلوه ووصل خبر موته فعملوا نعيه فى بيته سكن زوجته الكاين بشمس الدوله، وأكثروا من الندب والصراخ عدة أيام.

وفى هذا الشهر أيضا حضر أشخاص من بلاد العجم وصحبتهم هديه إلى الباشا وفيها خيول فأنزلوهم ببيت حسين بك الشماشرجى بناحية سويقة العزى.

واستهل شهر ذي القعده بيوم الخميس [سنه ١٢٣٥]

*تقرير لمحمد على مدة جديدة على مصر.

فى رابعه يوم الأحد وصل قابجى وعلى يده مرسوم تقرير للباشا بولاية مصر على السنه الجديده وتقرير آخر لولده إبراهيم باشا بولاية جده، وركب القابجى المذكور فى موكب من بولاق إلى القلعه وقريت المراسيم بحضرة كتخدا بك وإبراهيم باشا وأعيانهم وضربوا مدافع.

وفيه سافر إسماعيل باشا إلى جهه قبلى وهو أمير العسكر المعينه لبلاد النوبه كل ذلك والباشا الكبير

على حاله باسكندريه.

واستهل شهر ذى الحجه [سنه ١٢٣٥]

فيه توجه إبراهيم باشا إلى أبيه باسكندريه، فأقام هناك أياما وعاد فى آخر الشهر، فأقام بمصر أيام قليله وسافر إلى ناحية قبلى ليجمع ما يجده عند الناس من القمح والفول والعدس التلاته أصناف وأخذوا كل سفينه غضبا وساقوا الجميع إلى قبلى لحمل الغلال وجمعها فى الشون البحريه لتباع على الإفرنج والروم بالأثمان الغاليه وانقضت السنه.

[موجز لأحداث العام الماضى]

*من حوادثها زياده النيل الزياده المفرطه، وخصوصا بعد [عيد] الصليب وقد كان حصل الاعتنا الزايد بأمر الجسور بسبب ما حصل فى العامين السابقين من التلف، فلما حصلت هذه الزياده بعد الصليب وطف الماء على أعلى الجسور وغرق مزارع الذره والنيله والقصب والأرز والقطن وأشجار البساتين وغالب أشجار الليمون والبرتقال بما عليها من الثمار وصار الماء ينبع من الأرض الممنوعه نبعا، ولاعاصم من أمر الله، وطال مكث الماء على الأرض حتى فات أوان الزراعه.

ولم نسمع ولم نر فى حوالى السنين تتابع الغرقات، بل كان الغرق نادر الحصول، وعلا ماء الخليج حتى سد غالب فرجات القناطر ونبع الماء من الأراضى الواطيه القريبه من الخليج مثل غيط العده وجامع الأمير حسين ونحو ذلك.

*ومنها أن ترعه اسكندريه المحدثه لما تم حفرها وسموها بالمحموديه على اسم السلطان محمود، فتحوا لها شرما دون فمها المعد لذلك، وامتلات بالماء فلما بدأت الزياده فزادت وطف الماء فى المواضع الواطيه وغرقت الأراضى فسدوا ذلك الشرم وأبقوا من داخله فيها عدة مراكب للمسافرين، فكانوا ينقلون منها إلى مراكب البحر ومن البحر إلى مراكبها وبقى ماؤها مالحا متغيرا واستمر أهل الثغر فى جهد من قله الماء العذب، وبلغ ثمن الراويه قرشين.

*ومنها أنه لما وقع القياس فى أراضى القرى قرروا مسموحا لمشايخ البلاد فى نظير مضايفهم خمسة أفدنه من كل مايه فدان، وفى هذا العام يدفع مال المسموح سنتين وذلك عقب مطالبتهم بالخراج قبل أوانه، وما صدقوا أنهم غلقوه ببيع غلالهم بالنسيئه والاستدانه وبيع المواشى والأمتعه ومصاغ النسا.

وكانوا أيضا طولبوا بالبواقى فى السنين الخوالى التى كانوا عجزوا عنها، ولم يزل رمى الغلال فى هذه السنه وكذلك فى الفول وتمر النخيل والفواكه، ولما طولب

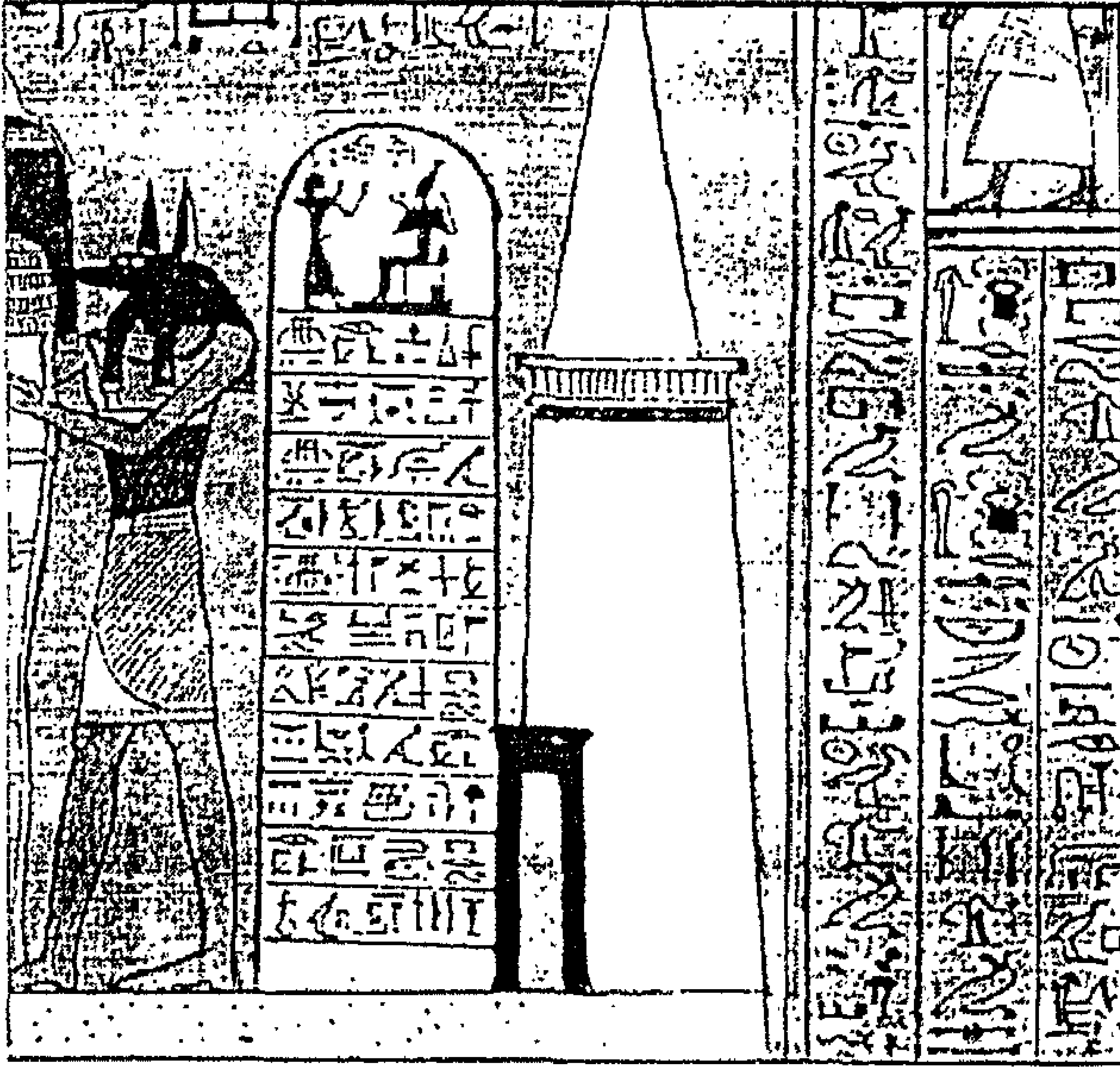
مشايخ البلاد بمال المسموح ازداد كربهم، فإنه ربما يجى على الواحد ألف ريال وأقل وأكثر، وقد قاسوا الشدايد فى غلاق الخراج الخارج عن الحد وعدم زكاء الزرع وغرق مزارع النيله والأرز والقطن والقصب والكتان وغير ذلك.

وفى إثر ذلك فرضوا على الجواميس كل راس عشرين قرشا وعلى الجمل ستين قرشا وعلى الشاه قرش والراس من المعز سبعه وعشرين ونصفا وثلث والبقره خمسه عشر والفرس كذلك.

*ومنها احتكار الصابون ويحجز جميع الوارد على ذمة الباشا ثم سومح تجاره بشرط أن يكون جميع صابون الباشا ومرتباته ودايرته من غير تمن، وهو شى كثير، ويستقر تمنه على ستين نصفا بعد أن كان بخمسين جردا من غير نقو.

*احتكار تجارة الصابون.

*ومنها ما أحدث على البلح بأنواعه وما يجلب من الصعيد والإبريمى وأنواع العجوه حتى الجريد النخل والليف والخوص يوخذ جميع ذلك بالتمن القليل ويباع ذلك للمتسببين بالتمن الزايد وعلى الناس بأزيد من ذلك، وفى هذه السنه لم تثمر النخيل إلا القليل جدا ولم يظهر البلح الأحمر فى أيام وفرته ولم يوجد بالأسواق إلا أياما قليله وهو شى ردى وبسر ليس بجيد، ورطله بخمسة أنصاف وهى تمن العشره أرطال فى السابق، وكذلك العنب لم يظهر منه إلا القليل



وهو الفيومى والشرقاوى، وقد التزم به من يعصره شرابا بأكياس كثيره مع غيره من الأصناف وغير ذلك جزئيات لم يصل إلينا علمها، ومنها ما وصل إلينا علمها وأهملنا ذكرها.

*نهب الافرنج للآثار المصرية.

*ومنها أن حسن باشا سافر إلى الجهه القبليه وصحبته بعض الإفرنج الذين كان رخص لهم الباشا السياحه والغوص بأراضى الصعيد والفحص وفحر الأراضى والكهوف والبرابى واستخرج الآثار القديمه والأمم السالفه من التماثيل والتصاوير ونواويس الموتى وقطع الصخور بالبارود.

وأشاعوا أنه ظهر لهم شى مخرفش يشبه خرء



الرصاص أو الحديد وبه بعض بريق ذكروا أنه معدن إذا تصفى خرج منه فضه وذهب، وأخبرنى بعض من أثق بخبره* أنه أخذ منه قطعه تزيد فى الوزن على رطلين وذهب بها عند رجل صايغ فأوقد عليها نحو قنطار من الفحم بطول النهار فخرج منها فى آخر الأمر، وهو ينقلها من بوط إلى آخر بعد كسره، قطعه مثل الرصاص قدر الأوقيه، وذكرو أيضا أن بالجبل أحجارا سودا توقد فى النار مثل الفحم*، وذلك لأنهم أتوا بمثل ذلك من بلاد الإفرنج وأوقدوها بالضربخانه كريهه الريحه مثل الكبريت ولاتصير رمادا بل تبقى على حجريتها مع تغير اللون ويحتاج إلى نقلها إلى الكيمان.

* هو الشيخ عمر الناوى المخلصى. انظر اول احداث شهر المحرم ١٢٣٥هـ.

*الكشف عن الفحم الحجرى.

وقالوا إنه بداخل جبال الصعيد كذلك، فسافر حسن باشا بقصد استخراج هذه الأشيا وأمثالها فأقام نحو تلاته أشهر وذلك بأمر الباشا الكبير وهم يكسرون الجبل بالبارود فظهر بالجبل بجس يسيل منه دهن أسود بزرقه ورائحته زنجه كبريتيه يشبه النفط، وليس هو، وأتوا بشى منه إلى مصر، وأوقدوا منه فى السرج فملوا منه سبعة مصافى وانقطع، وأشيع فى الناس قبل تحقق صورته، بل وصلت مكاتبات، بأنه خرج من الجبل عين تسهيل بالزيت الطيب ولاينقطع جريانها يكفى مصر وأقطاعها بل والدنيا أيضا، وأخبرنى بعض أتباعهم أن الذى صرف هذه المره نحو الألفى كيس.

*تمرد حاكم بلاد الارنؤد [البانيا] على باشا على السلطان العثمانى، انظر تقديم هذا الجزء لمعرفة احداث على باشا تبه دنلى باعتبارها من العوامل التى شجعت محمد على فى تجربته بمصر.

ومن حوادث هذه السته الخارجه عن أرض مصر أن السلطان محمود تغير خاطره على علىّ باشا المعروف بتبه دنلى حاكم بلاد الأرنؤد [الباتيا] وجرد عليه العساكر ووقع لهم معه حروب ووقايع واستولوا على أكثر البلاد التى فى حكمه وتحصن هو فى قلعه منيعه، وعلى باشا هذا فى مملكه واسعه وجنوده كثيره وله عده أولاد متأمرين كذلك، وبلادهم بين بلاد الرومنلى والنيمسا، ويقال إن بعض أولاده دخل تحت الطاعه وكذلك الكثير عن عساكره، وبقى الأمر على ذلك ودخل الشتا وانقضت السنه ولم يتحقق عنه خبر.

*زيادة أسعار الجملة بالنصف فضة.
الفرانسة ٤٨٠
البندقى ١٠٠٠
المجر ١٠٠٠

ومنها أمر المعامله وما يقع فيها من التخليط والزياده حتى بلغ صرف الريال الفرانسه اثنى عشر قرشا عنها أربعمايه وثمانون نصفا والبندقى ألف فضه وكذلك

المجر والفندقلى الإسلامى سبعه عشر قرشا والقرش الإسلامبولى بمعنى المضروب هناك والمنقول إلى مصر يصرف بقرشين وربع يزيد عن المصرى ستين نصفا.

كذلك الفندقلى الإسلامبولى يصرف فى بلدته بأحد عشر قرشا وبمصر بسبعه عشر كما تقدم، فتكون زيادته سته قروش، وكذلك الفرانسا فى بلادها تصرف بأربعة قروش وإسلامبول بسبعه وبمصر باثنى عشر.

*تقرير عن الأحوال المالية للجبرتى يتسم بالوعى الشديد.

وأما الأنصاف العدديه التى تذكر فى المصارفات فلا وجود بها أصلا إلا فى النادر جدا، واستغنى الناس عنها لغلو الأثمان فى جميع المبيعات والمشتريات، وصار البشلك الذى يقال له الخمساويه أى صرفه خمسه أنصاف هى بدل النصف، لأنه لما بطل ضرب القروش بضربخانه مصر وعوض عنها نصف القرش وربعه وثمنه الذى هو البشلك، ولم يبق بالقطر إلا ما كان موجودا قبل، وهو كثير يتناقل بأيدى الناس وأهل القرى ويعود إلى الخزينه ويصرف فى المصارف والمشاهرات وعلايف العساكر، وهم كذلك يشترون لوازمهم [بها] فتذهب وتعود هكذا تدور الفلك كلما دار، ويصرف القرض عند الاحتياج إلى صرفه بسبعه من البشلك بنقص الثمن فباعتبار كونها فى مقام النصف يكون القرش بسبعه أنصاف لاغير، وباعتبار ذالك يكون الألف فضه بمايه وخمسه وسبعين فضه، لأن الخمسه وعشرين قرشا التى هى بدل الألف إذا نقصت فى المصارفه الثمن تكون إحدى وعشرين وإذا ضربنا

*القرش يساوى سبعة أنصاف.

السبعه في الخمسه وعشرين كانت مايه وخمسه وسبعين وفيها من الفضه الخالصه سته دراهم لاغير، وأوزان هذه القطع مختلفه لاتجد قطعه وزن نظيرتها وفي ذلك فرط آخر والقليل في الكثير كثير، والذى أدركناه في الزمن السابق أن هذه القروش لم يكن لها وجود بالقطر المصرى ألبته.

وأول من أحدثها بمصر على بك [الكبير] القازدغلى بعد الثمانين ومايه وألف عندما استحفل أمره وأكثر من العساكر والنفقات وأظهر العصيان على الدوله، ولما استولى محمد بك المعروف بأبى الدهب أبطلها راسا من الإقليم وخسر الناس بسبب إبطالها حصه من أموالهم مع فرحهم بابطالها، ولم يتاثروا بتلك الخساره لكثره الخير والمكاسب، ولم يبق من أصناف المعامله إلا أنواع الدهب الإسلامى والإفرنجى والفرانسه ونصفه وربعه والفضه الصغيره التى يقال لها نصف فضه مع رخا الأسعار وكثره المكاسب.

ويصرف هذا النصف بعدد من الأفلس النحاس التى يقال لها الجدد إما عشره، أو إثنتا عشر إذا كانت مضروبه ومختومه، أو عشرين إذا كانت صغيره وبخلاف ذلك، ويقال لها السحاته، فكان غالب المحقرات يقضى بهذه الجدد، بل وخلاف المحضرات، وفى البيع والشرا.

وكان يجلب منها الكثير مع الحجاج المغاربه فى

المخالى ويبيعونها على أهل الأسواق بوزن الأرطال، ويربحون فيها، فكان الفقير أو الأجير إذا اكتسب نصفا وصرفه بهذه الجدد كفاه نفقه يومه مع رخاء الأسعار، ويشترى منها خبزا وأدما.

وإذا احتاج الطابخ لوازم الطبخه فى التقليه أخذ من البقال البصل والثوم والسلق والكسبره والبقدونس والفجل والكراث والليمون الصنف أو الصنفين أو التلاته بالجديد الواحد، وقد انعدمت هذه الجدد بالكليه، وإذا وجدت فلا ينتفع بها أصلا.

وصار النصف الفضه بمنزلة الجديد النحاس، ولاوجود له أيضا، وصارت الخمسمايه بمنزلة النصف بل وأحقر، لأنه كان يصرف بعدد كثير من الجدد، وهذه بخمسه فقط، فإذا أخذ الشخص شيا من المحقرات بنصف أو نصفين أو تلاته، ما كان يؤخذ بجديد أو جديدين، ولم يجد عند البايع بقية الخمساويه، فإما يترك الباقى لوقت احتياج آخر إن كان يعرفه، وإلا تعطلا.

وإذا كان الإنسان بالسوق ولحقه العطش فيشرب من السقاء الطواف ويعطيه جديدا، أو يملأ صاحب الحانوت إبريقه بجديد.

وفى هذه الأيام :إذا كان الشخص لم يكن معه بشلك يشرب به، وإلا بقى عطشانا حتى يشرب من دارد، ولايهون عليه أن يدفع ثمن قربه فى شربة ماء، وذلك

لعدم وجود النصف، وكذلك الصدقه على ألفقرا وأمثالهم، وقد كان الناس من أرباب البيوت إذا زاد بعد ثمن اللحم والخضار نصفٌ يسألون الخادم فى اليوم التانى عنه لكونه نصف المصروف، ويحاسبونه عليه.

وكان صاحب العيال وذوو البيوت المحتويه على عدة أشخاص من عيال وجوار وخدم، إذا ادخر الغله والسمن والعسل والحطب ونحو ذلك: يكفيه فى مصروف يومه العشرة أنصاف فى ثمن اللحم والخضار وخلافه، وأما اليوم فلا يقوم مقامها العشرة قروش وأزيد، لغلو الأسعار فى كل شى، بسبب الحوادث والاحتكارات السابقه والمتجدده كل وقت فى جميع الأصناف، ولايخفى أن أسباب الخراب *التى نص عليها المتقدمون اجتمعت وتضاعفت فى هذه السنين، وهى زياده الخراج واختلال المعامله أيضا والمكوس، وزاد على ذلك احتكار جميع الأصناف والاستيلا على أرزاق الناس، فلا تجد مرزوقا إلا من كان فى خدمة الدوله متوليا على نوع من أنواع المكوس، أو مباشرا أو كاتبا أو صانعا فى الصنايع المحدثه، ولايخلو من هفوه ينم بها عليه، فيحاسب مدة استيلاه، فيجمع عليه جمله من الأكياس فيلزم بدفعها، وربما باع داره ومتاعه فلا يفى بما تأخر عليه، فإما يهرب إن أمكنه الهرب، وإما يبقى فى الحبس.

*ازدياد الاحتكارات وأسباب الخراب.

هذا إن كان من أبناء العرب وأهالى البلده، وأما إن كان بخلاف ذلك فربما سومح، أو تصدى له من يخفف

عنه، أو يدخله فى منصب أو شركه فيترفع حاله، ويرجع أحسن ما كان.

ومما حدث :أيضا فى هذه السنه الاستيلا على صناعة المخيش والقصب والتلى الذى يصنع من الفضه للطرازات والمقصبات والمناديل والمحارم وخلافها من الملابس، وذلك بإغرا بعض صناعهم وتحاسدهم وأن مكسبها يزيد على ألف كيس فى السنه، لأن غالب الحوادث بإغرا الناس على بعضهم البعض، وكذلك الاستيلا على وكالة الجلابه التى بياع فيها الرقيق من العبيد والجوارى السود وغيرهم من البضايع التى تجلب من بلاد السودان كسن الفيل والتمر هندى والشتم، وروايا الماء وريش النعام وغير ذلك.

ومنها :الحجر على عسل النحل وشمعه، فيضبط جميعه للدوله، ويباع رطل الشمع بستة قروش، ولا يوجد إلا ما كان مختلسا، ويباع خفيه، وكان رطله قبل الحجر بثلاثه قروش، فإذا وردت مراكب إلى الساحل نزل إليها المفتشون على الأشيا ومن جملتها الشمع، فيأخذون ما يجدونه، ويحسب لهم بأبخس ثمن فإن أخفى شيئا وعثروا عليه أخذوه بلا ثمن، ونكلوا بالشخص الذى يجدون معه ذلك، وسموه حراميا ليرتدع غيره، والمتولى على ذلك نصارى، وأعوانهم لادين لهم.

*احتكار العسل النحل وشمعه.

وقد هاف النحل فى هذه السنه، وامتنع وجود العسل،

وكـذلك ثمـر النخـيل بـل والغـلال، فلم تزل فـى هذه السنين مع كثرة الأسيال التى غرقت منها الأراضى بل وتعطل بسببها الزرع وزادت أثمانها وخصوصا الفول، وأما العدس فـلا يوجد أيضا إلا نادرا، وكـذلك التزم بالملاحه وتوابعهـا من زاد فى مالهـا، وبلغ ثمن الكيله قرشا، وكانت قبل ذلك بتلاتين نصفا، وفيما أدركنا بتلاتة أنصاف.

وأما أجر الأجرا والفعله والمعمرين فأبدل النصف بالقرش، وكذلك ثمن الجير البلدى والجبس، لأن عماير أهل الدوله مستديمه لاتنقضى أبدا، ونقل الأتربه إلى الكيمان على قطارات الجمال والحمير من شروق الشمس إلى غروبها حتى ستر علوها الأفق من كل ناحيه.

وإذا بنى أحدهم دارا فلا يكفيه فى ساحتها الكثير، ويأخذما حولها من دور الناس بدون القيمه، ليوسع بها دراه، ويأخذ مابقى فى تلك الخطه لخاصته وأهل دايرته، ثم يبنى أخرى كذلك لديوانه وجمعيته وأخرى لعسكره، وهكذا.

*انشاء الأسواق الكبرى بالأجرة على يد سليمان اغا السلحدار.

وأما سليمان أغا السلحدار :فهو الداهيه العظمى والمصيبه الكبرى، فإنه تسلط على بقايا المساجد والمدارس والتكايا التى بالصحرا، ونقل أحجارها إلى داخل باب البرقيه المعروف بالغريب، وكذلك ما كان جهه باب النصر، وجمعوا أحجارها خارج باب النصر،

وأنشا جهه خان الخليلى وكاله، وجعل بها حواصل وطباقا وأسكنها نصارى الأروام والأرمن بأجره زايده أضعاف الأجر المعتاده، وكذلك غيرهم ممن رغب فى السكنى، وفتح لها باب يخرج منه إلى وكالة الجلابه الشهيره التى بالخراطين، لأنها بظاهرها، وأجر الحوانيت كذلك بأجره زايده، فأجر الحانوت بثلاثين قرشا فى الشهر.

وكانت الحانوت توجر بثلاثين نصفا فى الشهر، والعجب فى إقدام الناس على ذلك وإسراعهم فى تؤاجرهم قبل فراغ بناها مع ادعاهم قله المكاسب ووقف الحال، ولكنهم أيضا يستخرجونها من لحم الزبون وعظمه.

ثم أخذ بناحيه داخل باب النصر مكانا متسعا يسمى حوش عطى بضم العين وفتح الطاء وسكون الياء، وكان محطا لعربان الطور ونحوهم، إذا وردوا بقوافلهم بالفحم والقلى وغيره، وكذلك أهالى شرقية بلبيس، فأنشا فى ذلك المكان أبنيه عظيمه تحتوى على خانات متداخله وحوانيت وقهاوى ومساكن وطباق، وسكن غالبها ايضا الأرمن وخلافهم بالأجر الزايد، ثم انتقل إلى جهة خان الخليلى، فأخذ الخان المعروف بخان القهوه وما حوله من البيوت والأماكن والحوانيت والجامع المجاور لذلك، تصلى فيه الجمعه بالخطبه، فهدم ذلك جميعه.

وأنشاه خانا كبيرا يحتوى على حواصل وطباق وحوانيت عدتها أربعون حانوتا، أجره كل حانوت ثلاثون قرشا فى كل شهر، وأنشا فوق السبيل وبعض الحوانيت زوايه لطيفه يصعد إليها بدرج عوضا عن الجامع.

ثم انتقل إلى جهة الخرنفش بخط الأمشاطيه فأخذ أماكن ودورا وهدمها، وهو الآن مجتهد فى تعميرها كذلك، فكان يطلب رب المكان ليعطيه التمن، فلا يجد يدا من الإجابه، فيدفع له ما سمى به نفسه إن شاء عشر التمن أو أقل أو أزيد بقليل، وذلك لشفاعه أو واسطه خير، وإذا قيل له إنه وقف *ولامسوغ لاستبداله لعدم تخربه، أمر بتخريبه ليلا، ثم يأتى بكشاف القاضى فيراه خرابا فيقضى له، وكان يثقل عليه لفظة وقف، ويقول :إيش يعنى وقف، وإذا كان على المكان حكر لجهة وقف أصله لايدفعه ولايلتفت لتلك اللفظه أيضا، ويتمم عمايره فى أسرع وقت لعسفه وقوه مراسه على أرباب الأشغال والمؤانه، ولايطلق للفعله الرواح بل يحبسهم على الدوام إلى باكر النهار، ويوقظونهم من آخر الليل بالضرب، ويبتدون فى العمل من وقت صلاة الشفع إلى قبيل الغروب، حتى فى شدة الحر فى رمضان، وإذا ضجوا من الحر والعطش أمرهم مشد [المقاول] العماره بالشرب، وأحضر لهم السقا ليسقيهم، وظن أكثر الناس أن هذه العماير إنما هى للمخدومه، لأنه لايسمع الشكوى أحد فيه.

*هجوم محمد على الأوقاف وتصفيته بعضها.

والشتد فى هذا التاريخ أمر المساكن بالمدينه وضاقت

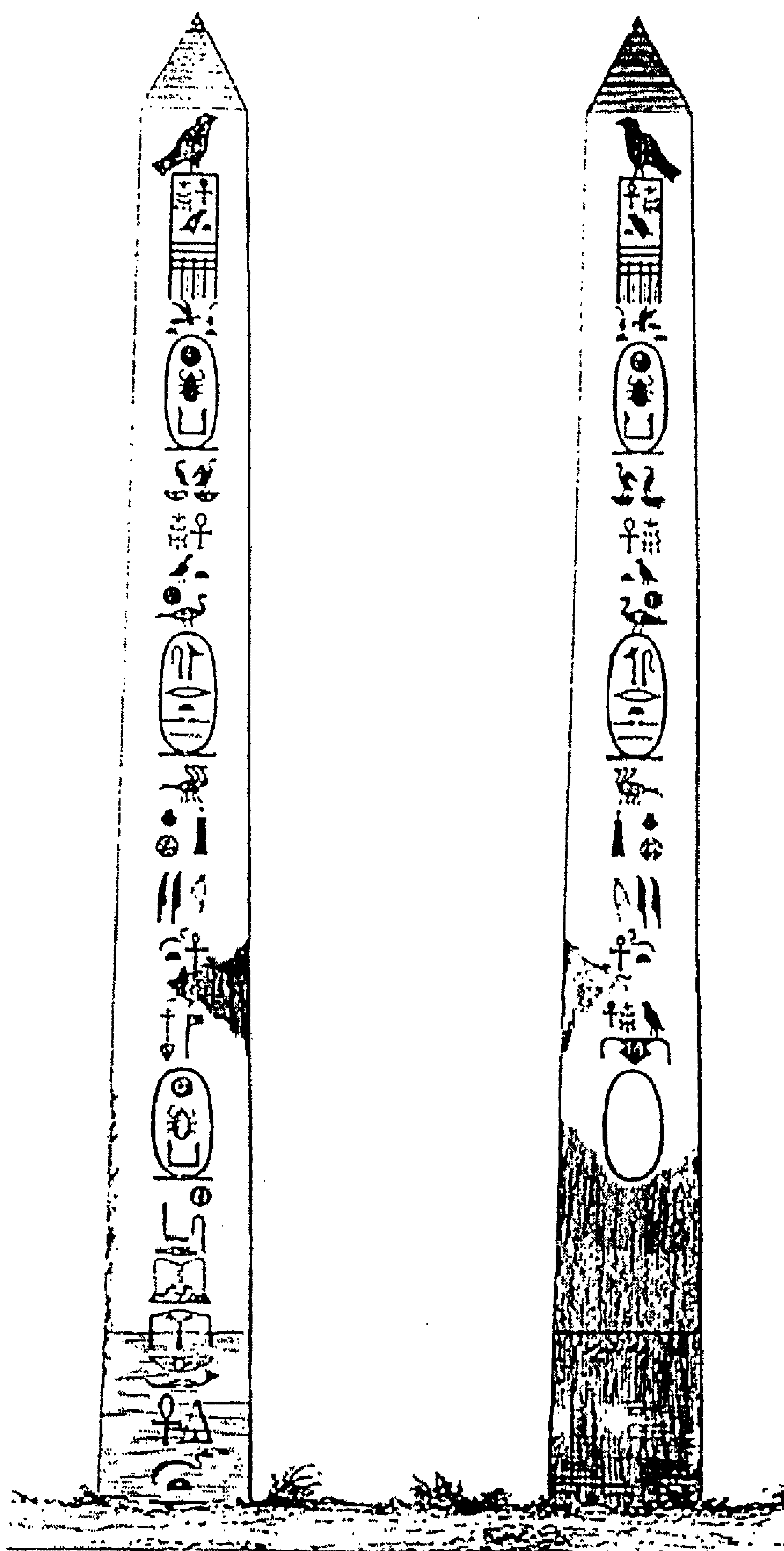
بأهلها لشمول الخراب وكثرة الأغراب، وخصوصا المخالفين للملة، فهم الآن أعيان الناس، يتقلدون المناصب، ويلبسون ثياب الأكابر، ويركبون البغال والخيول المسومه، والرهوانات، وأمامهم وخلفهم العبيد والخدم وبأيديهم العصى يطردون الناس ويفرجون لهم الطرق، ويتسرون بالجوارى بيضا وحبوشا، ويسكنون المساكن العاليه الجليله، ويشترونها بأغلى الأثمان، ومنهم من له دار بالمدينه ودار مطله على البحر [النيل] للنزاهه، ومنهم من عمر له دارا وصرف عليها ألوفا من الأكياس.

وكذلك أكابر الدوله لاستيلا كل من كان فى خطه على جميع دورها وأخذها من أربابها بأى وجه، وتوصلوا بتقليدهم مناصب البدع إلى إذلال المسلمين، لأنهم يحتاجون إلى كتبه وخدم وأعوان، والتحكم فى أهل الحرفه بالضرب والشتم والحبس من غير إنكار، ويقف الشريف والعامى بين يدى الكافر ذليلا، فضاقت بالناس المساكن وزادت قيمتها أضعاف الأضعاف، وأبدل لفظ الريال الذى كان يذكرهم فى قيم الأشيا بالكيس، وكذلك الأجر، والأمر فى كل شى فى الازدياد، والله لطيف بالعباد.

ولو أردنا استيفا بعض الكليات فضلا عن الجزئيات لطال المقام وامتد الحال.

وعشنا ومتنا ما نرى غير مانرى تشابهت العجما وزاد اتعجامها

نسأل الله حسن اليقين وسلامة الدين.



وجهى مسلة عين شمس (سيزوستريس الأول)



ثم دخلت سنه ست وتلاتين ومايتين وألف
[١٨٢٠م]

استهل شهر المحرم بيوم الاتنين :وفى أوايله حضر الباشا من الإسكندريه.

[حادثة الشيخ إبراهيم المالكى التى حرم فيها أكل ذبيحة أهل الكتاب] وفيه من الحوادث: أن الشيخ إبراهيم الشهير بباشا المالكى بالإسكندريه قرر فى درس الفقه أن ذبيحه أهل الكتاب فى حكم الميته لايجوز أكلها، وما ورد من إطلاق الآيه فإنه قبل أن

١٢٣٦هـ.
١٥٣٧.
١٨٢٠م.

- فى ٢٨ محرم /٦ نوفمبر استيلاء إسماعيل باشا. نجل محمد على باشا، على كورتى.
- ٥صفر حكمت المحكمة الانكليزية ببراءة ساحة الملكة كارولتيه، زوجة الملك جورجى الرابع.
- ١ يناير ١٨٢١ =٢٤ كيهك ١٥٣٧= الاثنين ٢٦ ربيع أول ١٢٣٦.
- وفى هذه السنة أرسل محمد على باشا معدنجية من الانكليز للبحث عن الفحم الحجرى ما بين أسوان والسويس ورسالة أخرى لكشف معدن الذهب فى شبه جزيرة الطور وخليج العقبة.
- وفيها ابتدا شامبليون بترجمة الهيروجليف أى القلم المصرى القديم.
- وفيها ابتدات المناوشات بين التركية واليونان بقصد استقلالهم.
- فى ٢ جماد الثانى ٨ مارس ١٨٢١م استيلاء إسماعيل باشا على مدينة بربر.
- وفى ١٩ من جماد الثانى دخلت عساكر أوستوريا فى نابولى.
- وفى هذه السنة حكم محمد على باشا على الشيخ إبراهيم باشا بالنفى إلى بنى غازى لأمر حصل منه.
- فى ٢ شعبان وفاة نابليون الأول فى جزيرة سن هيلينه.
وفى ٤ شعبان دخل إسماعيل باشا مدينة شندى.
- فى ١٨ شوال كان تتويج جورجى الرابع ملك الانكليز.
- اتوت ١٥٣٨ =١٠ سبتمبر ١٨٢١= الاثنين ١٢ ذو الحجة ١٢٣٦ .

يغيروا ويبدلوا فى كتبهم .فلما سمع فقها الثغر ذلك أنكروه واستغربوه، ثم تكلموا مع الشيخ إبراهيم المذكور وعارضوه، فقال أنا لم أذكر ذلك بفهمى وعلمى، وإنما تلقيت ذلك عن الشيخ على الميلى المغربى، وهو رجل عالم متورع موثوق بعلمه.

ثم إنه أرسل إلى شيخه المذكور بمصر يعلمه بالواقع، فألف رساله فى خصوص ذلك وأطنب فيها، فذكر أقوال المشايخ والخلافات فى المذاهب، واعتمد قول الإمام الطرشوشى فى المنع وعدم الحل، وحشا الرساله بالحط على علما الوقت وحكامه، وهى نحو التلاته عشر كراسه، وأرسلها إلى الشيخ إبراهيم فقراها على أهل الثغر فكثر اللغط والإنكار خصوصا وأهل الوقت وأكثرهم مخالفون للمله.

وانتهى الأمر إلى الباشا فكتب مرسوما إلى كتخدا بك بمصر وتقدم إليه بأن يجمع مشايخ الوقت لتحقيق المسأله، وأرسل إليه بالرساله أيضا المصنفه، فأحضر كتخدا بك المشايخ، وعرض عليهم الأمر فلطف الشيخ محمد العروسى العباره وقال الشيخ على الميلى رجل من العلما تلقى عن مشايخنا ومشايخهم لاينكر علمه وفضله، وهو منعزل عن خلطه الناس إلا أنه حاد المزاج وبعقله بعض خلل، والأولى أن نجتمع به ونتذاكر فى غير مجلسكم وننهى بعد ذلك الأمر إليكم، فاجتمعوا فى تاتى يوم وأرسلوا إلى الشيخ على يدعونه للمناظره فأبى عن الحضور.

وأرسل الجواب مع شخصين من مجاورى المغاربه يقولان :إنه لايحضر مع الغوغا، بل يكون فى مجلس خاص يتناظر فيه مع الشيخ محمد ابن الأمير بحضرة الشيخ حسن القويسنى والشيخ حسن العطار فقط، لأن ابن الأمير يناقشه، ويشن عليه الغاره، فلما قالا ذلك القول تغير ابن الأمير، وأرعد، وأبرق، وتشاتم بعض من بالمجلس مع الرسل، وعند ذلك أمروا بحبسهما فى بيت الأغا، وأمروا الأغا بالذهاب إلى بيت الشيخ على وإحضاره بالمجلس ولو قهرا عنه، فركب الأغا وذهب إلى بيت المذكور فوجده قد تغيب، فأخرج زوجته ومن معها من البيت وسمر البيت، فذهبت إلى بيت بعض الجيران.

ثم كتبوا عرضا محضرا، وذكروا فيه بأن الشيخ على على خلاف الحق، وأبى عن حضور مجلس العلما والمناظره معهم فى تحقيق المسأله، وهرب واختفى لكونه على خلاف الحق .ولو كان على الحق ما اختفى ولاهرب، والرأى لحضرة الباشا فيه إذا ظهر، وكذلك فى الشيخ إبراهيم باشا السكندرى، وتمموا العرض وأمضوه بالختوم الكثيره وأرسلوه إلى الباشا، وبعد أيام أطلقوا الشخصين من حبس الأغا ورفعوا الختم عن بيت الشيخ على، ورجع أهله إليه.

حضر الباشا إلى مصر فى أوايل الشهر، ورسم بنفى الشيخ إبراهيم باشا إلى بنى غازى، ولم يظهر الشيخ على من اختفاه.

واستهل شهر صفر بيوم الأربع [سنه ١٢٣٦]

وفى أوايله :حضر إبراهيم باشا من الجهه القبليه بعد ما طاف الفيوم أيضا، وأحضر معه جمله أشخاص قبض عليهم من المفسدين من العربان، وهم فى الجنازير الحديد، وشقوا بهم البلد، ثم حبسوهم.

واستهل شهر ربيع الأول بيوم الخميس [سنه ١٢٣٦]

وفى أوايله :حضر نحو العشرة أشخاص من الأمرا المصريه البواقى فى حاله رثه وضعف وضيم، واحتياج واجتياح، وكانوا أرسلوا وطلبوا الأمان، وأجيبوا إلى ذلك.

وفيه :أشهروا العربان الذين أحضرهم إبراهيم باشا معه وقتلوهم :وهم أربعه اثنان بالرميله، واثنان بباب زويله.

واستهل ربيع التانى بيوم السبت [سنه ١٢٣٦]

وفيه :أخرج الباشا عبد الله بك الدرندلى منفيا، وكان عبد الله بك هذا يسكن بخطه الخرنفش، وهو رجل فيه سكون قليل الأذى، وملك بتلك الناحيه دُورا وأماكن، وله عزوه وعساكر وأتباع، وكان يجلس بحضرة الباشا وينادمه، ويتوسع معه فى الكلام والمسامره، وسبب

تغير خاطر الباشا عليه أنه جرى ذكر على باشا تبه دنلى الأرتؤدى وحروبه ومخالفة العساكر عليه، فقال عبد الله المذكور إن العساكر يرون محاربه السلطان معصيه *أو كلاما هذا معناه.

*كان محمد على قد بدء تمرده على السلطنة العثمانية فاوجعه هذا الكلام.

فتغير وجه الباشا من ذلك القول، ويقال إنه أمر بقتله فشفع فيه محسن باشا ظاهر من القتل، وأن يخرج منفيا، وهكذا أشيع واستفيض، وانضم إلى ذلك أنه قال لشريف بك أمين الخزنه عند تأخر علوفته خدمة نصرانى أحسن من خدمتكم مع المشاجره، فبلغها شريف بك للباشا أيضا، وأوغر صدره عليه، ودفع له الباشا علوفته، وثمن ما حازه من الأماكن والأملاك، ووصله ذلك على عدة جمال محمله بالدراهم، وسافر فى تامنه على طريق البر، وأبقى حريمه وأثقاله ليأتوه على سفن البحر.

وفى سادس عشره : أمر الباشا بقراءه صحيح البخارى بالجامع الأزهر، فاجتمعوا فى يوم الاتنين سابع عشره وقروا فى الأجزاء على العاده ضحوه النهار وأربعه أيام آخرها الخميس، وفرقوا على أولاد المكاتب دراهم، وكذلك على مجاورى الأزهر فى نظير قراءه البخارى.

واستهل شهر جمادى الأولى بيوم الأحد [سنه ١٢٣٦]

فيه حضر إبراهيم باشا، ونزل بقصره الجديد بل

قصوره، لأنه أنشا عدة قصور متصله وبساتين ومصانع متصله متسعه مزخرفه، منها قصر لديوانه وقصر لحريمه، وقصر لخصوص عباس باشا ابن أخيه، وغير ذلك.

واستهل شهر جمادى الثانيه بيوم التلات [سنه ١٢٣٦]

*إعادة قياس أراضى قرى مصر.

فيه :عزم إبراهيم باشا على إعاده قياس أراضى قرى مصر، وأحضر من بلاد الصعيد عده كبيره من القياسين نحو الستين شخصا.

وفى يوم السبت خامسه :عدى إلى الجيزه تجاه القصور، وجمع القياسين والمهندسين، وكذلك مهندسى الإفرنج، وقاس كل قياسته وكيفيه عمله فعاند المعلم غالى، وأحب تأييد أهل حرفته من قياسى القبط، وقال كل منهم على الصحيح، وعلم إبراهيم باشا أن قياس المهندسين، وأرباب المساحه أصح، ولكن فيها بطء، فقال أريد الصحيح ولكن مع السرعه بعد أن عمل إمتحانا ومثالا فى قطعه من الأرض يظهر بها برهان الصحه والتفاوت، وأمسى الوقت فأمرهم بالذهاب والرجوع يوم الخميس الآتى، فحضروا كذلك. واشتغلوا يومهم بالعمل إلى آخر النهار، ثم إختار من مهندسى الأقباط طايفه وطرد الآخرين.

وسافر فى رابع عشره إلى ناحية شرق إطفيح، وأخذ من المهندسخانه كبيرها وصحبته سبعه عشر شخصا.

وكذلك أشخاصا من الإفرنج المهندسين، وانتقصوا من القصبه فى هذه المره مقدار قبضه.

واستهل شهر رجب بيوم الخميس [سنه ١٢٣٦]

فيه :سافر مماليك الباشا إلى جهة أسيوط مثل العام الماضى ليكرتنوا هناك حذرا وخوفا عليهم من حدوث الطاعون بمصر .وفى سابع عشره :إرتحل محمد بك الدفتردار مسافرا إلى دارفور ببلاد السودان بعد أن تقدمه طوايف كثيره عساكر وأتراك ومغاربة.

*سفر محمد بك الدفتردار بتجريده إلى دارفور.

وفى خامس عشرينه أمر الباشا بنفى محمد المعروف بالدرويش كتخدا محمود بك الذى هو الآن كتخدا بك والسيد أحمد الرشيدى كاتب الرزق، وسليمان أفندى ناظر المدابغ والجلود تلاتتهم إلى قلعه أبى قير لمقتضيات واهيه فى خدم مناصبهم، ومحمد كتخدا كان ناظرا على الجلود فى العام الماضى قبل سليمان أفندى المذكور.

وفى أواخره حضر جماعه من المماليك المصريه الذين كانوا بدنقله، فيهم تلاته صناجق أحدهم أحمد بك الألفى، وهو زوج عديله هانم بنت إبراهيم بك الكبير.

*وصول أحمد بك الألفى زوج عديلة هانم بنت إبراهيم بك الكبير من السودان.

واستهل شهر شعبان بيوم الجمعه [سنه ١٢٣٦]

وفى تامنه يوم الجمعه عمل سليمان أغا السلحدار الجمعيه بالجامع المعروف بالأحمر، وكان قد تخرب، ولم يبق به إلا الجدران، فتصدى لعمارته سليما أغا المذكور وسقفه أيضا بأفلاق النخيل والجريد والبوص، وأقام له عمدا من الحجاره وجدد منبره وبلاطه وميضاته ومراحيضه وفرشه بالحصر، وعمل به الجمعيه فى ذلك اليوم، واجتمع به عالم كثيرون من الناس، وخطب على منبره الشيخ محمد الأمير وبعد انقضا الصلاه قرا درسا وأملى فيه حديث :من بنى لله مسجدا *وبعد انقضا ذلك خلع عليه فروه وكذلك على الشيخ العروسى وعمل لهم شربات سكر.

*من بنى لله مسجداً ولو مكَفَحْصِ قطاة لبيضها بنى الله له بيتاً فى الجنة.

وفى يوم السبت تالت عشرينه .حضر إبراهيم باشا من ناحيه شرق إطفيح.

وفى يوم التلات سادس عشرينه سافر بمن معه إلى ناحية شرقيه بلبيس.

واستهل شهر رمضان بيوم الأحد [سنه ١٢٣٦]

وعملت الرؤيه فى تلك الليله كالعاده، وركب فيها مشايخ الحرف والمحتسب، وأثبتوا رؤيه الهلال تلك الليله بعد مضى أربع ساعات من الليل، ولم يحصل

*رؤية هلال رمضان.

فيه من الحوادث غير تغالى الأثمان وتعاليها بسو فعل السوقه، وإظهار ردى المأكولات وإخفاء جدها، وقد انقضى بخير.

واستهل شهر شوال بيوم التلات [سنه ١٢٣٦]

*حضور هجانة ببقية المتمردين من الوهابية.

فى تالتـه : حضرت هجانه من أراضى نجد وبصحبتهم أشخاص من كبار الوهابيه مقيدون على الجمال، وهم عمر بن عبد العزيز وأولاده وأبنا عمه، وذلك أنهم لما رجعوا إلى الدرعيه بعد رحيل إبراهيم باشا وعساكره، وكان معهم مشارى بن مسعود، وقد كانوا هربوا فى الدرعيه بعد ما رحل عنها إبراهيم باشا، وتركى بن عبد الله بن أخى عبد العزيز وولد عم مسعود الأمشارى فإنه هرب من العسكر الذين كانوا من أولاد مسعود وجماعتهم حين أرسلهم إبراهيم باشا إلى مصر فى الحمرا، وهى قريه بين الجديده وينبع البحر، وذهب إلى الدرعيه، واجتمع من فر حين قدمت العساكر، وأخذوا فى تعميرها ورجع أكثر أهلها، وقدموا عليهم مشارى، ودعا الناس إلى طاعته، فأجابه الكثير منهم، فكادت تتسع دولته، وتعظم شوكته.

*حسين بك يحاصر قلعة الرياض باليمامة ويحتلها من الوهابيين.

فلما بلغ الباشا ذلك جهز له عساكر ريسها حسين بك، فأوثقوا مشارى، وأرسلوه إلى مصر فمات فى الطريق وأما عمر وأولاده وبنو عمه فتحصنوا فى قلعة الرياض المعروفه عند المتقدمين بحجر اليمامه، وبينها



إبراهيم باشا فى حروب الوهابية

وبين الدرعيه أربع ساعات للقافله، فنزل عليهم حسين بك وحاربهم تلاته أيام أو أربعه، وطلبوا الأمان لما علموا أنهم لاطاقه لهم به، فأعطاهم الأمان على أنفسهم، فخرجوا له إلا تركى، فإنه خرج من القلعه ليلا وهرب، وأما حسين بك فإنه قيد الجماعه وأرسلهم إلى مصر فى الشهر المذكور، وهم الآن مقيمون بمصر بخطه الحنفى قريبا من بيت جماعتهم الذين أتوا قبل هذا الوقت.

واستهل شهر ذى القعده بيوم الأربع [سنه ١٢٣٦]

فيه :حضر إبراهيم باشا من سرحته بالشرقيه بسبب

قياس الأراضى والمساحه.

وفى منتصفه :سافر الباشا إلى اسكندريه لداعى حركه الأروام *وغصيانهم وخروجهم عن الذمه ووقوفهم بمراكب كثيرة العدد بالبحر وقطعهم الطريق على المسافرين، واستيصالهم بالذبح والقتل، حتى إنهم أخذوا المراكب الخارجه من إسلامبول وفيها قاضى العسكر المتولى قضا مصر ومن بها أيضا من السفار والحجاج فقتلوهم ذبحا عن آخرهم ومعهم القاضى وحريمه وبناته وجواريه وغير ذلك، وشاع ذلك بالنواحى، وانقطعت السبل، فنزل الباشا إلى اسكندريه وشرع فى تشهيل مراكب مساعده للدونانمه السلطانيه، وسيأتى تتمه هذه الحادثه، وبعد سفر الباشا سافر أيضا إبراهيم باشا إلى ناحيه قبلى قاصدا بلاد النوبه.

*يشير الجبرتى إلى عصيان على باشا حاكم بلاد الارناؤد والقراصنة اليونان.

واستهل شهر ذى الحجه بيوم الجمعه [سنه ١٢٣٦]

فيه خرجت عساكر كثيرة ومعهم ريساهم وفيهم محو بك ومغاربه وآلات الحرب كالمدافع وجبخانات البارود واللغمجيه وجميع اللوازم قاصدين بلاد النوبه وما جاروها من بلاد السودان.

*تجاريد على النوبة والسودان.

وفيه :سافر أيضا محمد كتخدا لاظ المنفصل عن الكتخدايه إلى إسنا ليتلقى القادمين ويشيع الذاهبين.

*احتلال إسماعيل باشا سنار.

وفيه :وصلت بشاير من جهه قبلى باستيلا اسماعيل باشا على سنار بغير حرب ودخول أهلها تحت الطاعه، فضربت لتلك الأخبار مدافع من القلعه.

وانقضت هذه السنه وما تجدد بها من الحوادث، إنقضى بعضها والبعض باق الآن.

[موجز أحداث فى العام الماضى]

*فمنها :توقف زياده النيل، وذلك أنه لم يستتم أذرع الوفا إلى تامن عشر مسرى القبطى، حتى ضجر الناس وضج الفلاحون.

*أسعار العملة بالنصف فضة.
البندقى ١٢٠٠
المجر ٨٠٠
الفندقلى ٨٠٠
الفرانسة ٥٦٠

*ومنها :أمر المعامله التى زادت زياده فاحشه، حتى بلغ البندقى ألفا ومايتى ونصف والمجر والفندقلى عشرين قرشا عنها ثمانماية نصف، وبلغ صرف الريال الفرانسه أربعة عشر قرشا عنها خمسماية نصف وستون نصفا، وقس على ذلك باقى الأصناف.

*ومنها غلو الأثمان فى جميع المبيعات من ملبوسات ومأكولات والغلال حتى وصل الأردب إلى ألف وخمسماية نصف والرطل السمن إلى خمسين نصفا وإلى تسعين نصفا وقس على ذلك.

*لعل الجبرتى يشير هنا إلى تمرد على باشا حاكم بلاد

وأما حادثة الأروام :*التى هى باقيه إلى الآن وما وقع

منهم من الإفساد وقطع الطريق على المسافرين واستيلاهم على كل من صادفوه من مراكب المسلمين وخروجهم عن الذمه وعصيانهم وما وقع معهم من الوقايع، وما سينتهى حاله إليه .فسيتلى عليك إن شاء الله تعالى بكماله الجزء الأتى بعد ذلك والله الموفق للصواب، وإليه المرجع والمآب.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله
وصحبه وسلم
تم*

*إلى هنا ينتهى مخطوط جامعة القاهرة وقد وجد بآخر بعض النسخ مانصه: إلى هنا إنتهى مانقل من خط العلامة الشيخ عبد الرحمان الجبرتى مؤرخ هذه المدة وما قبلها لغاية هذا التاريخ سنة ١٢٣٦ وبعده توفى الشيخ ولم يكتب شيا.

الارنؤد [البانيا] على السلطنة العثمانية الذى ذكره فى موجز احداث العام الماضى مع ملاحظة انه فى نفس هذا الوقت كان اليونانيون قد أعلنوا تمردهم كذلك على السلطنة وخرجوا بسفنهم الخفيفة للقيام باعمال القرصنة ضد السفن العثمانية سواء ما كان قادماً أو خارجاً من موانى مصر والشام والاناضول.

وقد استمرت أعمال القرصنة هذه حتى قيام إبراهيم باشا بحملته الشهيرة على بلاد المورة واليونان سنة ١٢٤١/ ١٨٢٥م والتى انتهت باحتلاله للعاصمة اثينا سنة ١٨٢٧م، لكن تدخل الدول الاوربية (انجلترا، روسيا، فرنسا، الخ..) ضد إبراهيم باشا وقيام أساطيلهم بهجوم مفاجىء على الاسطول المصرى الرابض فى ميناء نافارين وتدميره أدى إلى انسحاب إبراهيم باشا.

المحتويات

ربيع ثان ١٢١٧

جماد أول ١٢١٧

جماد ثان ١٢١٧

رجب ١٢١٧

شعبان ١٢١٧

رمضان ١٢١٧

صفر ١٢١٨

ربيع أول ١٢١٨

ربيع ثان ١٢١٨

جماد أول ١٢١٨

جماد ثان ١٢١٨

رجب ١٢١٨

شعبان ١٢١٨

رمضان ١٢١٨

شوال ١٢١٨

محرم ١٢١٩

صفر ١٢١٩

ربيع اول ١٢١٩

ربيع ثان ١٢١٩

ذى الحجة ١٢١٩

ذكر من مات فى هذه السنة ١٢١٩ هـ = ١٨٠٤ م

أحداث عام ١٢٢٠ هـ (١٨٠٥ م) ---------------- ٣٩٩

محرم ١٢٢٠

صفر ١٢٢٠

ربيع أول ١٢٢٠

رمضان ١٢٢١

شوال ١٢٢١

ذى القعدة ١٢٢١

ذى الحجة ١٢٢١

ذكر من مات فى هذه السنة ١٢٢١هـ [١٨٠٥ م]

ربيع أول ١٢٢٢

ربيع ثان ١٢٢٢

جماد أول ١٢٢٢

جماد ثان ١٢٢٢

رجب ١٢٢٢

شعبان ١٢٢٢

أحداث عام ١٢٢٣ [١٨٠٨م] ---------------- ٧٣٥

شوال +ذو القعدة ١٢٢٣

ذو الحجة ١٢٢٣

ذكر من مات فى هذه السنة ١٢٢٣ [١٨٠٨م]

محرم ١٢٢٤

صفر ١٢٢٤

ربيع أول ١٢٢٤

ربيع ثان ١٢٢٤

جماد أول ١٢٢٤

جماد ثان ١٢٢٤

رجب ١٢٢٤

شعبان ١٢٢٤

محرم ١٢٢٥

صفر ١٢٢٥

ربيع أول ١٢٢٥

ربيع ثان ١٢٢٥

جماد أول ١٢٢٥

جماد ثان ١٢٢٥

ملاحق:

رجب ١٢٢٥

شعبان ١٢٢٥

رمضان ١٢٢٥

شوال ١٢٢٥

ذو القعدة + ذو الحجة ١٢٢٥

جماد أول ١٢٢٦

جماد ثان + رجب ١٢٢٦

شعبان + رمضان ١٢٢٦

شوال + ذو القعدة ١٢٢٦

ذو الحجة ١٢٢٦

محرم ١٢٢٧

صفر ١٢٢٧

ربيع أول ١٢٢٧

ربيع ثان ١٢٢٧

جماد ثان ١٢٢٧

رجب ١٢٢٧

شعبان ١٢٢٧

رمضان ١٢٢٧

شوال ١٢٢٧

ذو القعدة ١٢٢٧

ذو الحجة ١٢٢٧

ذو الحجة ١٢٢٨

ذكر من مات فى هذه السنة ١٢٢٨ هـ [١٨١٣م]

أحداث عام ١٢٢٩ هـ [١٨١٤م] ---------------- ١٠٩٩

محرم ١٢٢٩

صفر ١٢٢٩

ربيع أول ١٢٢٩

ربيع ثان ١٢٢٩

جماد أول ١٢٢٩

رجب ١٢٢٩

شعبان ١٢٢٩

رمضان ١٢٢٩

شوال ١٢٢٩

ذو القعده ١٢٢٩

ذو الحجة ١٢٢٩

ذكر من مات فى هذه السنة ١٢٢٩ هـ [١٨١٤م]

أحداث عام ١٢٣٠ هـ [١٨١٤م]

محرم ١٢٣٠

صفر ١٢٣٠

ربيع أول ١٢٣٠:

ذو القعده ١٢٣٠

ذى الحجه ١٢٣٠

ذكر من مات فى هذه السنة ١٢٣٠ هـ [١٨١٤م]

محرم ١٢٣١

صفر + ربيع أول ١٢٣١

ربيع ثان ١٢٣١

جماد اول + جماد ثان + رجب ١٢٣١

شعبان ١٢٣١

رمضان ١٢٣١

شوال ١٢٣١

ذو القعده ١٢٣١

أحداث عام ١٢٣٢ هـ [١٨١٦م]

رمضان ١٢٣٢

شوال ١٢٣٢

ذو القعده ١٢٣٢

ذو الحجة ١٢٣٢

ربيع أول ١٢٣٤

ربيع ثان ١٢٣٤

جماد أول ١٢٣٤

جماد ثان ١٢٣٤

رجب ١٢٣٤

شعبان ١٢٣٤

رمضان + شوال ١٢٣٤

ذو القعدة + ذو الحجة ١٢٣٤

محرم + صفر ١٢٣٥

ربيع أول ١٢٣٥

ربيع ثان ١٢٣٥:

جماد أول + جماد ثان ١٢٣٥

رجب + شعبان + رمضان ١٢٣٥

شوال ١٢٣٥

ذو القعدة ١٢٣٥:

أحداث عام ١٢٣٦ هـ (١٨٢٠م) ---------- ١٤٧٩

المصادر والمراجع

١ - مصر في عهد محمد على: رسالة ماجستير، محمد صلاح السعيد ابو نار، جامعة القاهرة، رسالة غير منشورة.

٢ - بناء دولة محمد على: د. محمد فؤاد شكرى، عبد المقصود الحنانى، سيد محمد خليل، دار الفكر العربى، القاهرة ١٩٤٨.

٣ - الحركات الجماهيرية فى الوطن العربى، الهيئة القومية للبحث العلمى، طرابلس، ليبيا، ١٩٩١.

٤ - عبد الرحمان الجبرتى، دراسات وبحوث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٦.

٥ - المصريون المحدثون، إدوارد وليم لين، ترجمة: عدلى طاهر نور، القاهرة، ١٩٧٥.

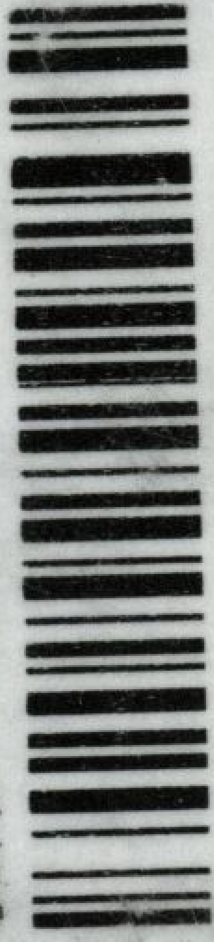
٦ - الخطط التوفيقية، على باشا مبارك، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٨٨٨.

٧ - القاموس الجغرافى للبلاد المصرية، محمد رمزى، القاهرة، ٥٣/١٩٥٤.

٨ - التوقيعات الإلهامية، اللواء محمد مختار باشا.

٩ - وصف مصر، علماء الحملة الفرنسية، ترجمة: زهير الشايب، القاهرة.

١٠ - تأصيل ما ورد فى تاريخ الجبرتى، د. أحمد السعيد سليمان، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٩.


Bibliotheca Alexandrina
12240070